

الفرق بين
حبي

تفسير القرآن

بالقرآن والسنة

تأليف

محمد الصادق

انتشارات فرهنگ اسلامي



مرکز تحقیق تکاپویر علوم اسلامی

الفیه و تالیف

۲۲-۲۱



مکتبہ کا مکتبہ علم و ساری

الكتاب	الفرقان في تفسير القرآن
المؤلف	الشيخ الدكتور محمد الصادق
الجزء	الواحد والعشرون - الثاني والعشرون
الطبعة	سورة الأحزاب - سبأ - فاطر
المطبعة	الطبعة الثانية
الناشر	مطبعة أمير - قم
	انتشارات فرهنگ اسلامي - طهران
	تلفن ۶۲۰۰۸۴
سنة الطبع	۱۴۰ هـ ق - ۱۳۶۵ هـ ش
عدد المطبوع	۳۰۰۰

سَمَلِجَةُ الشَّيْخِ
الدُّكْتُورُ مُحَمَّدُ الصَّادِقُ

الفُرْقَانُ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ بِالْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ

سُورَةُ الْأَنْعَامِ سُورَةُ الشُّعَرَاءِ سُورَةُ قَطَرٍ

دارُ النُّوَّاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ

لِلطَّبَاعَةِ وَالنَّشْرِ وَالتَّوْزِينِ

مَكَّةُ مَكْرَمَةُ

کافہ الحقوق محفوظہ و محفوظہ و محفوظہ

الطبعة الأولى

۱۴۰۵ھ - ۱۹۸۵م

مرکز تحقیق و کامپیوتر علوم اسلامی



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی



مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ أَتَى اللَّهَ وَلَا تُطِيع الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ
إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ① وَأَتَّبِعْ مَا يَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ
رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ② وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ
وَكُنْ بِاللَّهِ وَكِيلًا ③ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ
فِي جَوْفِهِ ④ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ
أُمَّهَاتِكُمْ ⑤ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ⑥ ذَلِكَ قَوْلُكُمْ
بِأَفْوَاهِكُمْ ⑦ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ⑧
أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا
أَبَاءَهُمْ فَمَا خَوَّكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوْلَاكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ
جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ ⑨ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ
وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ⑩

أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجَهُمْ وَأُمَّهَاتِهِمْ وَأُولَئِىَ الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى
بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ
تَفْعَلُوا إِلَى أُولِيَ آبَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ
مَسْطُورًا ﴿٦﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ
وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا
مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ لَيَسْأَلَنَّ الْمُتَّقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ
وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٨﴾

الحزب جماعة فيها غلظ وتماسك مهما قلت أو كثرت فعدة التماسك هي ركنها دون عدة التماسكين فإنها زيادة في عدتهم ، فقد تكون جماعة كثيرة وليست حزباً لعدم الغلظة التماسك ، أو قليلة هي حزب للغلظة التماسك ، فهذه حزب دون تلك مهما كانت حزب الرحمان أم حزب الشيطان

ولم يات الحزب في سائر القرآن السبعة بخير إلا في المائدة : « ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون » (٥٦)

والمجادلة : « رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون » (٢٢) وفي الكهف : « ثم بعثناهم لنعلم أي الحزبين أحصى لما لبثوا أمداً » (١٢) .

ولم يات الأحزاب إلاحدى عشر فيه إلا بشر « كذبت قبلهم قوم نوح والأحزاب من بعدهم » (٤٠ : ٥) مما يدل على أن في عديد الأحزاب شراً قضية الاختلاف وإن كانوا من حزب الله : « فاختلف الأحزاب من بينهم فويل للذين ظلموا من عذاب يوم أليم » (٤٢ : ٦٥) فإنما الاختلاف والاختلاق في حزب الشيطان ، وحزب الله واحد : « وإن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله » (٦ : ١٥٣) ... « ولا تكونوا من المشركين . من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً كل حزب بما لديهم فرحون » (٣٠ : ٣٢) « فتقطعوا أمرهم بينهم زبراً كل حزب بما لديهم فرحون » (٢٣ : ٥٣) ! وهؤلاء هم أهل كتاب واحد وأمر واحد فتقطعوا أمرهم بينهم ..

والأحزاب ثلاثة ، هنا في الأحزاب كلها حزب الشيطان ، ولذلك تسمى سورة الأحزاب مستعرضة سيرة الأحزاب وثورتهم وسريرتهم ، ولكي يتبته المؤمنون فيتماسكوا قدر المستطاع في حزبهم الواحد « حزب الله » : « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ... » ! وأهم تماسك بين أفراد يجعلهم حزباً هو العقائدي الذي يخلق على كافة الوحدات والطبقات سياسياً واقتصادياً وثقافياً أماذا ، وفي قمتها التوحيد حيث يوحد بين قطاعات عظيمة بشرية يجعلها حزب التوحيد ، ومن ثم الرسالة الإلهية ، فأحرى بالمسلمين أن يكونوا حزباً واحداً هو حزب الله مهما اختلفت درجات إيمانهم وسائر ميّزاتهم وفوارقهم حيث تظل تحت ظل الإسلام وحدة متماسكة وصفاً متراصاً لهم قوتهم الصارمة ضد الأحزاب الكافرة ، وحين لا نجد أي حزب في صارم الوحدة من كل الجهات إلا وحدة جانبية

سياسية أو إقتصادية ، وهم أحزاب لهم قواتهم بما تجمعوا ، فلماذا لا نتوحد نحن المسلمين في حزب الله ، وكل اختلاف وراء العقيدة تتوحد على ضوئها أم تذوب ؟!

ولماذا نختلف في أحزاب متعارضة متباغضة لأهداف سياسية مختلفة أما هيه ، تحليقاً لسائر الوحدات على الوحدة العقيدية الإسلامية ؟ تلك إذا قسمة ضيزى ! .

فلأن الله واحد وشرعته واحدة فحزب الله واحد ، وعديد الأحزاب بين المسلمين دليل تخلفهم عن شرعة الله ، أو تفضيلهم سائر الوحدات على الوحدة الإسلامية السامية ، ألا « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا .. » فلا مبرر لأي اختلاف بعد الوحدة الإسلامية :

هذه السورة تبدأ بتحذير الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) عن الأحزاب الكافرين والمنافقين ، وأمره بالتأبع ما يوحى إليه والتوكل على الله ، ثم تتناول قطاعاً واقعيته من حياة الكتلة المؤمنة في فترة تمتد بعد بدر الكبرى إلى ما قبل صلح الحديبية ، بازدهام الأحداث خلال هذه الفترة ، والتنظيمات التي أنشأها الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) لتبني الدولة المجيدة الإسلامية واستمراريتها المعصومة بعد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى القائم المهدي (عجل الله تعالى فرجه) كما تتبناها آية التطهير ، ويطيات سرد النظم الحديثة يستطرد الحديث عن غزوة الأحزاب وبني قريظة ومواقف الكفار والمنافقين واليهود والمرجفين في المدينة ودسائسهم وسط الجماعة المؤمنة !

ثم وفي السورة نبذات هي نبضات في هذه الحياة الجديدة تثبتاً لبعض التقاليد مع إصلاحها ، وتبيداً لأخرى كالظاهرة والتبني ، وإخضاعاً للأمة للشرعة الجديدة الجادة .

وسورة الاحزاب هي هذه الحاضرة لدينا ، دوغما زيادة عليها أو نقيصة عنها ، أو تقديم لآية أو بعضها أو تاخير كسائر السور بأسرها في حصرها لاياتها جملات وآيات ، خلاف ما يهرف به من لا يعرف ، تحريفاً فيها بنقيصة أمأهيه ؟ (١) .

(١) نور الثقلين ٤ : ٢٣٣ ح ١ في كتاب ثواب الاعمال باسناده الى ابي عبد الله (عليه السلام) قال : من كان كثير القراءة لسورة الاحزاب كان يوم القيامة في جوار محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وازواجه ثم قال : سورة الاحزاب فيها فضائح الرجال والنساء من قريش وغيرهم يا ابن سنان سورة الاحزاب فضحت نساء قريش من العرب وكانت اطول من سورة البقرة ولكن نقصوها وحرفوها .
اقول : ليضرب هذه واضرابها عرض الحائط لمخالفتها في بُعدين بعيدين لكتاب الله ، آية الحفظ واضرابها ، وانها تخالف القرآن المتواتر الموجود ، واحاديث العرض تضربها عرض الحائط ، وترى كيف بالامكان أنها (٧٣) كانت أطول من البقرة وهي (٢٨٦) آية فنقص منها اكثر من مائتين ما عرفها إلا ابن سنان دون المسلمين . الحضور زمن تأليف القرآن ، ولم يكن يجرى مثل الخليفة عمر أن يترك الواو الثاني في « من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان » حيث صرخوا عليه ابن الواو يا خليفة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فلم تكن تهمة التحريف وبهذه الوسعة الشاسعة إلا الأهرطقة اسرائيلية وما شاكلها !

وفي الدر المنثور ٥ : ١٧٩ مثله كالتالي : واخرج عبد الرزاق في المصنف والطيالسي وسعيد بن منصور وعبد الله بن احمد في زوائد المسند وابن منيع والنسائي وابن المنذر وابن الانباري في المصاحف والدارقطني في الافراد والحاكم وصححه وابن مردويه والضياء في المختارة عن زر قال قال لي ابي بن كعب كيف تقرأ سورة الاحزاب اولم تعدها ؟ قلت ثلاثاً وسبعين آية فقال ابي : قد رأيتها وانها لتعادل البقرة واكثر من سورة البقرة وولقد قرأنا فيها « الشيخ والشيخة اذ زينا فارجهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم » فرفع منها ما رفع ، واخرج عبد الرزاق في المصنف عن ابن عباس قال : امر عمر ابن الخطاب منادياً فنادى ان الصلاة جامعة ثم صعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال : يا ايها الناس لا تجزعن من آية الرجم فانها آية نزلت في كتاب الله وقرأناها ولكنها ذهبت في قرآن كثير ذهب مع محمد وآية ذلك ان النبي (صلى الله عليه وآله)

بدايتها . بِمَسْكَ بِمَسْكَ التقوى « يا ايها النبي اتق الله . . . » وختامها
بِمَسْكَ بِمَسْكَ التوبة ، ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفوراً

وسلم) قد رجم وان ابا بكر قد رجم ورجمت بعدهما وانه سيجي قوم من هذه الأمة
يكذبون بالرجم .

اقول : لو كانت آية الرجم من كتاب الله وعُمل بها منذ الرسول الى عمر فكانت - إذا -
معروفة لدى حفاظ القرآن وسواهم فلماذا لم يشتها عمر، وفيه أخرج احمد والنسائي عن
عبد الرحمن بن عوف ان عمر بن خطاب خطب الناس فسمعه يقول : الا وان انساناً
يقولون ما بال الرجم وفي كتاب الله الجلد وقد رجم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)
ورجمنا بعده ولولا ان يقول قائلون ويتكلم متكلمون ان عمر زاد في كتاب الله ما ليس
منه لابتها كما نزلت .

اقول : أضحك به وأغرب ومن الغريب أنهم ينسبون إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)
وأله (تحريف آية الرجم ، كما أخرج النسائي وابو يعلى عن كثير بن الصلت
قال : كنا عند مروان وفينا زيد بن ثابت فقال زيد ما تقرأ « الشيخ والشيخة اذا زينا
فارجهوما البتة » ؟ قال : جاء رجل الى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال يا
رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) انبئي آية الرجم قال : لا أستطيع الآن ، هذا
وقد أخرج ابن الضريس عن أبي امامة بن سهل بن حنيف ان خالته اخبرته قالت لقد
اقرأنا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) آية الرجم « الشيخ والشيخة اذا زينا
فارجهوما البتة بما قضيا من اللذة » ! ثم نرى نقيضه فيما اخرج ابن الضريس عن عمر
قال قلت لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لما نزلت آية الرجم أكتمها يا رسول
الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال لا أستطيع ذلك ، واخرج ابن الضريس عن زيد بن
اسلم ان عمر بن خطاب خطب الناس فقال : لا تشكوا في الرجم فانه حق قد رجم
رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ورجم ابو بكر ورجمت ولقد هممت ان اكتب
في المصحف فسأل ابي بن كعب عن آية الرجم فقال ابي : الست أتيتني وانا استقرئها
رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فدفعت في صدري وقلت استقرئها آية الرجم
وهم يتسامرون تسامر الحمر ؟ « اقول فاقض العجب من هذه الهرطقات المتناقضة وتبرء
منها الى الله !

رحيماً ، وبينهما رائحة المسك في توجيهات تنبئ تقوى الله والتوبة عن الطغوى !

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۚ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۚ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ^(٣) ۝

يرسم في هذه الثلاث تخلية السلب : « اتق .. لا تطع » وتولية الإيجاب : « واتبع » ثم يتبعها بسياج التوكل على الله في كل سلب وإيجاب ، ليرسم حياته الرسالية كلها بكلمة الإخلاص « لا إله إلا الله » !

وإنها آية فريدة منقطعة النظير ، آمرة بتقوى البشير النذير ، لأن موقفه من الكافرين والمنافقين خطير خطير ، وهذه تقوى سياسية تجنباً عن أن يدلوه بمواعيدهم العسيلة ، كان يرفض ذكر آلهتهم حتى يدعوه وربّه ^(١)

مركز تحقيق كالمبيوتر علوم إسلامي

(١) في المجمع نزلت في أبي سفيان بن حرب وعكرمة بن أبي جهل وأبي الأعور السلمي قدموا المدينة ونزلوا على عبد الله بن أبي بعد غزوة أحد بأمان من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ليكلّموه فقام معهم عبد الله بن أبي وعبد الله بن سعيد بن أبي سرح وطعمة بن أبيرق فدخلوا على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقالوا : يا محمد ! ارفض ذكر آلهتنا اللات والعزى ومناة وقل : ان لها شفاعة لمن عبدها وندعك وربك، فشق ذلك على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال عمر بن الخطاب ائذن لنا يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في قتلهم فقال : إني اعطيتهم الأمان وأمر (صلى الله عليه وآله وسلم) فاخرجوا من المدينة ونزلت الآية « ولا تطع الكافرين » من اهل مكة ابا سفيان و ابا الاعور وعكرمة والمنافقين ابن ابي وابن سعيد وطعمة .

وفي الدر المنثور ٥ : ١٨٠ - اخرج ابن جرير من طريق جوير عن الضمك عن ابن عباس قال : ان اهل مكة منهم الوليد بن المغيرة وشيبة بن ربيعة دعوا النبي (صلى الله

معاملة التهاثر بعملة الوعد الكذب ، ما لو كان صادقاً لكان صاداً للدعوة الإسلامية لفترة ، مما يدل على تسرب المصلحية السياسية في هذه الدعوة فتبوء بالفشل والخسار والدمار ، فظاهره فيه الرحمة وباطنه من قبله العذاب !

فلذلك « يا ايها .. » لا « يا » فقط أو « أيها » تدليلاً على خطورة المنادى له وتنبيه المنادى .

أترى أن النبي كان متلبساً بطاعة الكافرين والمنافقين حتى يتقيها ؟ كلاً والتقوى هي الإبتعاد عن المحظور ، وأصلها ما لم يتلبس وهو على أشرافه ، وأوامر الله ونواهيه الموجهة إلى شخص النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) تنقسم إلى تشريعية لو لاها لم يعرف النبي إيجاباً أو تحريماً ، كالأحكام التعبدية غير الضرورية ، وإلى تأكيدية فيما هو ضروري معلوم كـ « فاعلم أنه لا إله إلا الله » و « لئن اشركت ليحبطن عملك » وإلى سياسية ظاهرها غير باطنها فهي تنبيهية كهذه : « يا أيها النبي اتق الله ... » .

« اتق الله » للنبي التقي في القمة ، تنبيهة لاستمرارية التقوى ، ولتقوى تقواه كل حين أقوى مما مضى ، فلانه يزداد علماً « وقل رب زدني علماً » فليزدد على ضوئه وتباعاً له تقوى : « واعبد ربك حتى يأتيك اليقين » وليس لذلك اليقين حد يقف عليه ، فلا وقفة لعبادته وتقواه ، ثم للتقوى واجهتان : أن تتقي بنفسك عن الحق وهو الإلتقاء بإسناد النقائص كلها إليك عن إسنادها - أيا كان - إليه ، فتجعل نفسك وقاية له تعالى .

عليه وآله وسلم) الى ان يرجع عن قوله على ان يعطوه شطر اموالهم وخوفه المنافقون واليهود بالمدينة ان لم يرجع قتلوه فانزل الله « يا ايها النبي » اقول : هذا يناسب جو مكة وقد مضى ، واما المدينة فلا يناسبها هذا الاقتراح وقد يشوا من تطميحه بمال او منال !

أو تتقي بالحق عن نفسك وهو الإتقاء بإسناد الكمالات كلها إليه تعالى عن إسنادها إليك فتجعله وقاية لك ، وهما كمال التقوى أن تتخل عن كلها يختص بالله . وتخليه تعالى عن كلها تختص بك ، وكلما وراءهما طغوى بدركاتهما ، كما هما تقوى بدرجاتهما .

وأما « لا تطع » فهو متكرر له في الذكر الحكيم ، نهياً عن المسيرات السياسية فيما ظاهرها مصلحة ، لولا العصمة الإلهية لتفلت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بالتفاتها « ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم وتوكل على الله » (٣٣ : ٤٨) لا تؤذهم وإن يؤذك ، ولا تطعهم وعد ألا يؤذك ! « فاصبر لحكم ربك ولا تطع منهم آثماً أو كفوراً » (٧٦ : ٢٤) « فلا تطع المكذبين . ودوالو تدهن فيذهنون » (٦٨ : ٨) « فلا تطع الكافرين وجاهدوهم به جهاداً كبيراً » (٢٥ : ٥٢) « ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً » (١٨ : ٢٨) وعلى الجملة : « وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله » (٦ : ١١٦)

كل ذلك نهي عن طاعتهم ولما يقترب ، ولكي يبقى مفارقاً غير مقارف ، وكل ذلك في التلبسات السياسية التي تزل فيها الأقدام ، والله يعصم رسوله فيها عصمة كاملة كافلة للدعوة الرسالية المعصومة العاصمة للأمة !

إنه (صلى الله عليه وآله وسلم) قطعاً لم تخلد بخلده لهم طاعة ، ولم تحصل في أي من هذه الموارد ، فالنهي تأكيد للترك ، والتداوم على الترك ، ولكي يسمع الكافرون والمنافقون الطامعون طاعته ، يسمعو تحذيره من الإذاعة القرآنية فيتركوا إقتراحاتهم التي تشق عليه وتؤذيه !

« لا تطع .. » « ان الله كان عليماً » بك وبهم « حكياً » بما يصلح لك كرَسُولٍ ، وعليهم كمتربصي الدوائر بالرسالة والرسول ، فالله

عليم بما يجهلونه وما تجهله ، حكيم بما لا تحكمه ، وأنت كرسول دائب إلى قوم من العبودية .

والرسالة بما أراك الله، ولا تكن للخائنين خصيماً ، فمهما أرادوا ليكيذكروك ويغفروك أن في إجابتهم اخذاً لنائرة الحرب ، وتقرباً لهم إلى الإسلام بتلك الإستمالة والتقارب ، ولكنه أمرٌ ظاهره فيه الرحمة وباطنه من قبله العذاب «ان الله كان عليماً حكيماً»!

« واتبع ما يوحى إليك من ربك » فلأنه ربك في كل صغيرة وكبيرة ، ظاهرة وباطنة ، ولكي تكون رسول ربك بما رباك - ف - « اتبع ما يوحى إليك من ربك » وقد أحاط علماً بما يعمله الكافرون والمنافقون من شيطنة السياسات ، وتماترات المعاملات، التي تبوء بالخساء للرسول، وبالدمار للرسالة « ان الله كان بما تعملون خبيراً » وكما أحاط خبراً وعلماً بما تعمله أنت ومن معك ، ف - « ما تعملون » تشملها ، تنديداً بأعمالها وحيطة على أعماله بمن معه .

ولكي تكون على أمة كاملة كافلة لتقوى مطلقة ، وترك لطاعتهم مطلقاً ، رغم المناوئات والعرقلات التي لا تملك صدها ، بعدما وفيت وكفيت جهودك كلها :

﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾ ^(٣) فلا توكل على سواه إذ لا وكيل في المخاطر والضرورات إلا الله ، فتوكل على الله لا سواه ، في أن : « اتق الله » لا سواه وفي أن : « لا تطع .. » إلا إياه !

أصل السلب : « لا إله » وأصل الإيجاب : « إلا الله » محوّل إلى محاولة العبد ، ثم المطلق فيها موكل إلى حول الله ، ف - « اتق الله .. » ولا تطع .. وتوكل على الله « ومن يتوكل على الله فهو حسبه قد جعل لكل شئٍ قدراً » .

وهلاً يطع الكافرين - فقط - والمنافقين - اذاً - فله ان يطيع غيرهما من المسلمين والمؤمنين ؟ كلا ! فلا طاعة لغير الله ، وعل تخصيصهما بالذكر هنا لانها ارادها منه دون غيرهما ، وأن طاعتها طاعة كافرة او منافقة ، وطاعة غيرهما طاعة فاسقة ، أو أن كل من طلب منه (صلى الله عليه وآله وسلم) طاعته من دون الله او مع الله فهو بذلك يصبح في صف الكافرين او المنافقين ، ولا طاعة لخصوص الرسول إلا طاعة الله ولا اتباع له (صلى الله عليه وآله وسلم) إلا لوصي الله ، اذ ليس يتأمر عليه ولي إلا الله ، فمهما صحت طاعة لغير الرسول غير الله ، من رسول او امام معصوم آمن ذا من الدعات الى الله ، فلا تصح للرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) إلا طاعة الله واتباع وصي الله ! .

ولو لم تدلنا « لا تطع الكافرين والمنافقين » على ألا يطع غيرهما ، فقد يدلنا « واتبع ما يوحى اليك من ربك » اضافة الى سائر الايات في طاعته واتباعه (صلى الله عليه وآله وسلم) .

فهذه الثلاث رصيدات لهذه الداعية حيث تقيم وتقوم دعوته على المنهج الواضح الناصح : تقوى الله وترك طاعة من سوى الله ، والتوكل فيها على الله ! مهما كان من باب اياك اعني واسمعي يا جاره ، يسمعانه فيقطعان آمالهم عن طاعته ويسمعه المؤمنون فيتقون !

﴿ وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وما جعل ازواجكم اللاتي تظاهرون منهن أمهاتكم وما جعل أدعياءكم أبناءكم ذلكم قولكم بأفواهكم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ﴾ (٤) .

هنا امور ثلاثة ما جعلها الله من تكوينية فحيل ان يجعلها غير الله ، ومن تشريعية تحرم عليهم جعلها ، اترى ان بينها في سلبها او ايجابها صلة ورباطاً ؟ ثم ترى أن لها أم لاولاها رباطاً بما سلفها ؟

ان لا ولاها رباطاً هريقاً سالفها ولا حقها ، فطاعة الله وطاعة الذين يحادون الله تتطلب قلين اثنين اذ لا تجتمعان في قلب واحد ، فالذي يمزج بينهما - ضمت من هذا وضفت من ذاك - لا يطيع إلا هواه ، دون الله وسواه ، حيث الطاعة المطلقة التي هي الطاعة لا سواها ، تحيل كونها بين اتجاهين متناحرين ، إلا ان يكون للمطيع قلبان اثنان فيصبح كشخصين يطيع ويهوى باحدهما الله ، وبثانيهما من سواه .

كما ولم يجعل لرجل من أمين اثنين ، التي ولدته والتي ظاهر منها ، لا جعلاً تكوينياً ولا تشريعياً ، ان تنزل الزوجة المظاهرة منزلة الام ، وان امكن في غيرها كالام الرضاعية ، وكذلك الامر في الأدعياء فهم ليسوا ابناً ولا بمنزلة الابناء .

وليس لقلب واحد ان يتجه ويهوى الى أمين على سواء ، ولا الى اثنين على سواء ، وأحدهما يجازي بمجول بحق او باطل ، اللهم إلا ان يكون لرجل من قلين في جوفه !

فالضابطة الرئيسية في هذا البين « ما جعل الله لرجل من قلين » أن يصبح كشخصين يتجه كل الى وجهة ، مضادة او مناقضة للأخرى في حب مطلق وهوى او بغض مطلق اماذا ؟

فالجمع بين اثنين في قلب واحد مستحيل في متناقضين ، او ناقص في مختلفين ، فانه بكماله مستحيل كتمام الحب لهذا وتمامه لعدوه ، واما ان تجتمع في قلب واحد امور عدة لحالة واحدة واتجاه واحد مع الغض عن حب وبغض وطاعة وعصيان ، وكلما يستحيل جمعه في تصديق ام حب وبغض ، فانه من مقام جمع الجمع ، يختص بالمقربين كقلب محمد وقلوب المحمدين المعصومين ، فلهم الحيلة العلمية بما يتلقون من اعمال ، هم

من الشهداء فيها القاء يوم الله ، والله تعالى فوقهم ف « كل يوم هو في شأن » لا يشغله شأن عن شأن ، دون من سواه ومن سواهم .
ولقد ورد في شأن نزول آية القلبين منازل عدة ومن ذلك قلب المصلي : « فمن كان قلبه متعلقاً في صلاته بشيء دون الله فهو قريب من ذلك الشيء بعيد عن حقيقة ما اراد الله منه في صلاته » (١) فانها حقيقة التعلق بالله فلا تجمعها تعلق بغير الله ف - « ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه » ولقد كان قلب الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وذويه متعلقاً متديلاً بالله ، ومهما خطر خطره في الصلاة وغيرها تدليلاً على امر ما فهو ايضاً من الله وان أخطأ في أمره خاطئون (٢) .

ومهما كان من شئون نزولها تكذيب رجل ادعى ان له قلبين (٣)

(١) نور القلبين ٤ : ٢٣٤ ح ٥ في مصباح الشريعة قال الصادق (عليه السلام) في كلام طويل له : .. قال الله عز وجل : ما جعل الله ...

(٢) الدر المنثور ٥ : ١٨٠ - اخرج احمد والترمذي وحسنه وابن جرير وابن المنذر وابن ابي حاتم والحاكم وصححه وابن مردويه والضياء في المختارة عن ابن عباس قال قام النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يوماً يصلي فخطر خطره فقال المنافقون الذين يصلون معه الا ترى ان له قلبين قلباً معكم وقلباً معهم فأنزل الله « ما جعل الله .. »

وفيه اخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال صلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) صلاة فسها فيها فخطرت منه كلمة فسمعها المنافقون فأكثروا فقالوا ان له قلبين ألم تسمعوا الى قوله وكلامه في الصلاة ان له قلباً معكم وقلباً مع اصحابه فنزلت يا ايها النبي اتق الله .. ما جعل الله ..

اقول : ظاهر قولهم « قلباً معكم » انه لم يكن سهواً وانما قرء آية تندد بالمنافقين واخرى تبشر المؤمنين فظنوا ظنهم وخيل الى ابن عباس انه سهى ولم يكن الا سهواً منه لا منه (صلى الله عليه وآله وسلم) ١

(٣) الدر المنثور ٥ : ١٨٠ عن مجاهد قال ان رجلاً من بني فهر قال : ان في جوفي قلبين اعقل بكل واحد منهما افضل من عقل محمد فنزلت وفي المجمع نزلت في ابي معمر =

فليست لتكذب من جعل الله له مقام جمع الجمع ان يحيط علماً بامرین اما زاد ، ولا يجمع صاحب هذا المقام بين متناقضين ، ام حين لتباغضين ، كمن سواه من العالمين وكما الله رب العالمين - وليس له قلب - فليس ليجمع حب المؤمن الى حب الكافر ام بغضهما وهو لا يشغله شأن عن شأن ! .

ولان الواجب من حب الله وطاعته هو توحيده فيها دونما ند ولا شريك ، فالجمع بين هكذا حب وطاعة ، وحب الغير وطاعته لا يمكن في قلب واحد ، إلا ضغث من هذا وضغث من ذاك وهو من حب الهوى وطاعتها ، اللهم إلا في قلبيين ، هذا يحبه تماماً وهذا يحب غيره ، فممكن الجمع بين حين في قلب واحد غير مطلوب ، ومستحيله يمكن في قلبيين و « ما جعل الله لرجل من قلبيين » !

ف - « لن يحبنا من يحب مبغضنا إن ذلك لا يجتمع في قلب واحد » (١)

= حميد بن معمر بن جيب الفهري وكان ليبياً حافظاً لما يسمع وكان يقول ان في جوفي لقلبين اعقل بكل واحد منهما افضل من عقل محمد وكانت قريش تسميه ذا القلبيين فلما كان يوم بدر وهزم المشركون وفيهم ابو معمر تلقاه ابو سفيان بن حرب وهو آخذ بيده احدي نعليه فقال له يا معمر ما حال الناس ؟ قال : انهزموا قال : فما بالك إحدى نعليك في يدك والاخرى في رجلك ؟ فقال ابو معمر : ما شعرت الا انها في رجلي فعرفوا يومئذ انه لم يكن له الا قلب واحد لما نسي نعله في يده .

(١) نور الثقلين ٤ : ٢٣٤ ح ٦ في امالي الطوسي باسناده الى صالح بن ميثم التمار قال وجدت في كتاب ميثم يقول : تمسينا ليلة عند امير المؤمنين (عليه السلام) فقال لنا : ان عبداً لن يقصر في حبنا لخير جعله في قلبه ولن يحبنا من يحب مبغضنا ان ذلك لا يجتمع في قلب واحد وما جعل الله لرجل من قلبيين في جوفه يحب بهذا قوماً ويحب بالآخر عدوهم والذي يحبنا فهو يخلص حبنا كما يخلص الذهب لا غش فيه والقمي في رواية ابن الجارود عن ابي جعفر (عليه السلام) في الآية قال علي بن ابي طالب (عليه السلام) لا يجتمع حبنا وحب عدونا في جوف انسان . . . فمن اراد ان يعلم فليمتحن قلبه فان شارك في حبنا عدونا فليس منا ولستنا منه والله عدوهم وجبرئيل وميكائيل والله عدو للكافرين .

إن شرعة الحب والطاعة الإلتقائية شرعة منافقة لا تنبو ولا تنبىء عن إيمان مهما كان إيماناً بالحق أو بالباطل ، فانه قلب واحد ، فلا بد له من تعلق واحد ومنهج واحد ، تصوراً كلياً للحياة كلها ، وإلا تمزق وناق ، فلما اتبع الهدى ، أو الهوى حيث الخلط بينهما اتبع للهوى اذ لا تعتبر هداية هدى « إلا الله الدين الخالص » !

وكما لا ينقسم شخص الى اشخاص ، كذلك لا ينقسم قلب الى قلوب ، يستمد آدابه في كل حقل عما يهواه من معين وعقل بينها تناحر وتشاجر ، فأخلاقه وآدابه من معين ، وشرائعه من ثان ولاجتماعياته من ثالث ، ولاقتصادياته من رابع ، وسياساته من خامس ، وثقافته من سادس ، ولعقائده من سابع ، فيصبح كالجسيم « لها سبعة ابواب لكل باب منهم جزء مقسوم » ممزقاً مشلاة بين ارباب متشاركين مذبذبين بين ذلك لا إلى هولاء ولا إلى هولاء ، وانه لشر مكاناً ممن ياخذ كل جنباته من واحد كافر !

مركز تحقيق كتاب توير علوم إسلامي

ان كل انسان هو شخص واحد له قلب واحد لا يملك ان يتقسم في شخصيته وحالاته ، يقول : انا في كل حقل غيرى في حقل آخر ، فانا بصفتي مسلماً اصلي وأحج و... وبصفتي سياسياً اعمل وفق مصالحيات السياسة ، وبصفتي تاجراً اعمل كرجل اقتصاد أماذا من صفات في مختلف الحقول !

فالانسان المسلم يعيش مسلماً في هذه كلها ، حيث الإسلام يضم وينظم هذه كلها ، فيعيش في المحراب كما في الحرب مسلماً ، وفي السوق كما في المجلس النيابي مسلماً ، يعيش في كل الحقول مسلماً مستسلماً لشرعة الله المتكفلة لكافة حاجيات الحياة وجنبااتها .

فاذ يقول الله « وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين » ليس ينهى عن

المستحيل ، اذ لا يعبد في الحق إلهين إلا من له قلبان ، وإنما يعني ان في اتحاد إلهين اتحاداً لإله الهوى ورفضاً لإله الهدى ، ومن المستحيل طاعة مطلقة لسيدتين متناحرين ، اللهم إلا طاعة الله كأصل وطاعة للرسول كرسول يوجه الى الله وكما في طاعة الشيطان ، فطاعة كل مستقلاً بجانب الآخر تتطلب قلبين اثنين ، إلا ان يكونا في خط واحد او سبيل واحد .

﴿ ... وما جعل أزواجكم اللاتي تظاهرون منهن أمهاتكم ﴾ (١).

«الذين يظاهرون منكم من نسائهم ما هن أمهاتهم ان أمهاتهم إلا اللاتي ولدنهم وانهم ليقولون منكراً من القول وزوراً .. والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل ان يتماسا .. » (٥٢ : ٣) (١)

فالأزوجة لن تصبح أمًا ، لا واقعاً فهي التي ولدته ، ولا شرعاً فهي التي ارضعته ، دون لفظة القول : « انت علي كظهر امي » فلم يجعل الله الأزوجة المظاهر منها كالأم ، بل ابقاها زوجة بكفارة يقدمها لكي يحل له وطئها ، وليس ذلك طلاقاً يخلصه منها ولا يخلصها منه ، كما كانت هذه الظلامة العنيفة عادة الجاهلية اذ كانوا يجرمون وطئها بظهارها ثم تبقى معلقة لا ذات زوج فتوطىء ولا خلية فتتزوج ! قسوة ما أسوأها معاملة مع المرأة المظلومة في الجاهلية الجاهلاء ، أزالها الاسلام بحسن العشرة :

« امسأك بمعروف او تسريح باحسان » « امسكوهن بمعروف او فارقوهن بمعروف » (٣ : ٢٣١) فالأم أم والزوجة زوجة لا تتحول واحدة منها الى اخرى ، لا بلفظة قولة ولا بأية محاولة ، واما الجمع بين كونها زوجة لا تتزوج وأما لا توطىء فهو جمع بين متضادين اثنين يحتاج الى

(١) راجع الفرقان ٢٨ : ١٩١ - ١٩٦ نجد تفاصيل الظهار باحكامه

قليلين اثنين « وما جعل الله لرجل من قليلين » وكذلك هو بحاجة الى امرأتين اثنتين احدهما زوجة لها ما لها ، والاخرى أم لها ما لها ، فلا تبديل ولا جمع ، وكما ظهارهم من تبديل الجمع !

وأن صيغة الظهار محرمة محرمة تخلف كفارة إن أراد وطئها ، وحجلاً عليه وعليها إن تركها ، او طلاقاً بحكم الحاكم الشرعي ان لم يفعل مداوماً في ترك الوطء ! وبذلك تسلم الأسرة من تصدعها بتلك العادة الظلمة التي كانت تمثل طرفاً من سوم المرأة سوء العذاب تحت نزوات الرجال ، الجاهلية المتعنتة !

﴿ وما جعل ادعيائكم ابنائكم ﴾ والدعوى من يدعى ابناً وليس به ، لا دعوة فقط في لفظة النداء ، بل وفي كلما تتطلبه البنوة من التوارث وحرمة حليلته .

وقد كانوا في الجاهلية يبتنون ، قطعاً لبنوة كواقع ، ووصلاً لها الى غريب كواقع ، فتقطع علاقات البنوة عن الوالد الحق ، وتتصل بالاب المتبني في كافة الصلات بالباطل .

يقال إن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) تبنى قبل أن يُبعث زيد بن الحارثة ، فكيف ؟ ولماذا ؟ وهل يشمل التبنيد التجهيل وانه خلاف الحق وخلاف القسط وهدى السبيل ؟ ام ولاقل تقدير هو : فيها اخطاتم به ... « وكان الله غفوراً رحيماً » ؟

كلّا ! ف - « النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم » فضلاً عن الكافرين كأي زيد ولما آمن زيد وحسن ايمانه ورفض أباه المشرك أن يتبعه قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حينذاك تشويقاً للايمان وتفريقاً عن

الكفر » إشهدوا أن زيداً ابني ، فكان يدعى ابن محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وكان يحبه وسماه زيد الحب .. » ^(١)

فلان زيداً أملك بنفسه وأولى من أبيه حتى لو كان مؤمناً ، وهو مشرك ! ولأن النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، فولايته (صلى الله عليه وآله وسلم) عليه أولى من أبيه ، بل لا ولاية لأبيه المشرك عليه وهو مؤمن ، فما تعمد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) جناحاً في هكذا تبنيّه ولا أخطأ لو كان تبنيّاً ولم يكن إلاّ تشريعاً !

(١) نور الثقلين ٤ : ٢٣٥ ح ١٠ تفسير القمي حدثني أبي عن ابن أبي عمير عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال في سبب نزول الآية كان سبب ذلك أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لما تزوج بخديجة بنت خويلد خرج الى سوق عكاظ في تجارة ورأى زيداً يباع وراه غلاماً كيساً حصبياً فاشتراه فلما نبأ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) دعاه الى الاسلام فاسلم وكان يدعى زيد مولى محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) فلما بلغ حارثة بن شراحيل الكلبي خبر ولده زيد قدم مكة وكان رجلاً جليلاً فاتى ابا طالب فقال يا ابا طالب ان ابني وقع عليه السبي وبلغني انه صار الى ابن اخيك تسأله إما ان يبيعه وإما ان يفاديه وإما ان يعتقه فكلّم ابو طالب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) هو حرّ فليذهب حيث شاء فقام حارثة فاخذ بيد زيد فقال له : يا بني الحق بشرفك وحسبك فقال زيد : لست أفارق رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ما دمت حياً فغضب ابوه فقال : يا معشر قريش اشهدوا اني قد برئت منه وليس هو ابني فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : اشهدوا ان زيداً ابني ارثه ويرثني فكان زيد يدعى ابن محمد وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يحبه وسماه زيد الحب فلما هاجر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الى المدينة زوجه زينب بنت جحش ...

اقول : كان التورات بين المؤمنين والمهاجرين سنة مأموراً بها قبل نزول آيات الارث تشجيعاً للايمان ومنها الآية الثالثة « واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض ... » وكان زيد مؤمناً مهاجراً فلم يكن هناك تبني وانما بنوة الحب وميراث الايمان والهجرة مهما تخيله الجماهير تبنيّاً كما كانوا يعملون !

اترى كان له في ذلك الموقف الحرج ان يسكت عن كلمة محبة
أولاهها: « اشهدوا أن زيدا ابني » ؟ وما عليه (صلى الله عليه وآله وسلم)
إذ يجئ إلى سائر المؤمنين - المتعودين في الجاهلية على ذلك التبني العارم - انه
اصبح ابنه ، فحرامٌ عليه - اذاً - حليته !

فلم يكن قوله (صلى الله عليه وآله وسلم) « اشهدوا ان زيدا ابني »
قولاً بفيه ، وإنما عمق قلبه الجيب ، ولم يرتب عليه شئون النبوة ، اللهم
إلا ميراثاً كان بين المؤمنين والمهاجرين بما فرض الله ، ثم نسخهُ بقوله
« واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين »
ولم يحرم هو على نفسه حليته ولا رتب عليه سائر احكام النبوة ، فلم
يشمله التنديد الإبطال :

﴿ . . ذلكم قولكم بافواهكم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ﴾^(٤).

ذلكم الجعل الجاهل والحكم القائل من مظاهرة وتبين قولكم ، لا
قول الله « بافواهكم » دون رباط بعقولكم وقلوبكم ولا وحي ، اذاً فهو
قول باطل « والله يقول الحق » لا سواء « وهو يهدي السبيل » لا سواء !

فالقول بالأفواه هو المنقطع الرباط عن دواخل القائل وخوارجه ، فلا
هو ينبع من نبعة فطرية او عقلية داخلية ، ولا وحي خارجي ، فلا أثر له
داخلياً في حب أو بغض ولا خارجياً من آثار الامومة والنبوة والابوة لا
تكوينية ولا تشريعية ، فهو قول باطل في بُعديه « والله يقول الحق وهو يهدي
السبيل » الى الحق .

هذا رغم ما هنالك من آثار تهواه الأنفس في طقوس جاهلية لا تعدو
حدود الخيال فتستأصلها آيات الله البيّنات « والله يقول الحق وهو يهدي
السبيل » ومن الحق السبيل والسبيل الحق :

﴿ ادعوههم لأبائهم هو اقسط عند الله فإن لم تعلموا آبائهم فإخوانكم في الدين ومواليكم وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم وكان الله غفوراً رحيماً ﴾^(١).

« ادعوههم لأبائهم » لا « إلى آبائهم » فقد يختلفان إيماناً وكفراً فكيف يدعى الولد المؤمن إلى الأب الكافر؟ مهما صحت المعاكسة ، ان تدعوا الولد الكافر إلى الوالد المؤمن ولكي يؤمن ولأنه يلحق به قبل بلوغ الحلم دون عكس ، ثم « ادعوههم إلى . . » لا يزيل أساس التبني ، فقد يدعى « إلى » وهو بعد ابنه كما يدعى غريب إلى غريب ، فائماً « ادعوههم لأبائهم » دعوة تختصهم بأبائهم نسباً وفي كل ما هو لزامه ، فقولوا ابن فلان بدلاً عن ابني ، لا في لفظة قول فحسب ، بل وفي كل ما تتطلبه النبوة اللهم إلا ما يستثنيه الإسلام للولد المؤمن أو الوالد المؤمن .

ولقد دعى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) زيداً لآبيه قبل ان تنزل آية الدعوة اللهم إلا نسبة تشريفية تشويقاً له اذ رجع المقام عند الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) على الحقوق بابيه ^(١) فما نرى فيها

(١) مضى له قصة عن الامام الصادق (عليه السلام) وفي لفظ آخر في الدر المنثور ٥ : ١٨١ واخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال : كان امر زيد ابن حارثة انه كان في اخواله بين معن من طين فاصيب في غلعة من طين فقدم به سوق عكاظ وانطلق حكيم بن حزام بن خويلد إلى عكاظ يتسوق بها فاوصته عمتة خديجة (رضي الله عنها) ان يبتاع لها غلاماً ظريفاً عربياً ان قدر عليه فلما جاء وجد زيداً يباع فاعجبه طرفة فابتاعه فقدم به عليها وقال لها اني قد ابتعت لك غلاماً ظريفاً عربياً فان اعجبك فخذيه والا فدعه فانه قد اعجبني فلما رآته خديجة اعجبها فاخذته فتزوجها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو عندها فاعجب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) طرفة فاستوبه منها فقالت هو لك فان اردت عتقه فالولاء لي فابى عليها فوهبته له ان شاء =

فعله الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) به إلا خيراً وحقاً رغم ما زعمه المتبنون الآخرون قياساً لفعله بما كانوا يفتعلون !

﴿ ادعوهم الآباءهم هو اقسط عند الله ﴾ (٥) .. اترى كيف تكون دعوتهم لأبائهم اقسط عند الله ؟ وقضيته ان تبنيهم قسط ! وبقاءهم لغير

= اعتق وان شاء امسك قال فشب عند النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ثم انه خرج في ابل لابي طالب الى الشام فمر بارض قومه فعرفه عمه فقام اليه فقال من انت يا غلام ؟ قال : غلام من اهل مكة قال : من انفسهم ؟ قال لا قال : فحر انت ام مملوك ؟ قال : بل مملوك قال : لمن ؟ قال : لمحمد بن عبد الله بن عبد المطلب فقال له اعربي انت ام عجمي ؟ قال : بل عربي قال : ممن اهلك ؟ قال : من كلب قال : من اي كلب ؟ قال : من بني عبدود قال ويحك ابن من انت ؟ قال : ابن حارثة بن شراحيل قال : وابن اصب ؟ قال في اخوالي قال ومن اخوالك ؟ قال : طي قال : ما اسم امك ؟ قال : سعدى فالتزمه وقال : ابن حارثة ودعا اياه وقال يا حارثة هذا ابنك فاتاه حارثة فلما نظر اليه عرفه قال : كيف صنع مولاك اليك ؟ قال : يؤثري على اهله وولده ورزقت منه حياً فلا اصنع الا ما شئت فركب معه ابوه وعمه واخوه حتى قدموا مكة فلقوا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال له حارثة يا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ! انتم اهل حرم الله وجيرانه وعند بيته تفكون العاني وتطمعون الاسير ابني عبدك فامن علينا واحسن الينا في فدائه فانك ابن سيد قومه فانا سندفع لك في الفداء ما احببت فقال له رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ما اعطيكم خيراً من ذلك ؟ قالوا وما هو ؟ قال : اخيره فان اختاركم فخلوه وان اختارني فكفوا عنه قالوا جزاك الله خيراً فقد احسنت فدهاه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال يا زيد اتعرف هولاء ؟ قال : نعم هذا ابي وعمي واخي فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فانا ممن عرفته فان اخترتهم فاذهب معهم وان اخترتني فانا من تعلم فقال زيد : ما انا بمختار عليك احداً ابداً انت مني بمكان الوالد والعم قال له ابوه وعمه : يا زيد انجنا العبودية على الربوبية ؟ قال ما انا بمفارق هذا الرجل فلما راي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عليه وآله وسلم) حرصه عليه قال : اشهد انه حرّ وانه ابني يرثني وارثه فطابت نفس ابيه وعمه لما راوا من كرامته عليه فلم يزل زيد في الجاهلية يدعى زيد بن محمد حتى نزل القرآن « ادعوهم لأبائهم » فدعى زيد بن حارثة

آبائهم ليس قسماً ولا عدلاً ، والقسط افضل من العدل ؟
 علّه ككلّ مما شاة مع المتبنين : إن كان هذا قسماً تعطفاً بهم دون
 مقابل ، فدعوتهم لأبائهم اقسط عند الله ، فانهم يضع من آبائهم دونكم ،
 وامتداد لهم بمذمهم إيلاداً دونكم ، فليس منكم لهم إلا قولُ بافواهكم ،
 ولهم من آبائهم فعل الالاد وهو حقيقة لا تنكر ، فالأصل الفطري
 والولادي يقتضيان ان تدعوهم لأبائهم في كل ما تتطلبه البنية ، والتخلف
 عنها هو خلاف العدل والقسط .

او علّه كبعض مصاديقه قسط ، كما كان من رسول الله (صلى الله
 عليه وآله وسلم) مع زيد ولكنها الأقسط عند الله ان يدعى هو ايضاً لابيه
 كما فعله (صلى الله عليه وآله وسلم) قبل آية الدعوة ، فقد جمع الأقسط
 الى القسط فلم يخالفهما أو أحدهما قبل آية القسط ، اللهم إلا من سواه بين
 متعمدٍ ومُخطئٍ وساحة الرسول منها براء !

﴿ .. فإن لم تعلموا آباءهم فاخوانكم في الدين ومواليكم .. ﴾ (٥).

فان فوضى العلاقات في أسرة الجاهلية في هرج الجنس ومرجه ، والتبني
 الاعمى بحيث كان يُعمى عن الآباء الأصلاء ، مما يخلف مجهولية الآباء ،
 ولكنها ايضاً ليست بالتي تسمح بالتبني او تقره ، فان هنالك الأخوة في
 الدين والولاية فيه اصل جامع يخلق على كافة المعلومين فضلاً عن
 المجهولين ، فهم اذاً « اخوانكم في الدين » في كلما تقتضيه الاخوة الدينية ،
 وكما في سائر المسلمين « فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في
 الدين .. » (٩ : ١١) وكما في خصوص اليتامى : « يسألونك عن
 اليتامى قل إصلاح لهم خير وإن تخالطوهم فإخوانكم والله يعلم المفسد من
 المصلح .. » (٢ : ٢٢٠) وطبعاً هي الاخوة الدينية كما في الأدعياء فانهم
 أعم من كونهم يتامى او ذوي آباء مجهولين .

﴿ وليس عليكم جناح فيما اخطأتم ولكن ما تعمدت قلوبكم وكان الله غفوراً رحيماً ﴾^(٥).

هنا ينفي الجناح عن خلفيات التبني لحدّ الآن « فيما اخطأتم » خطأ في اصله أن لم يكن إلّا قولاً بالأفواه دون اثر خارجي ، وخطأ في تجهيل آباءهم حتى جهلوا ، و « ما تعمدت قلوبكم » يعم عمد التبني بترتيب آثار البتوة لهم ونفيها عن آباءهم ، او عمداً في تجهيل آباءهم حتى جهلوا خطئان لا جناح فيهما ، وتعمدان مغفوران لمن تاب توبة نصوحاً . ثم وقصة الرضاعة ليست بالتي تشكل نسباً إلا تحريماً ما وتحليلاً ، والإسلام يهدف من وراء هذا السياج القويم على الأنساب أن يحافظ على نظامها التكويني دو تبعثر بتبنٍ وسواه ، وحتى إذا كان نسباً كافراً ، فانه ليس ليسمح نسبة المؤمن الى غير والديه مهما كانت هنالك أحكام وقائية لشرف الايمان .

فليس لأحد أن يخفي نسبه بوصمة الكفر فيدعي نسباً آخر بسمة الايمان ، فليس الايمان بنسب وسبب ، فانه شرف ذاتي لا يعدو حامله الى سواه إلّا اذا حملته الى سواه .

ولانه تشديد أكيد يتمشى مع عناية الإسلام بصيانة الأسرة كيفما كانت ، والحفاظ على روابطها من كل شبهة وخلل ، وحياطتها بكافة أسباب السلامة والسلوة والإستقامة ، بعيدة عن الفوضويات في دعارات وسواها من ادعائات جوفاء ، في تغيير النسب وتحويره ، مهما كان بمبرر الايمان فانه خلاف قضية الايمان .

﴿ النبي اولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وأولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين إلّا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفاً كان ذلك في الكتاب مسطوراً ﴾^(٦).

آية وحيدة منقطعة النظير ، تختص ولاية عامة للنبي على المؤمنين ، وامومة ازواجه لهم ، واولوية اولى الارحام بعضهم ببعض من المؤمنين والمهاجرين ، تضم في هذا المثلث أحكاماً عدة جماعية سياسية واقتصادية أماهيه ؟

﴿ ولاية النبي على المؤمنين ؟ ﴾

« النبي أولى بالمؤمنين من انفسهم » ضابطة مطلقة عامة ثابتة بين محور النبوة وشعاع الايمان ، فهو « اولى » قضية النبوة ، وهم مولى عليهم قضية الايمان ، وهو (صلى الله عليه وآله وسلم) لا ينفصل عن ولايته ولا تنفصل عنه حيث النبوة لزامها ولكن الايمان قد ينفصل عمن يتنحى عن ولايته (صلى الله عليه وآله وسلم) وكما يروى عنه (صلى الله عليه وآله وسلم) : « والذي نفسي بيده لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من نفسه وماله وولده والناس اجمعين » !

وليست هي مجرد ولاية الحب مهما كان اصلاً من قضيتها ، بل هي مطلق الولاية في مطلق الامور على مطلق الانفس المؤمنة ، عقيدة وحباً وقولاً وعملاً أماذا من متطلبات الولاية الاولوية المطلقة !

إن هذه النبوة القمة تقتضي اولوية قمة ، كما الايمان بدرجاته يقتضي تحمل تلك الاولوية حسب الامكانيات .

اترى ان هذه الولاية المحمدية قد تُعَمي مصالح الامة جماعات وفرادى لمصلحة ذاتية شخصية ؟ كلاً ! ف - « النبي اولى » وليس « محمد اولى » فهذه الاولوية ليست إلا لتخدم مصالح الرسالة والمرسل إليهم جماعات وفرادى ، دون مصلحة لشخص محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) فانما مصالح رسولية ورسالية ومصالح للمؤمنين ، وكلها لصالح الايمان فصالح

المؤمنين ، جماعات وفردى ، تصد عنهم أخطاء عامة وجاهلة وتصلح الأمة كما يرضاها الله حيث الولاية اسلامياً هي أن يلي كل قوي من المسلمين ضعيفهم ، عقيدياً او علمياً او خلقياً او عملياً ، اماذا من مختلف الوهبات والكسيات جبراً لنقصه ، فقد يكون المسلم ولياً من جهة ومولى عليه من اخرى ، كالأعلم بالنسبة للاتقى ، فانه وليه علمياً ، ولكنه مولى عليه عملياً ، وهلم جراً في سائر الاولياء والمولى عليهم حسب مختلف الولايات .

والسمة العامة فيها كلها صالح المولى عليه حيث لا يقدر على تحصيله كما يجب او يحب ، وهذه المولات هي في صيغة اخرى تعاون على البر والتقوى ، وضد الشر والطغوى ، تعليمياً او امراً ونهياً او حملاً على فعل المعروف وترك المنكر .

فليس للولي أياً كان أن يتأمر على المولى عليه لصالحه الشخصي بسند انه قوي ، اللهم إلا لصالح المولى عليه أفراداً وجماعات ، وإلى السلطة الزمنية على ضوء الاسلام حيث الزعيم خادماً للرعية ، دون ان يتغنى من الزعامة مالا او منالاً إلا اصلاح الرعية ، وتوجيههم الى الأصلح فالأصلح في مختلف الحقول الاسلامية المحلقة على كافة المصالح .

الولايات العشر في الاسلام:

هنالك ولايات خاصة واخرى عامة على المؤمنين كلها تنحو منحى مصالحهم معنوية ومادية جماعية وفردية كـ: ١ - الولاية على الايتام - ٢ - والسفهاء - ٣ - والمجانين - ٤ - والزوجات - ٥ - والأولاد - ٦ - والمتخلفين^(١) .

(١) دليله قوله تعالى « المؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض يأمرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر »

٣٢ الجزء الواحد والعشرون

٧ - وعلى كل الأمة من الفقهاء - ٨ - وائمة الدين - ٩ - والرسول - ١٠ -
وولاية الله !.

كل هذه ولايات على من لا يحيط علماً او طاقة على مصالحه، فالولاية
المعصومة من بينها مطلقة وكما تدل عليه آية الولاية: « انما وليكم الله
ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون »
(٥ : ٥٥) وآية الطاعة: « اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم »
(٤ : ٥٩)

والولايات الاخرى محدودة بحدود المصالح ، وللمولى عليهم
الإعتراض والإستيضاح إن اشتهى عليهم أمرها او تأكدوا من خلاف
المصلحة فيها .

ثم تشترك هذه العشر في الولاية الشرعية على اختلاف درجاتها وضيقها
وسعتها ، وتخصّ ولاية المعصومين الشرعية بانها مطلقة محكمة دونما استثناء
لأنها تمثل ولاية النبي الممثلة لولاية الله واما الولاية التشريعية والتكوينية
فهما من اختصاصات الربوبية ، فهو - فقط - المشرع لا سواه « شرع لكم
من الدين وصى به نوحاً / والذي اوحينا اليك ... » وهو المكون خلقاً
وتدبيراً لا سواه « الا له الخلق والامر ... » .

ولاية النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) هي الاولوية بانفس
المؤمنين ، فتحتل الدرجة الثانية من العشر بعد الولاية الإلهية ، فهو أولى
بكل مؤمن من نفسه واهله وماله وعرضه ، وكلها لصالح النبوة والمولى
عليهم على ضوء النبوة العادلة ، ولاية عامة تشمل رسم مناهج الحياة
الفردية والجماعية في كافة حقولها ، فلا ولاية مع ولايته ، حيث لا تساوى
ولا تسامى ، اذ تخلق بعد ولاية الله على الولايات كلها ، على سائر الاولياء
والمولى عليهم كلهم .

قد تتحقق الولاية دون اولوية بانفس المولى عليهم منهم كما في سائر الولايات الخاصة والعامة ، إلا المحمديين من العترة المعصومين (عليهم السلام) ^(١) ولكنها الآية تثبت ولاية الاولوية له (صلى الله عليه وآله وسلم) بأنفس المؤمنين مما يقدمه (صلى الله عليه وآله وسلم) - عليهم في النواميس الخمسة كلها : نفساً وعقلاً وديناً وعرضاً ومالاً لصالح النبوة والمولى عليهم ، فصالح النبوة هو هو صالحهم جميعاً .

فكما يجب على كل مؤمن الحفاظ على هذه النواميس حياً لها وإيماناً ، كذلك عليهم - وبأحرى - الحفاظ عليها من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) تقديماً لجانبه على جوانبهم ، وكما الله جعله أولى بهم وعلى حد قوله (صلى الله عليه وآله وسلم) : « ما من مؤمن إلا وأنا أولى الناس به في الدنيا والآخرة » ^(٢) ومن هذه الولاية قوله (صلى الله عليه وآله وسلم) : « أنا أولى بكل مؤمن من نفسه فأيما رجل مات وترك ديناً فإليّ ومن ترك مالاً فلورثته » ^(٣) فليس له من أموال المؤمنين شيء إلا ما تلزمه المصلحة

(١) الدر المنثور ٥ : ١٨٢ هـ اخرج ابن أبي شيبة واحد والنسائي عن بريدة قال غزوت مع علي اليمن فرأيت منه جفوة فلما قدمت على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ذكرت علياً فنقصته فرأيت وجه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) تغير وقال يا بريدة الست أولى بالمؤمنين من أنفسهم قلت بلى يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : من كنت مولاه فعلي مولاه « اقول وانها كلمة متواترة عنه (صلى الله عليه وآله وسلم)

(٢) المصدر اخرج البخاري وابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه عن أبي هريرة عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : ... اقرءوا ان شئتم « النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم .. »

(٣) المصدر اخرج احمد وابو داود وابن مردويه عن جابر عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : « من ترك مالاً فللعصبة ... » ومثله ذيل الحديث السابق ولكن فيه : من ترك مالاً فللعصبة ...

الجماهيرية الاسلامية كالضرائب المستقيمة وغير المستقيمة وهي كلها لصالح المسلمين .

ثم اذ يأمر الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بشيء فلا تخلف عنه نظرة الإذن من غيره ولياً وسواه كما كان في غزوة تبوك^(١) ومن خلفيات هذه الولاية الاولوية المطلقة أن لوراي النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) صالحاً في تطليق زوجتك طلقها دون استثمارك ، ام صالحاً في حملك على عمل دون أجر او باجر ، ام دفع مال بمقابل او دون مقابل ، اماذا مما لك فيه الولاية نفساً واهلاً ومالاً وحالاً ، فهو أولى بك منك ، فضلاً عما ليس لك فيه ولاية ، فهو فيه أولى منك في بعدين اثنين ولكنه لم يعهد عنه امثال هذه التصرفات خلافاً لمرضات المؤمنين وان كانت له بسناد ولايته المطلقة المخولة .

ثم الولاية الجماهيرية هي له اخرى من الشخصية ، حيث النبوة تنحو منحى الجمهير قبل الأشخاص ، وهي لصالح مجموعة الامة قبل افرادها ، وصالح الجماعة في ولاية وسواها أهم من صالح الأفراد .

ومن اهم الاهداف في ضابطة الولاية هنا هي الإمرة^(٢) ألا يتخلد بخلد

(١) في المجمع وروي ان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لما اراد غزوة تبوك وامر الناس بالخروج قال قوم : نستأذن آبائنا وامهاتنا فنزلت هذه الآية

(٢) نور الثقلين ٤ : ٢٣٨ عن علل الشرايع باسناده الى عبد الرحمن لقصير عن ابي جعفر (عليه السلام) قال : سألت عن قول الله عز وجل « النبي أولى ... » فيمن نزلت هذه الآية قال : نزلت في الإمرة ان هذه الآية جرت في الحسين بن علي (عليه السلام) وفي ولد الحسين فنحن أولى بالامر ورسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من المؤمنين والمهاجرين ، قلت : لولد جعفر فيها نصيب ؟ فقال : لا - فعددت له بطون عبد المطلب كل ذلك يقول : لا - ونسيت ولد الحسن فدخلت عليه بعد =

المؤمنين فرادى وجماعات التقديم او التقدم بين يدي الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في اي امر من امورهم حتى وان شاورهم مصلحياً كما امره الله ، فالامر امره والرأي رأيه ، لان الإمرة الشاملة على المؤمنين هي إمرته .

فلو رأى المؤمنون باجمعهم صلوحاً في أمر من حرب او صلح أماذا ؟ ورأى الرسول خلافهم ف - « النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم » فلا لهم او عليهم إلا ما يراه دونهم .

ولقد جرت هذه الإمرة النبوية في الأئمة الاثني عشر بدليل الكتاب والسنة وعلى حد قول باقر العلوم (عليه السلام) « ما لمحمدي نصيب غيرنا » فهم لا سواهم « اولى الامر منكم » الذين افترض الله طاعتهم بإمرتهم بعده وبعد رسوله : « اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم .. » .

- ذلك فقلت : هل لولد الحسن (عليه السلام) فيها نصيب ؟ فقال : لا يا ابا عبد الرحمن ما لمحمدي فيها نصيب غيرنا .
ورواه مثله عنه في الكافي وروايات اهل البيت في ذلك بعدد اسماء اولى الامر متواترة .

ومن ذلك ما رواه القمي باسناد متصل عن سليم بن قيس قال سمعت عبد الله بن جعفر الطيار يقول : كنا عند معاوية انا والحسن والحسين وعبد الله بن عباس وعمر بن سلمة واسامة بن زيد فجرى بيني وبين معاوية كلام فقلت لمعاوية سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول : انا اولى بالمؤمنين من انفسهم ثم اخي علي بن ابي طالب اولى بالمؤمنين من انفسهم فاذا استشهد فالحسن بن علي اولى بالمؤمنين من انفسهم ثم اخي الحسين بن علي اولى بالمؤمنين من انفسهم وستدرکه يا حسين ثم تكلمة اثنتي عشر اماماً تسعة من ولد الحسين قال عبد الله بن جعفر واستشهدت الحسن والحسين وعبد الله بن عباس وعمر بن ام سلمة واسامة بن زيد فشهدوا لي عند معاوية قال سليم وقد سمعت ذلك من سلمان وابي ذر والمقداد وذكروا لي انهم سمعوا ذلك من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)

ولقد احتل حديث خلافة الإمرة النبوية في علي (عليه السلام) يوم الغدير ، قمة التواتر بين المسلمين من الصحابة والتابعين وتابعيهم ^(١) وكذلك حديث التهئة من الشيخين في قولهما لعلي (عليه السلام) : « بخ بخ لك يا علي أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة » ^(٢) تلو ما قال

(١) اخرج العلامة الأميني في الغدير نزول آية التبليغ عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يوم الغدير في علي بن أبي طالب (عليه السلام) عن ثلاثين مصدراً من اخواننا وإن رواية الغدير من الصحابة (١٢٠) صحابياً ومن التابعين (٨٤) وإن طبقات الرواة في حديث الغدير من أئمة الحديث وحفاظه والاساتذة (٢٦٠) نسمة والمؤلفون فيه (٢٦) راجع علي والحاكمون ص ٣٤ .

(٢) قد روى حديث التهئة فيمن رواه الحافظ أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة عن البراء بن عازب وأحمد بن حنبل في مسنده ٤ : ٢٨١ عنه والحافظ أبو العباس الشيباني عنه والحافظ أبو يعلى الموصلي عنه والحافظ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري في تفسيره ٣ : ٤٢٨ عن ابن عباس وابن عازب والحافظ أحمد بن عقدة الكوفي في كتاب الولاية بالاسناد عن سعد بن أبي وقاص والحافظ أبو عبد الله المرزباني البغدادي عن أبي سعيد الخدري والحافظ علي بن عمر الدارقطني البغدادي والحافظ أبو عبد الله بن بطه الحنبل عن البراء بن عازب والقاضي أبو بكر الباقلاني البغدادي في التمهيد في اصول الدين ص ١٧١ والحافظ أبو سعيد الخروشي النيسابوري في شرف المصطفى عنه والحافظ أحمد بن مردويه الاصبهاني في تفسيره عن أبي سعيد الخدري وأبو اسحاق الثعلبي في تفسيره والحافظ ابن السمان الرازي عن ابن عازب والحافظ أبو بكر البيهقي عنه والحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي بسندين صحيحين عن أبي هريرة ص ٢٣٢ - ٢٣٣ والفقهاء أبو الحسن بن المغازلي في المناقب وأبو محمد أحمد العاصمي في زين الفقيه والحافظ أبو سعد السمعاني في فضائل الصحابة عن ابن عازب وحجة الاسلام أبو حامد الغزالي في سر العالمين ص ٩ وأبو الفتح الأشعري الشهرستاني في الملل والنحل وخطب الخطباء الخوارزمي الحنفي في مناقبه ص ٩٤ وأبو الفرج بن الجوزي الحنبل عن ابن عازب وفخر الدين الرازي الشافعي في تفسيره الكبير ٣ : ٦٣٦ وأبو السعادات محمد الدين بن الأثير الشيباني في النهاية ٤ : ٢٤٦ وأبو الفتح محمد بن علي النظري في =

النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) : الست اولى بكم من انفسكم قالوا بلى قال فمن كنت مولاه فهذا علي مولاه « مما يبرهن جلياً أن مكانته من المؤمنين هي نفس مكانة الرسول - إلا في الوحي والنبوة .

فإمرة الاولوية والولاية المطلقة تختص بمحمد (صلى الله عليه وآله وسلم) والمحمديين من عترته المعصومين ، ثم لا إمرة إلا شورى بين المؤمنين ، سواء أكانت إمرة الفتوى او الزعامة السياسية ، فانها مهما كانت عليمه ثقية عادلة فليست معصومة عن أخطاء ، ولانها لا بد منها في استمرارية الإمرة الاسلامية ، فلا بد من كونها في نطاق الشورى بين الرعيل الأعلى حتى تقل أخطاؤها وكما يروى الامام علي عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) « اجمعوا العابد من امتي فاجعلوا امركم شورى » (١)

والشورى في امور المؤمنين هي من سبل الايمان فتركها قطع لسبيل الايمان حسب درجات الامر الذي يتطلب الشورى .

فولاية الفقهاء محدودة لمكان أخطائهم قاصرة او مقصرة ، فان ثبت للمولى عليهم وهم غير الفقهاء أنهم أخطأوا في شيء حرم اتباعهم فيه إلا ان يقنعوهم ، وان لم يثبت فاتباعهم مفروض .

ثم لا ولاية لفقيه على فقيه مهما اختلفت درجاتهم ، ففي الاحكام الشرعية كل فقيه ولي نفسه ومن ليس بفقيه كما وفي المسائل السياسية الزمنية فليس ولي امر الامة زمن الغيبة إلا الشورى من الرعيل الاعلى ، بل وفي الاحكام الشرعية المرجع هو الشورى دون الأشخاص .

= الخصائص العلوية عن ابي هريرة وعز الدين ابو الحسن بن الاثير الشيباني عن ابن عازب وثلاثون آخرون اما زاد ذكرنا أسمائهم في علي والحاكمون ص ٨١ - ٨٢ .

(١) راجع آية الشورى في سورتها ج ٢٤ - ٢٥ من : الفرقان .

﴿ وازواجه امهاتهم ﴾ ... تنزيل لازواجه منزلة امهاتهم ، ولولا آية حجابهن عنهم « وإذا سألتموهن متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب ... » بل وزيادة على سائر المؤمنات كما هنا وفي خضوع القول « ولا تخضعن بالقول فيطمع الذين في قلبه مرض » ولولا امكانية تسريحهن « واسرحكن سراحاً جميلاً » حيث تنفصل عنهن الامومة بانفصال الزوجية ، لولاهما لكان التنزيل يعم من امومتهم كونهن محارم لهم فلا حجاب ، فانما الامومة هنا في وجوب حرمتهم كما الامهات ، وحرمة نكاحهن كما والنص يخصصها بالذكر « ما كان لكم ان تؤذوا رسول الله ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابداً » فالامومة النسبية لها وجوب حرمتها وحرمة زواجها ومحرميتها وميراثها ، وللرضاعية كل ذلك إلا ميراثها ، وللرسالية ليست إلا الاوليان وهما الاولان فيما يسبق الى الازدهان من اختصاصات الامومات ، فاما المحرمية فتتفها آية الحجاب : « وإذا سألتموهن متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب » ثم الميراث تنفيه الآية في ذيلها : « واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله » ولولاهما ايضاً في نفيهما لم يشملهما التنزيل ، حيث التنزيل لا يوازي الحقيقة ، ولان المقام مقام فائق الاحترام فلا يناسبه الميراث والتكشف . فلان التنزيل خص في مورد الحجاب ولم يذكر له مورد إلا حرمة نكاحهن فقد انفصم عراه وانحل فتله الشامل لكافة اختصاصات الامومة واختص بالمنصوص منها وحرمتهم كما الامهات ، فهذه امومة شعورية وشعارية وراء حرمة زواجهن ! .

وهل إن ذلك التنزيل مستمرٌ مهما تخلفن عن ساحة الرسالة ، بل وعارضنها واصبحن محادات لها ؟ لان هذه الامومة ذات علاقتين ، علاقة بالرسول اذ يتأذى ان تؤذى ازواجه وينكحن ، وعلاقة بهن اذ هن من حرمت الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) فانطلاقهن عن ساحة الرسالة بفاحشة مبينة تتهدم تلك الساحة المباركة فلا يتأذى اذاً من ان

ينكحن بعده ولا أَلَّا يحترمن كامهات ، اذاً ففي انطلاقهن هذا سماح لطلاقهن .

وقد يروى عن القائم المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف : « ان الله تقدس اسمه عظم شأن نساء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فخصهن بشرف الأمهات فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يا ابا الحسن إن هذا الشرف باق لمن ما من الله على الطاعة فايتهن عصت الله بعدي بالخروج عليك فأطلق لها في الأزواج واسقطها من تشرف الأمهات ومن شرف امومة المؤمنين » (١) !

وكان حقاً له أن يُسقط حقه بطلاقهن عن هذا الشرف فيما يضيع حقه في اولويته على المؤمنين بالخروج على أمير المؤمنين ومثيله في اولويته تلك في سُدّته العليا وإمرته المنصوصة عليهم .

تري إذا كانت ازواجه امهاتهم اليس - اذاً - هو اباهم في اصل الحرمة الوالدية فلماذا « النبي أولى » وليس « ابوهم » ؟ (٢) .

ان اولويته المطلقة اولى من الأبوية ، فانه اولى من ابويهم ومن كل ولي لديهم ! فهو الأب الأول للمؤمنين وولده الامة درجات اعلاها علي (عليه

(١) نور الثقلين ٤ : ٣٣٨ ح ١٧ في كتاب كمال الدين وتمام النعمة باسناده الى سعد بن عبد الله القمي عن الحجة القائم (عليه السلام) حديث طويل وفيه : قلت : فاخبرني يا مولاي من معنى الطلاق الذي فرض رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حكمه الى أمير المؤمنين (عليه السلام) قال (عليه السلام) : ان الله تقدس اسمه ...

(٢) في الدر المنثور ٥ : ١٨٣ اخرج عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة انهم قرأوا الآية باضافة « وهو اب لهم » اقول : وهو معروض عرض الحائط لكونه خلاف المتواتر الموجود من القرآن وان « النبي أولى بالمؤمنين » تعني فوق الابوة فلا حاجة الى ذكرها وليس مثله الا مثل القائل « محمد رسول الله وهو مؤمن » !

(السلام) ، فهو الاب الثاني للأمة وكما سائر الائمة (عليهم السلام) ومن ثم سائر الآباء ، وقد صح عنه (صلى الله عليه وآله وسلم) « انا وعلي ابوا هذه الامة » (١) ولانه اولى بالمؤمنين من انفسهم « كما النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وعلى حد قوله (صلى الله عليه وآله وسلم) « فوالله اني لأولى الناس بالناس » (٢).

﴿ .. واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين الا ان تفعلوا الى اولياءكم معزوفاً كان ذلك في الكتاب مسطوراً ﴾ (٣).

هنا تلميح ان قد مضى ربح من الزمن يتوارث فيه المسلمون بالايمان والهجرة ، ذلك ولما تستقر الدولة الاسلامية ، فقد آخى الرسول (صلى الله

(١) نور الثقلين ٤ : ٢٣٨ ح ١٨ في كتاب علل الشرايع باسناده الى علي بن الحسن بن فضال عن ابيه قال : سألت ابا الحسن (عليه السلام) فقلت له : لم كفي النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بابي القاسم ؟ فقال : لانه كان له ابن يقال له قاسم فكفي به قال قلت : يا ابن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فهل تراني اهلاً للزيادة ؟ فقال : نعم اما علمت ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : انا وعلي ابوا هذه الامة ؟ قلت : بلى قال : اما علمت ان علياً (عليه السلام) قاسم الجنة والنار ؟ قلت : بلى - قال : فقيل له ابوالقاسم لا ابو القاسم الجنة والنار فقلت : وما معنى ذلك ؟ فقال : ان شفقة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) على امته كشفتها الاباء على الاولاد وفضل امته علي (عليه السلام) ومن بعده شفقة علي عليهم كشفتها (صلى الله عليه وآله وسلم) لانه وصيه وخليفته والامام بعده فلذلك قال (عليه السلام) انا وعلي ابوا هذه الامة وصعد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) المنبر فقال : من ترك ديناً او ضياعاً فعلي والي ومن ترك ما لا فلورثته فصار بذلك اولى من ابائهم وامهاتهم وصار اولى بهم منهم بانفسهم وكذلك امير المؤمنين (عليه السلام) بعده جرى ذلك له مثل ما جرى لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) .

(٢) نهج البلاغة من كلام له عليه السلام .

عليه وآله وسلم) بين المهاجرين والانصار ، وكان هذا الإخاء صلة عريقة فريدة في تاريخ التكافل العقائدي لحدّ قام مقام قرابة الدم ، وارتفع فيه المدّ الشعوري الى ذروة عالية ، وقد اخذ مأخذ الجدّ ، قائماً مقام قرابة الدم اوزاد ، ولقد كان ذلك الإخاء العميق ضرورياً بأدى ذي بدء حفاظاً على هذه النشأة الوليدة الايمانية ، وتماسكة بقوة صارمة في تلك الظروف الإستثنائية ، وحتى تقوم الدولة على سوقها فتزول الضرورة الوقتية من ذلك الإخاء القائم مقام الدم ، فيبقى وراء التوارث كأشد ما كان على طول الخط .

فلما استتب امر الدولة واستقرت في مختلف حقولها الجماعية والسياسية والاقتصادية والعقائدية عاد النظام الحقوقي الاسلامي في التوارث بين اولى الارحام الى حالته التي « كان ذلك في الكتاب مسطوراً » .

اولوية النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بالمؤمنين من انفسهم وفي المحمديين من اولى امره ، دائمة ثابتة بشاكرتها المعصومة في فترة الرسالة والإمامة ، ومن ثم في الشورى من الرعيّل الاعلى في العابد من الامة بشاكره غير معصومة .

وامومة ازواجه باقية ما لم يتخلفن عما عليهن ، فبانطلاقهن عنه سماح الطلاق لصاحب الإمرة بعده وكما في طلاقه (صلى الله عليه وآله وسلم) نفسه .

والاخوة المورثة باقية ردحاً حتى تستتب امر الدولة ويقر قرارها .

ثم لهذه الآية واجهتان : خاصة قد تعني الاولوية في إمرة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بعده ، فاولوا ارحامه بعضهم اولى ببعض في كتاب الله من سائر المؤمنين من الأنصار والمهاجرين .

فهناك أولويتان اثنتان ، أولاهما أولوية ذوي ارحامه (صلى الله عليه وآله وسلم) من سائر المهاجرين والانصار ، والاخرى الأولوية بين ارحامه انفسهم ، فعلياً أولى من آل عباس ، والحسنان أولى من سائر ولد الامام ، وولد الحسين (عليه السلام) أولى من ولد الحسن ، وزين العابدين أولى من سائر ولد الحسين ، ومن ثم سائر الاثثة (عليهم السلام) حتى القائم المهدي (عجل الله تعالى فرجه) أولوية بالانتصاب ، وكما الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) منتصب في أوليته بالمؤمنين من انفسهم ، كل ذلك بوحى من الله « كان ذلك في الكتاب مسطوراً » وعله أم الكتاب أو اللوح المحفوظ أماذا من كتاب الله (١) .

(١) لقد مضى شطر من الاحاديث في آية « اولوا الارحام » واليكم شطراً آخر ، ففي تفسير البرهان ٣ : ٢٩١ ح ٢ عن الكافي عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : لا تعود الامامة في اخوين بعد الحسن والحسين (عليهما السلام) ابداً انما جرت من علي بن الحسين (عليه السلام) كما قال الله « واولوا الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله » فلا تكون بعد علي بن الحسين الا في الاعقاب واعقاب الاعقاب .

وفيه ح ١٣ - ابن بابويه باسناده عن عبد الاعلى بن اعين قال : سمعت ابا عبد الله (عليه السلام) يقول : ان الله خص علياً بوصية رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وما يصيبه له فاقر الحسن والحسين (عليهما السلام) له بذلك ثم وصية للحسن وتسليم الحسين للحسن (عليه السلام) ذلك حتى افضى الامر للحسين (عليه السلام) لا ينزعه فيه احد له من السابقة مثل ما له واستحقها علي بن الحسين يقول الله عز وجل « واولوا الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله » فلا تكونن بعد علي بن الحسين (عليه السلام) الا في الاعقاب واعقاب .

وفيه ح ١٤ عنه باسناده عن ثابت الثمالي عن علي بن الحسين (عليه السلام) عن ابيه عن علي بن أبي طالب (عليه السلام) قال : فينا نزلت هذه الآية « واولوا الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله » وفيها نزلت هذه الآية « وجعلها كلمة باقية في عقبه » والامامة في عقب الحسين (عليه السلام) الى يوم القيامة ... « .

ومن ثم تنتقل الاولوية بالرحم عن عنوانها المشير بعد الإمرة المعصومة ، الى الاولوية بالشورى ، وأولوية الشورى في إمرة السياسة والفتوى ، ف- « اولوا الارحام » عنوان مشير في الإمرة المعصومة المنتصبة حيث الرحم - فقط - ليس ليختص بنفسه الإمرة إلا للأصلحية المنصبة إليه وهي الأصلية ، ثم هو في الميراث عنوان للحكم بالاولوية فيه حيث الرحم وقربه هو موضوع الحكم لكونه الرحم ، وهو في إمرة الشورى عنوان بين الاشارة والموضوعية ، اشارة الى الاقربين الى أهل بيت الرسالة علماً وتقوى ارحاماً وغير ارحام ، وهي بنفسها الموضوعية حيث الاقربى إليهم في روحية الرحم هي موضوع الاصلحية في الإمرة .

ف- « اولوا الارحام » تعني اولي ارحام النبي (صلى الله عليه وآله

وفيه ح ١٥ عنه باسناده عن اسماعيل بن عبد الله قال قال الحسين بن علي (عليه السلام : لما أنزل الله تبارك وتعالى لي هذه الآية « واولوا الارحام .. » سألت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عن تأويلها فقال : والله ما يعني بها غيركم وانتم اولوا الارحام فاذا مت فابوك علي اولى بي وبمكاني فاذا مضى ابوك فاخوك الحسن (عليه السلام) فاذا مضى الحسن فانت اولى به فقلت يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ا ومن بعدي ؟ قال : ابنك علي اولى بك من بعدك فاذا مضى فابنه محمد اولى به فاذا مضى محمد فابنه جعفر اولى به من بعده وبمكانه فاذا مضى جعفر فابنه موسى اولى به من بعده فاذا مضى موسى فابنه علي اولى به من بعده فاذا مضى علي فابنه محمد اولى به من بعده فاذا مضى محمد فابنه علي اولى به من بعده فاذا مضى علي فابنه الحسن اولى به من بعده فاذا مضى الحسن وقعت الغيبة في التاسع من ولدك فهذه الائمة التسعة من صلبك اعطاهم الله علمي وفهمي طيبتهم من طينتي ما لقوم يوذوني فيهم لا اناهم الله شفاعتي اقول : وتاويل آية اولي الارحام بذلك بالغ حد التواتر وفيها نقلناه الكفاية كنموذج .

وفي ملحقات الاحقاق ٣ : ٤١٨ ذكر نزولها في علي وائمة اهل البيت جماعة من ائمة الحديث منهم الترمذي في مناقب مرتضوي ٦٢ نقل اتفاق المفسرين على نزولها في علي لانه الذي كان مؤمناً ومهاجراً وابن عمه ومنهم ابن مردويه في المناقب كما في كشف الغمة ٩٥

وسلم (نسبياً وروحياً ، ثم اولي ارحامه روحياً ، ومن ثم اولي ارحام المؤمنين نسبياً ، تجمع هذه الثلاث وتعنيها ، قضية المناسبة في ادب اللفظ وحذب المعنى ! .

تري اذ تعني الآية فيما تعنيه الاولوية بالإمرة بين اولي ارحام الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) فلماذا « اولي ببعض » لا « من بعض » ؟ - لانها تعني اولويات عدة هذه منها فلذوي ارحام الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) اولوية الإمرة من غيرهم ، ومن بينهم انفسهم ، وكذلك الاولوية في الميراث بين اولي الارحام ككل من المؤمنين والمهاجرين نسخاً للتوارث بالاخوة ، ومن بينهم انفسهم الاقرب فالاقرب .

ف - « اولي ببعض من . . » هنا تعني اولوية في الامرة عكس ما كان « النبي اولي بالمؤمنين من انفسهم » انهم اولي بالنبي في امرته بعده من غيرهم ، وبعضهم اولي ببعض في ميراث الإمرة من غيرهم ، فعلي اولي بالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من غيره كما الحسنان اولي بعلي من غيرهما وهلم جراً الى قائمهم ، اولوية ذات بعدين ، بمن سوى اولي الارحام ، ومن سواهم بينهم ، الأقرب فالاقرب فيما يحملون من معنى الرسالة وحقيقتها .

فللاولوية واجهتان : خاصة تخص اولي ارحام النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بينهم انفسهم ومن سواهم ، وعامة نعم اولي الارحام كلهم في اولوية الميراث تعني تفاضلاً بينهم وبين من سواهم من المؤمنين والمهاجرين نسخاً للتوارث بالاخوة ، وتفاضلاً بينهم انفسهم بالتقريب والأقرب ، فانهم طبقات لا ترث كل تالية مع وجود السابقة ، ضابطة عامة صارمة في كل توارث .

إذا فال ميراث فرضاً ورداً يختص بالأقرب رَحماً ، فكما لا نصيب لثاليه من فرضه كذلك مما زاد ، فان ترك بنتاً من الطبقة الاولى لا سواها ، اخذت نصفه بالفرض : « وان كانت واحدة فلها النصف » ورد الباقي اليها لآية « اولوا الارحام » فانها مطلقة في الميراث ، وليس لسائر الطبقات معها ولا للعصبة حق من زائد الفرض ، حيث البنت اولى بابيه عن بعدها لانها اقرب ، واذا كان ذو فرض ليس معه اي وارث من طبقاته فله المال كله فرضاً ورداً (١) .

﴿ ... من المؤمنين والمهاجرين الا ان تفعلوا الى اوليائكم معروفاً كان ذلك في الكتاب مسطوراً ﴾ (٦)

« إلا ... » استثناء فقط عن اولوية الميراث و« اوليائكم » تعم ولاية القرابة والمحبة والرقية ، و« معروفاً » يخص الثلث وما دونه بدليل آيات الوصية بالثلث ، ومما يدل على مثلث السولية : « واذا حضر القسمة اولوا القربى يتامى والمساكين فيارزقوهم منه وقولوا لهم قولاً معروفاً » (٤ : ٨) (٢) .

و « كان ذلك » قد يعني هذه الثلاث كلها ، مما يدل على ان الوراثة بالإخاء كانت مؤقتة في ربح من بداية الدولة الاسلامية مصلحة .

وهل خصت فاطمة الصديقة عن آية « اولوا الارحام » فكان سائر المؤمنين اولى منها بفدك وغير فدك ام لم تكن هي من اولى ارحام الرسول

(١) في الكافي باسناده عن حنان قال قلت لابي عبد الله (عليه السلام) اي شيء للموالى ؟ فقال : ليس لهم من الميراث الا ما قال الله عز وجل « إلا ان تفعلوا الى اوليائكم معروفاً » .

(٢) في احاديث متظافرة ان علياً (عليه السلام) اعطى الميراث كله لخالة دون المولى او بيت المال اذا كانت وحدها ليس معها وارث غيرها .

(صلى الله عليه وآله وسلم) ام - انها ولا سمح الله - كانت كافرة لا ترث ابيها ؟ سلوا الخليفة ابا بكر وزميله عمر عن هذه المسألة تسمعون الحديث المختلق « نحن معاشر الانبياء لا نورث ما تركناه صدقة » ثم سلوها تحبيكم بآيات الارث ، رداً لحديث الخليفة الى كتاب الله وضرباً عليه عرض الحائط لمخالفة الكتاب في خطبتها

وقد نقلها ائمة الحديث بما لا نكير عليه ^(١) ! .

﴿ واذا اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم واخذنا منهم ميثاقاً غليظاً ^(٢) ليسأل الصادقين عن صدقهم واعذ للكافرين عذاباً اليماً ^(٣) ﴾ .

ميثاق واحد مطردٌ يشمل كافة « النبيين » فانه جمع محلى باللام يفيد استغراق مدخوله ، و « ميثاقهم » يوحي باختصاصه بهم لا يعدوهم الى سواهم من نبي او مرسل غير نبي حيث « النبيين » هم اولوا النبوة والرفعة بين المرسلين فضلاً عن غيرهم من نبي لم يرسل فضلاً عن ان ينبو في رسالته !

فلو كان الميثاق لعامة المرسلين لكان « من المرسلين » ام ولعامة من يوحي اليهم وان لم يرسلوا لكان « النبيين » ام لعامة الصديقين او الصادقين لكانوا هم ام اولاء ولكنه « من النبيين » .

هنا ميثاق منهم يعمهم ، لامر ما يعمهم كلهم في هامة النبوة ، وفي أخرى ميثاق آخر منهم كلهم لا يمانهم ونصرتهم لآخرهم مبعثاً وأولهم ميثاقاً : « واذا أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم

(١) ومنهم احمد بن ابي طاهر البغدادي في بلاغات النساء ١٤ وابن ابي الحديد في شرح التلخيص ٤ : ٧٨ و ٩٢ وعمر رضا كحالة في اعلام النساء ٣ : ١٢٠٨ وابو بكر الجوهري في كتابه على ما في تغلثم الزهراء ٣٨ .

رسول مصلق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين (٣ : ٨١)
 هنا إصر باقرار وشهادة لميثاق الايمان والنصرة بهذا الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وهنالك ميثاق غليظ ، فاین ميثاق من ميثاق ، كما البون بينهم وبين خاتم النبيين !

وفيا هنالك ايضاً نراه يتصبر في ميثاقهم : « ومنك » وهو آخرهم ، عما يوحى بساويلته ميثاقاً ونبوة ورفعة ومن ثم « من نوح » ومن بعده حسب الترتيب الرسالي لا الرسولي .

وهنا ترتيب ثلاثي بعموم النص لـ « النبيين » واختصاص صاحب الرسالة الاخيرة بينهم « ومنك » ثم اختصاص ثان بين من دارت عليهم الرحي ، يهدف الى بيان محتده الاول في نبوته وميثاقه ومنازله الرسالية والرسولية بينهم ، وكما يبين ان الخمس المذكورين هم افضل النبيين ككل .

فقيم بسئل : متى اخذ ميثاقك ؟ (١) متى استتبثت ؟ (٢) متى كنت نبياً ؟ (٣) متى وجبت لك النبوة ؟ (٤) متى جعلت نبياً ؟

(١) الدر المنثور ٥ : ١٨٤ - اخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال قيل يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : ا .

(٢) المصدر اخرج ابن سعد قال قيل يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : ا .

(٣) المصدر اخرج البزار والطبراني في الاوسط وابو نعيم في الدلائل عن ابن عباس قال قيل يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : . . واخرجه مثله احمد والبخاري في تاريخه والطبراني والحاكم وصححه وابو نعيم والبيهقي معاً في الدلائل عن مسيرة الفخر قال قلت يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : ا . . واخرج مثله ابن سعد عن مطرف بن عبد الله ابن الشخير ان رجلاً سأل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : . .

(٤) المصدر اخرج الحاكم وابو نعيم والبيهقي عن ابي هريرة قال قيل للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) : . .

(١) ؟ يجيب : « وآدم بين الروح والجسد » - « وآدم منجدل في الطين »
 « وآدم أبين الروح والطين » وكان اذا قرأ الآية قال : بدى بي في
 الخير وكنت آخرهم في البعث (٢) « كنت أول النبيين في الخلق وآخرهم في
 البعث فبدى بي قبلهم » (٣) وعلى الجملة « كنت نبياً وآدم بين الماء والطين » (٤)
 فهل يعني من نبوته « وآدم بين الروح والجسد » نبوته في علم الله ؟
 وقد كان يعلمها قبل ان يخلق الخلق ! وكان يعلم نبوة سائر النبيين
 كذلك ، وذلك مخصوص به .

او يعني كونه مخلوقاً قبل خلق آدم ابيه ؟ ولم يخلق إلا من ابيه !
 ام يعني نبوته في الروح قبل ان يخلق جسده من آدم ، فكونه قبله -
 اذا - ليس كونه ككل فائماً هو نبوته ؟ والقرآن ينص على ان واقع نبوته كان
 بعد روح من خلقه في جسده !

ام يعني منها كيان نبوته حينذاك لا كونها كما كان يوم مبعثه ، وكما تدل
 عليه آية الميثاق له « إذ اخذ الله ميثاق النبيين .. لتؤمنن به ولتنصرنه »
 ولانبي كمثل يوحى على من قبله ميثاق نصرته والايمان به وهو لم يبعث
 بعد ؟ وهذا صحيح في نفسه ولكنها الميثاق المأخوذ عليه بينهم وقبلهم هنا

= الله عليه وآله وسلم) .. قال بين خلق آدم ونفخ الروح فيه .

(١) المصدر اخرج ابو نعيم عن الصنابحي قال قال عمر : ...

(٢) المصدر اخرج ابن ابي شيبة عن قتادة قال كان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)
 اذا قرأ ...

(٣) المصدر اخرج الحسن بن سفيان وابن ابي حاتم وابن مردويه وابو نعيم في الدلائل
 والديلمي وابن عساكر من طريق قتادة عن الحسن عن ابي هريرة عن النبي (صلى الله
 عليه وآله وسلم) في الآية : ...

(٤) كما استفاض من طرق الامامية .

يتطلب له كوناً يجب ذلك الكيان ، فهم كلهم مشتركون في كونٍ ما ، اخذ عليهم فيه الميثاق العام ، وهو قبلهم في ذلك الكون اضافة الى ذلك الكيان .

فقد كان قبل ان يخلق ويبعث نبياً له كيان الايمان به والنصرة له من النبيين اجمع ، كما له كونٌ في الروح قبل خلقه ككل وقبل بلوغه ذروة النبوة ، وقد يصلح هذا المعنى لقوله (صلى الله عليه وآله وسلم) اخذ علي الميثاق واستنبثت آدم بين الروح والجسد (١) .

(١) تفسير البرهان ٣ : ٢٩٤ ح ١ علي بن ابراهيم قال حدثني ابي عن النضر بن سويد عن ابن سنان قال قال ابو عبد الله (عليه السلام) اول من سبق الى الميثاق رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وذلك انه كان اقرب الخلق الى الله وما كان بالمكان الذي قال له جبرئيل لما اسري به الى السماء تقدم يا محمد لقد وطئت موطئاً لم يطأه ملك مقرب ولا نبي مرسل ولو لا ان روحه ونفسه كانت من ذلك المكان لما قدر ان يبلغه فكان من الله عز وجل كما قال الله ككتاب قوسين او ادنى اى بل ادنى فلما خرج الامر وقع من الله الى اوليائه عليهم السلام ، فقال الصادق (عليه السلام) كان الميثاق مأخوذاً عليهم لله بالربوبية ولرسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) بالنبوة ولامير المؤمنين والائمة عليهم السلام بالامامة فقال : الست بربكم ومحمد (صلى الله عليه وآله وسلم) نبيكم وعلي (عليه السلام) امامكم وائمة الهادين (عليهم السلام) ائمتكم ؟ قالوا : بلى فقال الله : شهدنا ان تقولوا يوم القيامة اى لثلاث تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين فأول ما اخذ الله الميثاق على الانبياء له بالربوبية وهو قوله : واذا اخذنا من النبيين ميثاقهم فذكر جملة الانبياء ثم ابرز عز وجل افضلهم بالاسامي فقال : ومنك يا محمد فقدم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لانه افضلهم ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم فهؤلاء الخمسة افضل الانبياء ورسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) افضلهم ثم اخذ بعد ذلك الميثاق لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على الايمان به وهل ان ينصروا امير المؤمنين (عليه السلام) فقال : واذا اخذ الله ميثاق النبيين لما آتيكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم يعني رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لتؤمنن به ولتنصرنه يعني امير المؤمنين (عليه السلام) فنجبروا ائمتكم بخبره وخبر وليه من الائمة (عليه السلام)

•• الجزء الواحد والعشرون

عرفنا الميثاق له منهم في نصرة له وإيمان به هما لزام نبوتهم ، وإيتاء الكتاب والحكمة لهم ، فما هو الميثاق الذي يعمه معهم « وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً » ؟ .

قد يعنيهما « منهم » دون « منكم » وقد كان يتطلبه « ومنك » خطاب الحاضر ، « أخذنا منهم » لك كما في آية آل عمران ، وأخذنا منهم وانت فيهم كما هنا ، فغلظ الميثاق علّه لغلظ الموثوق له ، فميثاقهم ككل « ميثاقهم » و « ميثاق النبيين » لك « ميثاقاً غليظاً » أمّاذا ؟

قد نتعرف الى ميثاقهم كلهم من « ليسأل الصادقين عن صدقهم » ومن سئوالهم انفسهم ألا يتخرجوا في الانذار كما امروا : « كتاب أنزل اليك فلا يكن في صدرك حرج منه لتذير به وذكرى للمؤمنين . اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلاً ما تذكرون . . فلنسألن الذين أرسل اليهم ولنسألن المرسلين فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين » (٧ : ٧) « ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له سنة الله في الذين خلوا من قبل » (٣٣ : ٢٣٨)

وأول الانذار الجماعي هو عن الإشراك بالله « واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يُعبدون » (٤٣ : ٤٥) والآ يسألوا أجراً على بلاغهم ويستقيموا اليه .

كذلك والسنة الجماهيرية الرسالية « ان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاعبدون » (٢١ : ٩٢) « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه » (٤٢ : ١٣) .

ثم و « ليسأل الصادقين عن صدقهم » لها واجهتان كما للميثاق ، ف - « الصادقين » المسئولين عن ميثاقهم له (صلى الله عليه وآله وسلم) هم

النبيون ، اذ يسألون عن صدقهم في إقرارهم وأخذهم الإصر في ميثاقهم «ليؤمنن به ولينصرنه » « واعد للكافرين » بهذه الرسالة الاخيرة «عذاباً اليماً»

وفي واجهة عامة يُسأل الصادقون - النبيون - عن صدقهم في ميثاقهم ، والصادقون سواهم كذلك ، والمستول والمستول عنه شاهدا صدق على صدقهم (عليهم السلام) فيما كان عليهم .

وكما يسأل الصادقون الآخرون عن صدقهم في تصديقهم لهم (صلوات الله عليهم) وتطبيقهم شرعتهم « واعد للكافرين » تصديقاً او تطبيقاً « عذاباً اليماً » .

ثم وفي واجهة عامة «ليسأل الصادقين» من نبين وسواهم « عن صدقهم » فيما حُمِّلوا ، هل حَمَلُوا بما تحمَّلُوا من تبليغ ومن تطبيق ، وقد تعنيها الآية كلها ، فالكل مستولون عما ارسلوا وعما حَمَلُوا وتحملوا عما اعتقدوا .. « يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم .. » (٥ : ١٠٩) .

ذلك ميثاق غليظ على النبين اجمعين ليسئلهم « الصادقين » عن صدقهم (١) وليسأل الصادقين المرسل اليهم عن صدقهم اولاء وعن صدقهم انفسهم

(١) الدر المنثور ٥ : ١٨٣ - اخرج الطبراني وابن مردويه وابو نعيم في الدلائل عن ابي مريم الغساني أن اعرابياً قال يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ما أول نبوتك ؟ قال : اخذ الله مني الميثاق كما اخذ من النبين ميثاقهم ثم تلا « واذ اخذنا من النبين ميثاقهم ... » ودعوة ابي ابراهيم قال : وابعث فيهم رسولا منهم وبشارة المسيح بن مريم ورائت ام رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في منامها انه خرج من بين رجلها سراج اضاعت له قصور الشام .

في تصديقهم ، مما قد يلحق بأخذ الميثاق من المرسل إليهم مع المرسلين ،
وعله من فطرهم اماذا مما هو حجة عليهم ، إذ لم يكونوا قبل كونهم في
كون أو كيان به يعقلون ^(١) وقد يعنيه الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)
فيما يرويه « خلق الله الخلق وقضى القضية وأخذ ميثاق النبيين
وعرشه على الماء فأخذ أهل اليمين بيمينه وأخذ أهل الشمال
بأيده الأخرى وكلتا يدي الرحمن يمين فأما أصحاب اليمين فاستجابوا
إليه . . . قال قائل فما العمل فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) يعمل كل
قوم لمثرتهم . » ^(٢) فاهل اليمين هو من استجاب لفطرته خلاف اهل
الشمال ، دون ان يسبقهم عالم قبل خلقهم إذ لا يذكره أحد فكيف يكون
حجة عليه اللهم إلا أحكام الفطرة التي فطر الناس عليها !

مركز تحقيق كالمبيوتر علوم إسلامي

(١) المصدر اخرج أبو نعيم والديلمي عن ابن مسعود قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ليس من عالم الا وقد اخذ الله ميثاقه يوم أخذ ميثاق النبيين يدفع عنه مساوي عمله لمحاسن عمله الا انه لا يوحى اليه .

(٢) المصدر اخرج الطيالسي والطبراني وابن مردويه عن أبي العالية قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) . . . فاستجابوا اليه فقالوا لبيك ربنا وسعديك قال الست بربكم قالوا بلى فخلط بعضهم ببعض فقال قائل منهم يا رب لم خلطت بيتنا فان لهم اعمالاً من دون ذلك هم لها عاملون ؟ قال : ان يقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين ثم ردهم في صلب آدم (عليه السلام) فاهل الجنة اهلها واهل النار اهلها فقال قائل فما العمل فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : . . . فقال ابن الخطاب اذن نجتهد يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا

أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَ تَكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ

رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ؕ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾

إِذْ جَاءَ وَكُرَّ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ

الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ

الظُّنُونًا ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا

شَدِيدًا ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ

مَّرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَتِ

طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا

وَيَسْتَعْزِذُونَ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا

هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ وَلَوْ دَخَلَتْ عَلَيْهِمْ

مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سَأَلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْنَهَا وَمَا تَلَبَّثُوا فِيهَا إِلَّا

بِسِيرًا ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ كَانُوا عَاهِدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُؤْلُونَ
 الْأَدْبَرَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْغُولًا ﴿١٥﴾ قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ
 الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُنْتَعُونَ
 إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ
 أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ
 دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾ * قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ
 مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَاسَ
 إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشْجَةٌ عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ
 يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ
 الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِالسِّنَةِ حَدَادٍ أَشْجَةً
 عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ وَكَانَ
 ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا

وإن يأتِ الأحزابُ يودُّوا لو أنَّهم بادُّونَ في الأعرابِ
يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَاءِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَتَلُوا إِلَّا
قَلِيلًا ﴿٢٠﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ
لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾
وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ
وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا
وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ
عَلَيْهِ فَنَهُم مِّن قِصَّةٍ نَّحْبُهُ وَمِنْهُمْ مَّن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا
تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ
الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا
رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا
وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيمًا ﴿٢٥﴾

وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ
وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ
فَرِيقًا ۖ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ
تَطْعُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾



غزوة الاحزاب - الخندق ؟ !

لقد جند الكفر احزابه وتجمع خيله ورجله في خندق واحد ضد الايمان كله حول المدينة المنورة ، وهنا مقطع من سورة الاحزاب في تسعة عشر آية ، يتحدث عن غزوة الاحزاب كحدث ضخم من الأحداث التي ابتلي بها المسلمون في حياة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) «هناك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً» يتحدث هنا عن موقف المؤمنين ووقف المنافقين بينهم وبين الأحزاب مزعزعين ، وموقف النعمة الخاصة الربانية التي خصتهم في تلكم الزلزال والزعزعة ، مما يتوجب عليه أن يدخروه زاداً لهم في عراقيل السبيل الى تحكيم الدولة الاسلامية على مر الزمن حتى تقوم الدولة الاسلامية العالمية زمن المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف .

غزوة الاحزاب - في السنة الرابعة او الخامسة من الهجرة - كانت

امتحاناً للمؤمنين ، وامتهاناً للمنافقين ، ومدحرة للأحزاب الكافرة التي استهدفت بتحزبها الجماعي الجماهيري استئصال ناشئة الإسلام ، فاندحرت هي رغم عِدَّتِها وعُدَّتِها الهائلة «ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قوياً عزيزاً . وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب فريقاً تقتلون وتأسرون فريقاً وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضاً لم تطؤوها وكان الله على كل شيء مقتدرًا» .

لقد تحزب المشركون واليهود بأسرهم ، ومعهم اضرايهم من منافقين وسواهم تدخلاً في حرب او تخلفاً عن حربيهم ، فحلّقوا على المدينة من فوق ومن اسفل حتى زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وظن ظانون بالله الظنون ، وابتلي المؤمنين وزلزلوا زلزالاً شديداً ، وقال المنافقون قولتهم وفعلوا فعلتهم ، وهنالك ادرك الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) والمؤمنين نصرٌ من الله ف- « كفى الله المؤمنين القتال .. » ! :

﴿ يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءكم جنود فارس لنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها وكان الله بما تعملون بصيراً ﴾ (٩) .

في هذا العرض الوجيز تبدأ المعركة وتختتم بعناصرها الغيبية الحاسمة لها لصالح المؤمنين ، و « نعمة الله » دون « نعمة من الله » توحى انها كانت لدنية خاصة ، كأن نعمة النصر الايمانية منحصرة فيها منحصرة عن سواها ، فهنالك هجمة الاحزاب « إذ جاءكم جنود » ففاجأتها ما لم يخلد بخلدها « فارسنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها » - وقد قال الرسول

(صلى الله عليه وآله وسلم) يوم الاحزاب : « الآن نغزوهم ولا يغزونا » (١) .

وكيف تحزبوا ضد المؤمنين بكل طاقاتهم وامكانياتهم ، وكيف قُتلوا وأُسروا وحُسروا وانحسروا دون حرب طاحنة؟ (٢) فهذه الآيات يقص

(١) الدر المنثور ٥ : ١٩٢ - اخرج احمد والبخاري وابن مردويه عن سليمان بن صرر قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يوم الاحزاب : . .

(٢) علي بن ابراهيم القمي يذكر قصة الاحزاب بتفصيل يقول فيه . . فانها نزلت في قصة الاحزاب من قريش والعرب الذين تحزبوا على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وذلك ان قريشاً تجمعت في سنة خمس من الهجرة وساروا في العرب وجلبوا واستفزههم لحرب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فوافوا في عشرة آلاف ومعهم كنانة وسليم وفزارة وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حين اجل بني النضير وهم بطن من اليهود من المدينة وكان رئيسهم حي بن اخطب وهم يهود من بني هارون فنجا احدهم من المدينة صاروا الى خيبر وخرج حي بن اخطب الى قريش بمكة وقال لهم ان محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) قد وترككم ووترنا واجلانا من المدينة من ديارنا واموالنا واجلا بين عمنا بني قينقاع فسيروا في الارض واجمعوا حلفاءكم وغيرهم وسيروا اليهم فانه قد بقي من قومي بيثرب سبعمة مقاتل وهم بنو قريظة وبينهم وبين محمد عهد وميثاق وانا احملهم على نقض العهد بينهم وبين محمد ويكونوا معنا عليهم فتاتونه انتم من فوق وهم من اسفل وكان موضع بني قريظة من المدينة على قدر ميلين وهو الموضع الذي يسمى بئر بني المطلب فلم يزل يسير معهم حي بن اخطب في قبائل العرب حتى اجتمعوا قدر عشرة آلاف من قريش وكنانة والاقرع بن حابس في قومه والعباس بن مرداس في بني سليم فبلغ ذلك رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فاستشار =

القصة كما يتضمن رئوس أقلامها وكما يضمن بقاءها على مد الزمن نموذجاً بارعاً من نماذج النصر ، كاشفة لهم من جوانبها ما لم يدركوها ، ويلقي

= اصحابه وكانوا سبعمائة رجل فقال سلمان يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ان القليل لا يقاوم الكثير في المطاولة ولا يمكنهم ان يأتونا من كل وجه فانا كنا معاشر العجم في بلاد فارس اذا دهمنا دهم من عدونا نحفر الخنادق فيكون الحرب من مواضع معروفة فنزل جبرئيل على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال : اشار بصواب فامر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بحفرة من ناحية أحد الى راتج وجعل على كل عشرين خطوة وثلاثين خطوة قوماً من المهاجرين والانصار يحفرونه فامر فحملت المساحي والمعاول وبدأ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) واخذ معولاً فحفر في موضع المهاجرين بنفسه وامير المؤمنين (عليه السلام) ينقل التراب من الحفرة حتى عرق رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وقال : لا عيش الا عيش الآخرة اللهم ارحم للانصار والمهاجرة فلما نظر الناس الى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يحفر اجتهدوا في الحفر ونقل التراب فلما كان في اليوم الثاني بكروا الى الحفر وقعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في مسجد الفتح فبينما المهاجرون والانصار يحفرون اذ عرض لهم جبل لم يعمل المعاول فيه فبعثوا جابر بن عبد الله الانصاري الى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يعلمه بذلك قال جابر فجئت الى المسجد ورسول الله مستلقي على قفاه ورداءه تحت رأسه وقد شد على بطنه حجراً فقلت يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قد عرض لنا جبل لم تعمل المعاول فيه فقام مسرعاً حتى جاءه ثم دعا بماء في اناء فغسل وجهه وذراعيه ومسح على رأسه ورجليه ثم شرب ومج في ذلك الماء ثم صبه على ذلك الحجر ثم اخذ معولاً فضرب ضربة فبرقت برقة فنظرنا فيها الى قصور الشام ثم ضرب أخرى فبرقت برقة نظرنا فيها الى قصور المدائن ثم ضرب أخرى فبرقت برقة فنظرنا فيها الى قصور اليمن فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) اما إنه سيفتح الله عليكم هذه المواطن التي برقت فيها البرق ثم انهال علينا الجبل كما ينهال علينا الرمل فقال جابر : فعلمت ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مقو اي جائع لما رأيت على بطنه الحجر فقلت يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) هل لك في الغذاء ؟ قال : ما عندك يا جابر ؟ فقلت : عناق =

اضواءً منها على سراديب النفوس ومنحنيات القلوب ومخبّثات الضمائر ولكي يتدربوا ويتأدّبوا بمعدات الحرب الدفاعية الوقائية كيفما كانت عدّة المهاجمين وعدّتهم وتلك نعمة منقطعة النظير في هكذا الخطر الخطير « اذ جاءكم جنود من فوقكم ومن اسفل منكم . . » وبلغت القلوب الحناجر « وابتليتم وزلزلتم زلزلاً شديداً » فارسلنا عليهم ريحاً « راحت بها راحتهم وانزاحت عدّتهم وعدّتهم » وجنوداً لم تروها « وعلمهم رأوها وهابوها فانهمزوا دون حرب طاحنة

﴿ وكان الله بما تعملون بصيراً ﴾

قد تكون هذه الريح ريح الصبا كما يروى عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ^(١) والجنود عليهم من الملائكة المردفين كما في آية اخرى .

﴿ اذ جاءوكم من فوقكم ومن اسفل منكم واذا زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا ^(١) ﴾ .

« من فوقكم ومن اسفل منكم » هما جانبان من جوانب المدينة ، والمهاجمون على أحزابهم حزبان : اليهود والمشركون ، اذاً فأحدهما « جاءوكم من فوقكم » والآخر « من اسفل منكم » وطبعاً المشركون من جانب مكة فهو جانبها الغربي : « من اسفل منكم » فاحزاب اليهود من

« (الأنثى من اولاد للعز) وصاع من شعير فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) تقدم واصلح ما عندك قال جابر فجئت الى أهلي فأمرتها فطحننت الشعير وذبحت العنز وسلختها وأمرتها ان تمز وتطبخ وتشوي فلما فرغت من ذلك جئت الى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) .

(١) الدر المنثور • : ١٨٥ - اخرج البخاري ومسلم والنسائي وابن مردويه عن ابن عباس قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدهبور .

الجانب المقابل الشرقي : من فوقكم ، وما أطفه تعبيراً للشرقي بالفوق حيث اليهود كانوا قريين منهم كانوا فوق رؤوسهم وإن المشرق فوق إذ تنفوق فيه الشمس فهو يتفوق المغرب ، وما أطفه للغربي «أسفل منكم» لا «سفلكم» فانهم كانوا بعيدين عنهم وفي الجانب الغربي وهو سفلى الشمس .

ثم الجاثون من فوق كانوا أخطر لقرهم مكاناً ويعددهم عن التهجم لمكان العهد التي وثقت بينهم وبين النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فمفاجئتهم أخطر ، وخطرهم أكثر ، ولكننا المشركون كانوا أسفل لبعده المكان والتهيم لهم أكثر مما لليهود بفارق عدم الميثاق .

هنا تتمثل صورة الهول الفظيع الفجيع التي سلبت من جموع المؤمنين أبصارهم : « واذ زاغت الأبصار » وقلبت قلوبهم : « وبلغت القلوب الحناجر » فخلقت ظنوناً لا تليق بساحة الإيمان : « وتظنون بالله الظنونا » إنهم إذ يرون الحق كله معهم والباطل كله مع الأحزاب ، ثم يفاجئون بهذه الفجأة النكراء الدهماء الدهياء ، فكيف تظل أبصارهم كمادتها لا تريخ ، وقلوبهم في مكاناتها لا تبلغ الحناجر ، ولكن لماذا « تظنون بالله الظنونا » دون أن ترونها امتحاناً وبلاءً دون امتهانة لعناء .

زُيغ الأبصار هو انحرافها عن حق الإبصار إذ أبصروا الأحزاب هاجمة ، وبلغ القلوب الحناجر يصور مدى الخوف حيث كادت تزهق به النفوس .. وهذه حالة المجموعة من ضعفاء الإيمان والمنافقين ، وأما المؤمنون الحقيقيون « ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيماناً وتسليماً » (٣٣) .

قصة الأحزاب هنا ترسم مربعاً من وسطها للمهاجرين ، وللمؤمنين ، وضعفاء الإيمان ، وللمنافقين ، فتوضح لكل دوره

﴿ هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً ﴾^(١).

في هذه البلية الزلزال: نجح اقوياء الايمان: « ولما رأى المؤمنون الاحزاب » وزلزل الاخفاء وبسطاء الايمان: « اذ زاغت الابصار .. » وبرز كامن النفاق من المنافقين المدعين الايمان « واذا يقول المنافقون .. » وقد تشمل الكل « هنالك ابتلي المؤمنون ... » ام وقبلها « يا ايها الذين آمنوا .. » فانهم آمنوا بالسنتهم ولم تؤمن قلوبهم ، والبسطاء: « ولما يدخل الايمان في قلوبهم » ولكننا الاقوياء آمنوا بقلوبهم كما آمنوا بالسنتهم ففينا بلغت قلوبهم الحناجر قالوا يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ! هل من شيء نقول فقد بلغت القلوب الحناجر؟ قال: نعم قولوا: اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا فضرب الله وجوه اعدائه بالريح فهزمهم الله بالريح^(١)

(١) الدر المنثور ٥ : ١٨٥ - اخرج احمد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن أبي سعيد الخدري قال قلنا يوم الخندق يا رسول الله (ص) ! .. وفيه اخرج الحاكم وصححه وابن مردويه وابن عساكر وابو نعيم والبيهقي كلاهما في الدلائل من طرق عن حذيفة قال: لقد رأيتنا ليلة الاحزاب ونحن صافون قعود وابو سفيان ومن معه من الاحزاب فوقنا وقريظة اليهود اسفل نخافهم على ذرارينا وما انت علينا ليلة قط اشد ظلمة ولا اشد ريحاً منها اصوات ريحها امثال الصواعق وهي ظلمة ما يرى احد منا اصبعه فجعل المنافقون يستأذنون النبي ...

وفيه اخرج الفريابي وابن عساكر عن ابراهيم التيمي عن ابيه قال قال رجل لو ادركت رسول الله (ص) لحملته ولفعلت فقال حذيفة لقد رأيتني ليلة الاحزاب ونحن مع رسول الله (ص) فكان رسول الله (ص) يصلي من الليل في ليلة باردة ما قبله ولا بعده برد كان اشد منه فحانت مني التفاتة فقال (ص): ألا رجل يذهب الى هؤلاء فيأتينا بخبرهم جعله الله معي يوم القيامة؟ قال: فما قام منا انسان قال: فسكتوا ثم عاد فسكتوا ثم قال يا ابا بكر ثم قال استغفر الله رسوله ثم قال: ان شئت ذهبت فقال يا عمر فقال استغفر الله ورسوله ثم قال (ص): يا حذيفة؟ فقلت: ليسك فقامت حتى اتيت وان جنبي =

وليس ذلك الابتلاء الزلزال للمؤمنين ليختص بما مضى وهم حضور لدى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فان له اشباهاً ونظائر قد تكون ابلى مما مضى وكما يتلون زمن الغيبة ولا سيما في أواخرها ، وليس الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) فيهم ولا أحد من عترته إلا الغائب وكما يروى عن امير المؤمنين (عليه وآله وسلم) : « أما إنه سيأتي على الناس زمان يكون الحق فيه مستوراً والباطل ظاهراً مشهوراً وذلك إذا كان أولى الناس به أعدائهم له واقترب الوعد الحق وعظم الإلحاد وظهر الفساد هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزلاً شديداً ونحلهم الاخيار اسماء الأشرار فيكون جهد المؤمن ان يحفظ مهجته من اقرب الناس اليه ثم يفتح الله الفرج لأوليائه ويظهر صاحب الامر على أعدائه » (١) .

ان دور المنافقين في هذا الوسط كان أنحس دور واتعسه ، تندد بهم عديد من آيات القصة شديداً في ابوابهم الجهنمية السبع :

«واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا ورسوله إلا غروراً» (١٢) .

كلمة تكلم القلوب وتجرح الأكباد ، يقولونها في هذه البلاء الزلزال

= ليضربان من البرد فمسح رأسي ووجهي ثم قال : أنت هؤلاء القوم حتى تأتيانا بخبرهم ولا تحدث حدثاً حتى ترجع ثم قال : اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن فوقه قال فلان يكون أرسلها كان احب الي من الدنيا ، وما فيها قال فانطلقت فدخلت امشي في حمام قال فوجدتهم قد ارسل عليهم ريحاً فقطعت اطنابهم وابنتهم وفجئت بخيولهم ولم تدع شيئاً الا اهلكته قال : وابو سفيان قاعد يصطلي عند نار له ، قال فنظرت فدخلت سهماً فوضعت في كبدي قوسي قال وكان حليفة رامية فذكرت رسول الله (ص) لا تحدثن حدثاً حتى ترجع قال : فرددت سهمي في كنانتي ...

(١) نور الثقلين ٤ : ٢٤٢ ح ٣٤ في كتاب الاحتجاج للطبرسي عن امير المؤمنين حديث طويل يقول فيه : ...

لتأخذ مجالاتها من قلوب الناشئة ولما يدخل الايمان في قلوبهم ، ومن قلوب ضعفاء الايمان ، لا سيما وهم كانوا ممن يتقشفون في مظاهر الايمان ويتسابقون ، فهم قد يعتبرون وعود النصر والانتصار من الله ورسوله غروراً ، يقوله المنافقون ويتبعهم الذين في قلوبهم مرض الشك وشائبه النفاق ، فيصبحان حزباً واحداً في هذه الدعاية النكراء .

« الذين في قلوبهم مرض » حينما تفرد تعني في الاكثر - المنافقين وحينما تقرن بالمنافقين تعني من يحن إليهم ويهواهم « إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض غر هولاء دينهم » (٨ : ٤٩) « لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة » (٣٣ : ٦٠) وقد يعني المرض دونها كما الشهوة : « فيطمع الذي في قلبه مرض » (٣٣ : ٣٢) وكل انحراف في القلب مرض عقيدياً او علمياً او اخلاقياً امذا ؟ .

فقد وجد هولاء الأوغاد الأنكاد في هذا البلاء المزلزل والشدة الآخذة بالحناق فرصة للكشف عن امراض قلوبهم وهم آمنون ألا لومة عليهم ، والمجالة أهلة ، والريبة آخذة بمجالها من قلوب بلغت الحناجر ، فالواقع المزلزل بظاهره يصدقهم في غرورهم كأنهم منطقيون في قولتهم في هذا المسرح الهائل ، حيث أزيح عن قلوب البسطاء والأخفاء ذلك الستار الرقيق من تجميل الإيمان ، وهذه هي سيرة النفاق ، تفتش عن المجالات الأسرع تأثيراً والأوقع تحسراً ، زرعاً للشكوك فيها ، وحصداً للناشئة لتنضم إلى حزبهم وهنالك العظامه الكبرى .

لكننا الله يكشف دوماً عن نواياهم وجناياهم ، تعريفاً بهم ومختلف الشبايبك من نفاقهم ، ومؤلف الشبكات من مكائدهم :

﴿ وإذا قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا ويستأذن فريق منهم النبي يقولون إن يئوتنا عورة وما هي بعورة إن يريدون إلا فراراً ﴾ (١٣) .

ذلك بعدما جند النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) المؤمنين أمام الخندق حول المدينة ، في صفوف مترابطة متربصة وفيهم منافقون ، هنا يخاطبون أهل يثرب المدينة خطاب التهريب من العدو الرهيب « لا مقام لكم » وهو مُفْعَلٌ من الإقامة ، مصدراً واسم زمان ومكان ، لا إقامة لكم ههنا دفاعاً أو هجوماً إلا انهزاماً ، ولا زمانها ولا مكانها ، اذ لا قِبَل لكم في أصل المقاومة ولا زمانها ولا مكانها ، والانهزام كائن في مثله لا محالة « فارجعوا » إلى منازلكم وقد تكون بيوتكم عورة ، أو تهاجم من قبل العدو وانتم هنا في معركة خاسرة !؟

يخضون هكذا أهل المدينة على ترك الصفوف بدعوة خبيثة تأتي النفوس من ثغراتها الضعيفة ، من محقق الخطر وجامع الهول والغيرة على البيوت العورة كما :

﴿ ويستأذن فريق منهم النبي يقولون إن بيوتنا عورة وما هي بعورة إن يريدون إلا فراراً ﴾ (١٣) .

انهم في ثالث الخيانة بزعة الجيش ، دعاية لرجوعهم واستئذاناً لأنفسهم ، أو رجوعاً دون إذن ، ومعهم مشاقلون لم يحضروا الصفوف ، وأخطر زواياه « ويستأذن .. إن بيوتنا عورة .. » ذليلة الحيطان وهي في أقصى المدينة (١) . لكي يوجهوا زحفهم بوجهة الاستئذان لحفظ العورة ،

(١) الدر المنثور ٥ : ١٨٨ - اخرج ابن أبي حاتم عن السري في الآية .. فارجعوا قال : إلى المدينة عن قتال ابن سفيان ويستأذن فريق منهم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : جاءه رجلان من الانصار من بني حارثة احدهما يدعى ابا عرابة بن اوس والاخر يدعى اوس بن قيطي فقالا يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : ان بيوتنا عورة يعنون انها ذليلة الحيطان ونحن في أقصى المدينة ونحن نخاف السرق فائذن لنا فقال الله : وما هي بعورة ان يريدون الا فراراً .

ويحرضوا غيرهم بظاهر الغيرة على العورة فاستأصلاً لصفوف الجيش .

ويثرب : المدينة - الطيبة : مدينة تاكل القرى تنفي الناس كما ينفي الكير خبث الحديد ^(١) فلان الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) سكنها واسبس دولة الاسلام فيها ، ثم توفي ودفن فيها ، فهي اذاً مدينة اذ مدنها الرسول ، وطيبة اذ طيبها .

٤ - ﴿ ولو دخلت عليهم من أقطارها ثم سئلوا الفتنة لآتوها وما تلبثوا بها إلا يسيراً ﴾ ^(١٤) .

« لو دُخِلت » المدينة « عليهم » : المنافقين والذين في قلوبهم مرض « من أقطارها » : وكل جوانبها « ثم سئلوا الفتنة » : إن يفتنوا مع الداخلين ضد المؤمنين « لآتوها » : الفتنة ، تاركين بيوتهم العورة لينضموا الى الداخلين « وما تلبثوا بها » بقاءً في بيوتهم العورة « إلا يسيراً » ما تيسر لهم في لبثهم ! ام « لو دخلت » بيوتهم العورة من أقطار المدينة « ثم سئلوا فتنة الحرب مع المؤمنين لآتوا الفتنة » خارج بيوتهم « وما تلبثوا ببيوتهم إلا يسيراً !

ام « لو دخلت » أي مدخل منها ، ثم سئلوا فتنة الردة الى الكفر لآتوها وما تلبثوا ببيوتهم العورة إلا قليلاً ولماذا « لو » احالة للدخول عليهم ؟ حيث الكافرون لا يدخلون عليهم محاريين ! بل لسؤال الفتنة

(١) المصدر واخرج مالك واحد وعبد الرزاق والبخاري ومسلم وابن مردويه عن أبي هريرة قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : امرت بقرية تاكل القرى يقولون يثرب وهي المدينة تنفي .. واخرج احمد وابن أبي حاتم وابن مردويه عن البراء بن عازب قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من سمى المدينة يثرب فليستغفر الله هي طابة هي طابة واخرج ابن مردويه عن ابن عباس عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : لا تدهونها يثرب فانها طيبة يعني المدينة ومن قال يثرب فليستغفر الله ثلاث مرات هي طيبة هي طيبة هي طيبة .

الردة والمشاركة في الهجمة على المؤمنين ! فهناك ينسون البيوت العورة إذ يجدون آمالهم من اضرابهم ، ولا يخافون على بيوتهم من المؤمنين آمن ذا ١٩ ذلك شأنهم الشائن والأعداء بعدُ خارج المدينة ، يعتذرون في الخطر المتوقع للفرار ، أن بيوتنا عورة ، ولكنهم في واقع الخطر « لو دخلت عليهم من اقطارها » يعكسون الأمر إذ يأتون الفتنة والردة من بيوتهم العورة إذ لا تهمهم ، وإنما تهمهم الفتنة أن يأتوها خبواً سراغاً دون تلبث إلا يسيراً ياخذون عذبتهم لما سُئلوا !

هكذا يكشفهم القرآن في تناقض الشخصية المنافقة، وانهم يولون الأدبار رغم ما عاهدوا الله :

٥ - ﴿ ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الأدبار وكان عهد الله مسئولا ﴾ (١٥).

أترى انه عهد الايمان لما آمنوا بالسنتهم ؟ ولا يخص « لا يولون الأدبار » ! ام عهده بهذا الخصوص ؟ ولم يذكر في القرآن ! ولكن « من قبل » ليس لزامه ذكره في القرآن ، فقد ذكر في الأثر أنهم هموا أن يفشلوا يوم احد مع بني سلمة حين هموا بالفشل يومها ، ثم عاهدوا الله ألا يعودوا لمثلها ابداً ، فهنا يتدبّر بهم إن نقضوا عهدهم « وكان عهد الله مسئولا » ! ولماذا الفرار من الزحف ولا ينفعهم ، فليس إلا ضرراً عليهم وفي الآخرة عذاب اليم :

٢ - ﴿ قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت او القتل واذن لا تمتعون إلا قليلا ﴾ (١٦).

« لن » تحيل نفع الفرار إن كان من الموت او القتل في المعركة ، أما معنوياً فظاهراً حيث الفرار عن الزحف خساراً ، وأما بقاءً في حياة فالموت او

القتل قَدَر لا مفر منه ولا منجى عنه : « اينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة .. » (٤ : ٧٨) ولئن أخرتم بفرار « واذن لا تمتعون إلا قليلاً » وكل مُتَمِّع الدنيا قليل ، فحتى إن كان كثيراً في فرار عن حكم الله ففي الآخرة عذاب النار وبش الصير ، فمما الفرار اذاً ولا يخلف إلا الخسار ، ولن ينفعكم ، وليس فرار العاقل الا الى نفع او عن ضرر و « لن » .

﴿ قل من ذا الذي يعصمكم من الله إن أراد بكم سوءاً أو أراد بكم رحمة ولا يجدون لهم من دون الله ولياً ولا نصيراً ﴾ (١٧) .

هنالك يوحد إرادة السوء والرحمة في الله عدلاً وفضلاً ف - « وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يمسسك بغير فهو على كل شيء قدير » (٦ : ١٧) .

أأنتم إن فررتم من الزحف أن يريد الله بكم سوءاً فلا عاصم منه إلا هو ، او ان فررتم من الزحف ان يريد بكم رحمة فلا راد لفضله إلا هو ، إذا فلماذا الفرار عن رحمة الله الى نقمته ، ومن خيره الى ضره ، فهولاء البعيدون البعيدون « لا يجدون لهم هنا وهناك « من دون الله ولياً » يلي امرهم « ولا نصيراً » ينصرهم في بأسهم !

﴿ قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لإخوانهم هلم إلينا ولا يأتون البأس إلا قليلاً ﴾ (١٨) أشحة عليكم فاذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يُغشى عليه من الموت فإذا ذهب الخوف سلقوكم بالسنة حداد أشحة على الخير أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم وكان ذلك على الله يسيراً ﴿ (١٩) .

« قد » تحقق « يعلم الله » اذ هو حقاً يعلم المعوقين منكم : من منافقين والذين في قلوبهم مرض ، تشيطاً عن الحرب وصرفاً في ومن القول

« ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً .. لا مقام لكم فارجموا .. » وفي وهن الفعل « ويستأذن فريق منهم .. » تعويقاً لإخوانهم بقوله وفعله مريبة «والقاتلين لإخوانهم » : أضراهم في ضعف الايمان « هلم إلينا » تهيئاً وفراراً ، وهم انفسهم لا يأتون البأس إلا قليلاً منه وقليلاً منهم ، وهؤلاء القلة في القلة لا يشتون في البأس بل يشبطون ويشبطون .

وقد يعني « هلم إلينا » فيما يعني قول فلان لرجل بجنبه من اخوانه اما ترى هذا الشيطان عمرواً ما يفلت من يديه أحد فهلما ندفع إليه محمداً ليقتله ونلحق بقومنا فانزل الله آية المعوقين ^(١) وهنالك وقعت الطامة

(١) نور الثقلين ٤ : ٢٥٠ فيما اورده القمي من القصة .. واقبلت قريش فلما نظروا الى الخندق قالوا هذه مكيدة ما كانت العرب تعرفها قبل ذلك فقبل لهم : هذا من تدبير الفارسي الذي معه فوافي عمرو بن عبد ود وهبيرة بن وهب وضرار ابن الخطاب الى الخندق وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قد صف اصحابه بين يديه فصاحوا بخيلهم حتى طفروا الخندق الى جانب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فصاروا اصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وقدموا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بين ايديهم وقال رجل من المهاجرين وهو فلان لرجل بجنبه ... وركز عمرو بن عبد ود رمحاً في الارض واقبل يجهل جولة ويرتمجز ويقول : ولقد بحثت من النداء لجمعكم هل من مبارز ووقفت اذ جبن السجاع مواقف القرن المناجز

اني كذلك لم ازل متسرعاً نحو الهراهر ان الشجاعة في الفتي والجهود من خير الفرائز فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من لهذا الكلب ؟ فلم يجبه احد فوثب اليه امير المؤمنين (عليه السلام) فقال : انا له يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال يا علي ! هذا عمرو بن عبد ود فارس يليل فقال : انا علي بن ابي طالب فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ادن مني فدنا منه فعممه بيده ودفع اليه سيفه ذا الفقار وقال له : اذهب وقاتل بهذا وقال : اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن فوقه ومن تحته فمر امير المؤمنين (عليه السلام) يهرول في مشيه وهو يقول :

لا تعجلن فقد اناك مجيب صوتك غير عاجز ذونية وبصيرة ولصدق منجي كل فائز =

اني لأرجو ان اقيم عليك فاتحة الجنائز من ضربة نجلاء يبقى صيتها بعد الهزاهز فقال له عمرو من انت ؟ قال : انا علي بن ابي طالب ابن عم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وختنه فقال : والله ان اباك كان لي صديقاً وندياً واني اكره قتلك ، ما امن ابن عمك حين بعثك الي ان اختطفك برمي هذا فتركلك شائلاً بين السماء والارض لا حي ولا ميت ؟ فقال له امير المؤمنين (عليه السلام) قد علم ابن عمي انك ان قتلتي دخلت الجنة وانت في النار وان قتلتك فانت في النار وانا في الجنة ! فقال عمرو : كلناهما لك يا علي تلك اذا قسمة ضيزي فقال علي (عليه السلام) دع هذا يا عمرو اني سمعت منك وانت متعلق باستار الكعبة تقول : لا يعرضن علي احد في الحرب ثلاث خصال إلا اجبته الى واحدة منها وانا اعرض اليك ثلاث خصال فاجبني الى واحدة قال هات يا علي ا قال : احدها تشهد أن لا اله الا الله وان محمداً رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : نَحْ عني هذا فاسأل الثانية ، فقال : ان ترجع وترد هذا الجيش عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فان يك صادقاً فانتم اهل به عيناً وان يك كاذباً كفتكم ذؤبان العرب امره ، قال : اذا تتحدث نساء قريش وتتشد الشعراء في اشعارها اني جيت ورجعت على عقي من الحرب وخذلت قوماً رأسوني عليهم ! فقال له امير المؤمنين (عليه السلام) فالثالثة ان تنزل الى قتالي فانك فارس وانا راجل حتى انا بذك (اكاشفك واقتل) فوثب عن فرسه وعرقبه : (قطع عرقوبه : عصب غليظ فوق العقب) وقال : هذه خصلة ما ظننت ان احداً من العرب يسومني عليها : (يكلفني اياها) ثم بدأ فضرب امير المؤمنين (عليه السلام) بالسيف على رأسه فاتقاه امير المؤمنين بالبرقة الترس فقطعها وثبت السيف على رأسه فقال له علي (عليه السلام) يا عمر وما كفأك اني بارزتك وانت فارس العرب حتى استعنت علي بظهيري ؟ فالتفت عمرو الى خلفه فضربه امير المؤمنين (عليه السلام) مسرعاً الى ساقيه فقطعها جميعاً وارتفعت بينهما عجاجة فقال المنافقون قتل علي بن ابي طالب ثم انكشف العجاجة ونظروا فاذا امير المؤمنين (عليه السلام) على صدره قد اخذ بلحيته يريد ان يذبحه ثم اخذ رأسه واقبل الى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) والدعاء تسيل على رأسه من ضربة عمر وسيفه يقطر منه الدم وهو يقول : انا ابن عبد المطلب المسوت خير للفق من الحرب فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يا علي (عليه السلام) ماكرته ؟ قال : نعم يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الحرب خديعة وبعث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)

الكبرى اذ قتل الامام امير المؤمنين (عليه السلام) فارس يليل عمرو بن عبد ود فتم انهزام الأحزاب ونزل جبريل بقوله « لا فتى إلا علي لا سيف إلا ذو الفقار » ! . وعندئذ هاجت الرياح وانهزم الكفار وولوا الأدبار فهم بين قتيل وجريح وأسير وفاراً كما وقد يعني «هلم الينا» موارد اخرى^(١).

٦ - ﴿ اشحذ عليكم ﴾ : بخلاء في النفس والنفيس والنفسيات ، وليسوا - فقط - لا يساعدون على بأس ، بل ويزيدون بأساً على بأس وبؤساً في بأس بدعاياتهم السوء ، فكلهم كزازات وهزازات ضد المؤمنين ، وإن شأنهم الشائن في نفاقهم العارم يبرز في خوف البأس وذهابه ، « فاذا جاء

= الله عليه وآله وسلم) الزبير الى هبيرة بن وهب فضربه على رأسه ضربة فلقى هامته وامر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عمر بن الخطاب ان يبارز ضرار بن الخطاب فلما برز اليه ضرار انتزع له عمر سهماً فقال له ضرار ويلك يا ابن صهاك اترميني في مبارزه والله لئن رميتني لا تركت عدوياً بمكة الا قتلتك فانهزم عمر عند ذلك ومرت نحوه ضرار وضربه ضرار على رأسه بالقناة ثم قال : احفظها يا عمر فاني آليت ألا اقتل قرشياً ما قدرت عليه فكان عمر يحفظ له ذلك بعدما ولي وولاه .

(١) وفي الدر المنثور ٥ : ١٨٨ - اخرج ابن أبي حاتم عن ابن زيد في « قد يعلم الله المعوقين .. » قال : هذا يوم الأحزاب انصرف رجل من عند النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فوجد اخاه بين يديه شواء ورغيف فقال له : انت ههنا في الشواء والرغيف والنبيذ ورسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بين الرماح والسيوف قال : هلم الي لقد بلغ بك وبصاحبك والذي يحلف به لا يستقي لها محمد ابداً قال : كذبت والذي يحلف به وكان اخاه من ابيه وامه والله لا اخبرن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بامرك وذهب الى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يخبره فوجده قد نزل جبريل (عليه السلام) بخبره « قد يعلم الله المعوقين وفيه اخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن قتادة في الآية قال : هولاء اناس من المنافقين كانوا يقولون لخوانهم ما محمد واصحابه الا اكلة رأس ولو كانوا لحماً لالتهمهم ابو سفيان واصحابه دعوا هذا الرجل فانه هالك والقائلين لخوانهم الى المؤمنين هلم الينا اي دعوا محمداً واصحابه فانه هالك ومقتول ولا يأتون البأس إلا قليلاً قال : لا يحضرون القتال الا كارهين وان حضروه كانت ابدانهم مع المسلمين وقلوبهم مع المشركين .

الخوف « وهم بعد في المعركة قبل فرارهم « رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم « خوفاً كما المحتضر ، او نظرة الإذن للفرار « كالذي يُغشى عليه من الموت « صورة شاخصة واضحة الملامح تنبئ عن سيرة باخسة ، مضحكة مبكية تثير السخرية من هولاء الجبناء اللعناء ، حيث أخذتهم غشوة الموت فغابت حواسهم ، وأخذت أعينهم نظرة لزهاق أنفسهم !

« فاذا ذهب الخوف « وامنوا البأس « سلقوكم « ضربوكم طعناً « بالسنة حداد « كأنها نيازك نارية « أشعة على الخير « ييخلون عليكم أن زال الخوف عنكم بانتصاركم ، وهم يرقبون غلب العدو ، وييخلون على ما غنمتم كأنه لهم كله أو يشاركون ، وهم لا نصيب لهم في الانتصار !

« اذا ذهب الخوف « أصبحت الستهم الخرس جداداً طوالاً لأنفسهم على المؤمنين ، وارتفعت اصواتهم بعد الرعشة ، وانتفخت اوداجهم بكل رعونة وعظمة ، وادعوا ادعاءاتهم الجوفاء دونما اختجال ولا حياة ، كان لهم الفضل دون سواهم ، ولم يكن الفضل إلا لسواهم ، ويا له من وقاحة حقاء ونفاق لعناء !.

وهذا الجيل من النسناس دائبون في الستهم الحداد بين الناس ، صم بكم جبنا اعمياء أشحاء لا حراك لهم حين البأس إلا ضداً لصالح الناس ، فصحاء بلغاء حركون ثوريون في كل صرخة صيحاء . في الأمن والرخاء كأنهم هم الذين جاهدوا وغيرهم قاعدون .

« اولئك « المنافقون والذين في قلوبهم مرض « لم يؤمنوا « لما ادعوا الايمان « فأحبط الله أعمالهم « باللا ايمان ، حيث العمل غير النابع عن الايمان حابط ايأ كان ، كما الايمان دون عمل نحابط مهما كان أفضل من اللا ايمان « وكان ذلك « الإحباط « على الله يسيراً « مهما خيل إلى البسطاء ان لكثير العمل اثره وان لم يكن عن ايمان !

٧- ﴿يَحْسِبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابَ يَوْدُوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْتَلُون عَنْ أَنْبَاءِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا﴾ (٢٥).

« يحسبون » المنافقون « الاحزاب » المهاجرة « لم يذهبوا » حتى الآن حيث فروا عن زحفهم والخوف ماكن في قلوبهم لا يدعهم يحسبونهم ذهبوا ، وحتى اذا حسبوهم ذهبوا « وان يات الاحزاب » واجعين بعد ذهابهم « يودوا » الحاسبون « لو انهم بادون » خارجون في البادية خارج المدينة « في الاعراب » اهل البادية ، لا هم امام الاحزاب في المعركة ولا هم في بيوتهم العورة ، وإنما « بادون في الاعراب يسألون عن انباءكم » كسراً للأحزاب فكسالى ، او انكساراً منهم فقرحين ، فهذه حالتهم وليسوا فيكم « ولو كانوا فيكم ما قاتلوا إلا قليلاً » منهم في قليل من الحرب مسaire النفاق .

انهم لا يزالون في نعاش وارتعاش وتحاذل واستيحاش ف- « يحسبون الاحزاب لم يذهبوا » وملاحح ذهابهم ظاهرة وهم البعيدون البعيدون عن المعركة ، يظنون خائفين لو ان الاحزاب ما ذهبت « وان يات الاحزاب يودوا » هولاء الجبناء لو انهم لم يكونوا من قاطني المدينة ، بل هم بادون في الاعراب ، فليس لهم موقف مما يمضي في المدينة إلا و « يسألون عن انباءكم .. » !

وهذه سبعة من أبواب جحيم المنافقين المتخللين بين الجماعة الناشئة المؤمنة : ١- « اذ يقول المنافقون .. » ٢- « لا مقام لكم فارجموا .. » ٣- « ويستأذن فريق منهم النبي .. » ٤- « ولو دخلت عليهم من اقطارها ... » ٥- « ولقد كانوا عاهدوا الله .. » ٦- « اشحة عليكم ... » ٧- « يحسبون الاحزاب لم يذهبوا ... » !

ثم المؤمنون الصادقون الراجون الله والذاكرون له كثيراً ، لهم أسوة حسنة في رسول الله في هذه المعارك الصعبة :

﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً ﴾ (٢١).

« أسوة » من « أَسَوَّ » : اسوت الجرح : داويته ، بخلاف الأسى : الحزن ، فالواوي منه بمعنى المداواة والاصلاح ، واليائي هو الحزن والأسى الجراح ، فالطبيب الأسى : هو المداوي ، والمصلح بين القوم : الأسى ، فالأسوة الحسنة هي حالة خاصة في الاتباع تضمن كلا النفي والاثبات بصورة مطلقة ازالة الأمراض واصلاح الحال ، ولان الفعلة هي ما يفعل به ، فالأسوة هي ما يؤتى به ، فهي الحالة التي يداوى بها ويصلح ، فقد تكون للانسان نفسه كالنبي بما يوحى اليه ، ام باتباع غيره كالمرسل اليهم باتباعه في رسالاته ككل - في قول وفعل وتقرير في عقيدة وأية طوية من نية وعلم ، ام ظاهرة في فعل ام تقرير .

و « أسوة حسنة في رسول الله » تعني الاسوة المطلقة بما يحمل من رسالة الله ، فيقتدي به شفاء لأدواء واصلاحاً بعد زوال الداء ! والرسول (صل الله عليه وآله وسلم) « طبيب دوار بطبه قد أحكم مراحمه وأحمى مواسمه يضع من ذلك حيث الحاجة اليه من قلوب عُمي وآذان صُمِّم وألسنة بُكم متتبع بدوائه مواضع الغفلة ومواطن الخيرة ، لم يستضيئوا بأضواء الحكمة ولم يقدحوا بزناد العلوم الشاقبة فهم في ذلك كالانعام السائمة والصخور القاسية ، قد انجابت السرائر لاهل البصائر ووضحت محجة الحق لحابطها واسفرت الساعة عن وجهها وظهرت العلامة لتوسمها ، مالي اراكم اشباحاً بلا ارواح وارواحاً بلا اشباح ونساکاً بلا صلاح وتجاراً بلا ارباح وايقاظاً

نوماً وشهوداً غيباً وناظرة عمياء وسامعة صماء وناطقة بكاء»^(١).

والأسوة الحسنة قد تكون مطلقة دون حدود كما « في رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) » ام مرفقة بحدود كما في ابراهيم (عليه السلام) : « قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم وما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدأ بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابداً حتى تؤمنوا بالله وحده إلا قول ابراهيم لأبيه لا استغفرن لك وما أملك لك من الله من شيء ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير » (٦٠ : ٤) .

لقد كان ابراهيم في وعد الاستغفار لأبيه وواقعه معذوراً ، فلانه ما اصاب الحق هنا على عذر ، فلا اسوة في عمله المعذور ، وهذا يدلنا الى العصمة المطلقة للرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) حيث الاسوة فيه مطلقة لا يخطأ ولو معذوراً ، ففي كل اقواله واعماله هو اسوة دونما استثناء .

واذا لا يؤتسى ابراهيم الخليل (عليه السلام) في بعض القول وهو معصوم ، فباحرى ألا يؤتسى غير المعصوم أسوة مطلقة ، واحياناً هو ماثوم وأخرى خاطيء غير ماثوم .

إن اسوة الرسول المطلقة هي الحسنة المطلقة ، وتركها المطلق ، سيئة مطلقة ، والعوان بين ذلك : قد تأتسى به وقد لا تأتسى ، هي اسوة غير حسنة ، فقيده اسوته بـ - « حسنة » اطلاق لها تحلق على كافة جنبات الحياة الفردية والجماعية ، صعبة ملتوية ، كما في خندق الاحزاب ، ام

(١) هج البلاغة الخطبة ١٠٨ في ذكر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عن الامام امير المؤمنين (عليه السلام)

سهلة لا تلتوي كالعبادات التي لا تكلف نفساً ولا مالاً ، وإنما حالاً وأعمالاً ! .

فالمقتدي به (صلى الله عليه وآله وسلم) في محراب الصلاة ، والتارك له القاعد عنه في محراب الحرب اسوته غير حسنة ، وهو ممن يعبد الله على حرف « فان اصابة خير اطمأن به وان اصابته فتنة انقلب على وجهه » (٢٢ : ١١) ! او الأسوة به في علم دون عمل ، ام عمل دون علم ، ام في علم وعمل دون عقيدة ونية ، أنها أسوة سيئة .

6

ان خندق الحرب مع الاحزاب حيث ابتلي به المؤمنون وزلزلوا زلزالاً لا شديداً ، كان فتنة يفتن بها من يدعون الايمان ، فامتاز به صادق الايمان عن كاذبه ، ومازج الايمان وساذجه عن ناضجه ، وهنالك الاسوة معيار له عياره المطلق ، المؤتسي به في هذه المعركة المزلزلة المزججة له اسوة حسنة في كافة الحالات ، وهو من « من كان يرجوا الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً » .

انها لم تكن صدفة ان تُحتفى آية الاسوة بآيات خندق الاحزاب ، قبلها زلزال المؤمنين ونفاق المنافقين ، وبعدها تصديق المؤمنين وزيادة الايمان والتسليم ، والكل بين انهزام الكافرين « اذ جاءكم جنود فارسنا عليهم رجماً وجنوداً لم تروها .. » (٩) وردهم بغيظهم « ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قوياً .. عزيزاً » (٢٥) خمسة عشرة آية بينهما واخيرتها « لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة .. » !

آية الاسوة تفرض بكل تأكيد وتأبيد الاسوة الحسنة المطلقة برسول الله « لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً »

ف- « ولقد » تأكيد ان اثنان ، و « كان » تضرب بهذه الاسوة الى اعماق الماضي ، ان ليس تكليفاً حاضراً ، بل هو ماضٍ ويبقى ، في مثلث الزمن منذ بداية الايمان لحذ الإرتحال الى رحمة الله .

وليست هذه الاسوة له (صلى الله عليه وآله وسلم) اذ ليس إلا رسولاً لا يهدف شخصه وشخصيته ، ولا عليكم ، اذ ليس إلا لصالحكم كمؤمنين صادقين ، بل هو « لكم » : لقد كان لكم !

« في رسول الله » بما يحمل رسالة الله ، فهي اذاً اسوة في الله و « من يطع الرسول فقد اطاع الله » ! لا في « محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) كائناً من كان ، فانه دون رسالة لا اسوة فيه مطلقة فليست حسنة مطلقة !

« لمن كان يرجوا الله » فرجاء الله في حياته كلها متعرق في اعماقه وارجاءه كلها ، فان « كان » هنا كما الاول تضرب الى عمق الماضي ، فليست اذاً حالة جديدة بسيطة بادئة ، بل هي ماضية متعمقة متعركة ، عاشها الراجي الله طائلاً عميقاً من حياته وكان « ذكر الله كثيراً » لا فقط بلسانه ، فكثير هولاء الذاكرون بالسنتهم الغافلون بقلوبهم واعمالهم ، وانما كثيراً بقلوبهم ، الظاهر في اقوالهم واعمالهم ، فالذاكر الله دائماً له اسوة في رسول الله دائماً !

لا تقل انه رسول اخلصه الله بعصمة منه ورحمة لدية ، فكيف لنا- ونحن نحن - فيه اسوة، فانما الاسوة فيه فيما سوى العصمة ، ما يتوجب عليك كمستسلم لله مخلصاً له الدين ، فمهما العصمة لم تكن كسبية ، فما دونها من درجات العارفين ومقامات المخلصين كسبية بتلك الاسوة الحسنة .

يخرج الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بنفسه يعمل في خندق الاحزاب مع المؤمنين ، يضرب بالفأس كما يضربون ، ويجرف التراب بالمسحاة كما يجرفون ، ويضم صوته الى اصوات المرتجزين ، وهو يقودهم في

كل ذلك وهم فيه يتأسون ، وهو يتقدمهم حين يعيون ، يقول سلمان غلظت عليّ صخرة في ناحية من الخندق فلما رأي نزل فآخذ المعول من يدي فضرب به ضربة لمعت تحت المعول برقة ، ثم ضرب أخرى فلمعت تحته برقة أخرى ، ثم ثالثة فلمعت أخرى قلت بابي وامي يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ! ما هذا الذي رايت لمع المعول وانت تضرب ؟ .. قال : اما الاولى فان الله فتح علي بها اليمن ، واما الثانية فان الله فتح علي بها الشام والمغرب ، واما الثالثة فان الله فتح علي بها المشرق .. »

هذا والخطر الخطير من الاحزاب محقق ، والقر شديد مطبق مرهق ، وحذيفة يرتعش برداً والرسول يصلي فاذا به يحن اليه ويلقي اليه طرفاً من ثوبه ليدفئة في حنو وهو يناجي ربه ، وبعد ما ينتهي من صلاته يبشره حذيفة بالتي راها في بريقات كالمعول وعرفها قلبه .

« لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة » كهذه التي كانت للذين معه في مثل هذه المعركة الصاخبة ، لا فقط في اغتنام الغنيمة وصلاة الجماعة « تقول في المجالس كيت وكيت فاذا جاء الجهاد فحدي حياد » !^(١) فمن الواجب على كل مؤمن ان تحلق الاسوة في رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على كل اقواله وعقائده واحواله واعماله ، دونما تخلف عنه ولا قيد شعرة ، في فعله وتركه لزماً ورجاحة اماذا ، وقد « هم عمر بن الخطاب ان ينهي عن الجرة من صباغ البول فقال له رجل : اليس قد رايت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يلبسها ؟ قال عمر : بلى

(١) قبة من مشكاة الامام علي (عليه السلام) في خطبة جهادية .

سورة الاحزاب / آية ٢١ ٧٩

قال الرجل : ألم يقل الله « لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة » ؟
فتركها عمر^(١) .

كما و « اكب عمر على الركن فقال : اني لاعلم انك حجر ولولا أن
رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قبلك واستلمك ما استلمتك ولا
قبلتك « لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة »^(٢) .

ثم نرى فلتات من الخليفة عمر تتعارض وهذه الأسوة المجيدة كقوله
« اياكم والأحرين : اللحم والنبيد فانها مفسدة للدين متلفة للمال »
والرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول « سيد الادم في الدنيا
والآخرة اللحم .. »^(٣) .

وقدم الخليفة ان ياخذ حلي الكعبة فيجهز بها جيوش المسلمين فقال
له علي (عليه السلام) كان حلي الكعبة فيها زمن الرسول (صلى الله عليه
وآله وسلم) فتركه الله على حاله ولم يتركه نسياناً ولم يخف عليه مكاناً فأقره
حيث أقره الله ورسوله فقال عمر : لولاك لا فتضحنا « وترك الحلي
بحاله »^(٤) .

وقد اشتهر عنه في حكم المتعتين ما يخالف كتاب الله وسنة رسول الله
(صلى الله عليه وآله وسلم) متعتان كانتا في زمن رسول الله (صلى الله
عليه وآله وسلم) حلالاً وانا أحرمهما واعاقب عليهما بمتعة الحج ومتعة
النساء^(٥) .

(١) الدر المنثور ٥ : ١٩٠ - اخرج عبد الرزاق في المصنف عن قتادة قال : هم عمر
بن الخطاب ...

(٢) المصدر - اخرج احمد عن ابن عباس ان عمر ...

(٣-٤-٥) واشباهها راجع « علي والحاكمون » تجد فيه تفاصيلها .

وهكذا نراه يتفلسف عن هذه الأسوة المباركة أحياناً ويتلفت أخرى ولماذا ؟ أنا لا أدري ! .

واليكم نبأ من المؤمنين معه (صلى الله عليه وآله وسلم) في تلك المعركة المزججة المحرقة التي برزت فيها معالم النفاق من طائفة ، وضلالة الايمان من أخرى ، ولكنها الثالثة :

﴿ ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيماناً وتسليماً ﴾ (٢٣) .

واين هذه الأمانة المؤمنة من تلك المناققة الفاتكة... ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً .. يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا .. سلقوكم بالسنة حداد اشحة على على الخير .. !

واين كان ومتى ، وعد الله ورسوله هجمة الأحزاب وتحليقهم هكذا بأقطار المدينة من فوقهم ومن أسفل منهم ؟ قد يكون مثل قوله تعالى « أم حسبتهم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب » (٢: ٢١٤) و: « هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً » (١١) بلاء وزلزالاً من هجمة لا قبل لها من الأحزاب ، وزلزالاً علها أشد هي من هجمة الدعاية المناققة : « ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً » وآية البقرة تصریحة بوعد البلاء والزلال الشديد فهم يترقبونه ، وتلميحة بقريب النصر عله مع الزلال أما هي ؟

وكما كان الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) - على ضوء وعد الله - وعدهم بتظاهر الأحزاب عليهم وإن الله ينصرهم (١) ولكن متى نصر الله ؟

(١) نور الثقلين ٤ : ٢٥٣ ، القمي في حديث غزوة الخندق « وقد كان رسول الله =

هل هو في هذه الحرب ؟ ام بعده ؟ ام ودون حرب حارقة ؟ ليس في وعدهم إلا « ألا إن نصر الله قريب » !

ورغم ان هذه الزلازل بطبيعة الحال تزلزل من الايمان ام تزيله ، ولكنهم « ما زادهم إلا ايماناً وتسليماً » ايماناً بالله حيث يرون وعده واقعاً ، وتسليماً لأمر الله حتى وان كان فيه بتسليم انفسهم ، فانهم ممن صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، وهم دوماً في انتظار الانتصار وسواء عليهم ايقتلون او يُقتلون :

﴿ من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه . ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً ﴾ (٢٣)

« من المؤمنين رجال » : بعضاً قليلاً لا كلهم حيث الايمان درجات ، وفي هذا العرض ينضم المؤمنون غير الصادقين في عهدهم الى قبيل المنافقين توسعاً فيهم وتضييقاً في قبيل المؤمنين ثم لا يبقى إلا الكافرون !

وهذه صورة وضيئة من الايمان الصادق تقابل صورة وضيعة من ضعف الايمان تلحق النفاق فتنضم اليه وكما مضت « واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض » وليتسابق المؤمنون في الحصول على صورته الوضيئة الصادقة . ومواصفة هؤلاء المؤمنين في أول المطاف بـ : « رجال » تأتي لهم بصورة صارمة من رجولات وبطولات في ايمانهم ، فليست تعني رجولة الجنس فتخرج بها نساء هن أرجل من رجال كما الصديقة الطاهرة الزهراء سلام الله عليها ،

= (صل الله عليه وآله وسلم) اخبرنا ان العرب تتحزب علي ويحيون من فوق وتعذر اليهود ونخافهم من اسفل وانه يصيبهم جهد شديد ولكن يكون العاقبة لي عليهم... » .

ف- « في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه ... رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله .. » (٢٤ : ٣٧) و « لبيت علي وفاطمة من افاضلها » على حد قول الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) فهي اذاً من هولاء الرجال ، في رجولة العصمة القمة وتطلباتها : « فيه رجال يحبون ان يتطهروا » (٩ : ١٠٨)

وهكذا رجال الأعراف : « وعلى الأعراف رجال يعرفون كلاً بسيماهم (٤٦) » ونادى اصحاب الأعراف رجالاً يعرفونهم بسيماهم « (٤٨) كما رجال الجنة اذ ليس كل اصحاب الجنة رجال الجنس : « وقالوا ما لنا لا نرى رجالاً كنا نعدهم من الاشرار ، اتخذناهم سخرياً ام زاغت عنهم الابصار » (٣٨ : ٦٣) اللهم إلا رجال الوحي : « وما ارسلنا من قبلك الا رجالاً نوحى اليهم » (١٦ : ٤٣) فان رجولة الجنس من شروط وحي الرسالة آمن يقابلون النساء : « ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات .. » (٢٥ : ٤٨) « آتاكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء » (٢٧ : ٥٥)

« .. رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه » : عاهدوه صدقاً واتوا بما عاهدوه صدقاً بكل ما لديهم من طاقات وامكانيات : قالاً وحالاً وفعلاً ، نفساً ومالاً وعلى أية حال ما وجدوا له مجالاً ، فما هو ما عاهدوا الله عليه ؟ المعاهدة - وهي عهد بين اثنين ، فالبادىء معاهد والثاني معاهد عليه - هي قد تكون من الله أن يعاهدك الله على شيء وأنت تقبل : « ألم أعهد اليهم يا بني آدم ألا تعبدوا الشيطان .. » (٣٦ : ٦٠) واخرى انت تعاهد الله على ما عهد اليك ، ومعاهدة الآية هي الاخرى « عاهدوا الله عليه » وأول العهود الإلهية الى المؤمنين ان « لا اله الا الله » والمؤمنون كلهم يعاهدون الله على « لا اله الا الله » فمنهم الصادقون ، حيث يعيشون كلمة التوحيد قالاً وحالاً واعمالاً ، دون اي نفاق بين حال وقال ، ولا بينها وبين الأعمال ، وقد صدقوا في عهد التوحيد تسليماً لله على أية حال ..

ومن خلفيات هذه المعاهدة ، مبايعة الرسول « ان الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم فمن نكث فانما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيماً » (٤٨ : ١٠) فالمبايعون الموفون بعهد الله هم الصادقون ولهم الأجر العظيم ، والناكثون لعهدهم هم من المنافقين مهما كانوا من المؤمنين ، حيث النفاق دركات كما الايمان درجات ، وآية الاحزاب تقابل بين الذين « صدقوا ما عاهدوا الله عليه » وبين المنافقين ، فليكونوا اعم من هو في الدرك الأسفل من النار ومن ضعفاء الايمان .

وقد اشترى الله المبايعين الصادقين بانفسهم ونفائسهم : « ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويُقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهد من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم » (٩ : ١١١) وهنا الايفاء بعهد الله وهو بصيغة اخرى قضاء للنحب ، لا يختص بان يُقتل المؤمن في سبيل الله ، بل وان يُقتل ، قُتِل بعد ام لم يُقتل .

وكما ليس هولاء المؤمنون الصادقون هم الاولون - فقط - كذلك المبايعون الله الذين اشترى انفسهم واموالهم ، فطول الزمان وعرض المكان يحوي من هولاء من قد يفوق الاولين ام يساميههم : (١) .

(١) يروى نزول الآية بشأن نفر من اصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كأنس بن نضر واصحابه ففي الدر المنثور ٥ : ١٩٠ - اخرج ابن سعد واحد ومسلم والترمذي والنسائي والبخاري في معجمه وابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه وابو نعيم في الحلية والبيهقي في الدلائل عن أنس (رضي الله عنه) قال : غاب عن أنس بن نضر عن بدر فشق عليه وقال : اول مشهد شهده رسول الله (صلى الله عليه وآله) =

« فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر .. » وليس قضاء النحب - فقط - الموت ، فصيفته الخاصة منهم من قتل أو مات ، وهما من مصاديق قضاء النحب في سبيل الله فقضاء النحب فيها عاهدوا الله عليه ليس إلا أن يعيشوا ملتزمين بمهده في كافة الحقول ، ومن افضلها الجهاد في سبيل الله بانفسهم ثم باموالهم ، « فيقتلون ويقتلون » ما وجدوا للجهاد ظروفاً صالحة ، ثم « ومنهم من ينتظر » قضاء نحبه ليس - فقط - انتظاراً للشهادة حيث الانتظار لها - فقط - ليس انتصاراً لقضية الايمان ، بل هو الانتصار لظرف يقضي فيه نحبه ان « يَقْتُلْ أَوْ يُقْتَلَ » في سبيل الله : إحدى الحسينين !

فقد يعني « نحبه » : عهده ومراهنته إذا وجد له مكانه ومكانته ،

= (وسلم) غبت عنه لئن اراني الله مشهداً مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فيما بعد لهرين الله ما اصنع فشهد يوم احد فاستقبله سعد بن معاذ (رضي الله عنه) فقال : يا ابا عمرا والى اين ؟ قال : واهماً لريح الجنة اجدها دون احد فقال حتى قتل فوجد في جسده بضع وثمانون من بين خربة بسيف وطلعة برمح ورمية بسهم ونزلت هذه الآية « رجال صدقوا .. » وكانوا يرون انها نزلت فيه وفي اصحابه ،

ومنهم مصعب بن عمير كما اخرج الحاكم وصححه وتعقبه الذهبي في الدلائل عن ابي هريرة ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حين انصرف من احد مر على مصعب بن عمير وهو مقتول فوقف عليه ودعا له ثم قرأ « من المؤمنين رجال .. » ثم قال (صلى الله عليه وآله وسلم) اشهد ان هؤلاء شهداء عند الله يوم القيامة فأتتوهم وذوروهم فوالذي نفسي بيده لا يسلم عليهم احد الى يوم القيامة الا وردوا عليه وفي ملحقات الاحقاق ٣ : ٣٦٣ روى نزول الآية في علي (عليه السلام) عدة من اعلام القوم منهم ابن الصباغ في فصول المهمة ١١٣ قيل سئل علي (عليه السلام) وهو على المنبر عن الآية قال : في وفي عمر وحمة وفي ابن عمي عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب ، واما عمي خزة فانه قضى نحبه يوم احد واما انا فانتظر اشقاها بفضب هذه من هذا وأشار الى لحته ورأسه عهد عهده الي حبيبي ابو القاسم (صلى الله عليه وآله وسلم) .

قتالاً : «فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ» أما إذا من جهاد في سبيل الله بنفس ونفيس اذ يقدم رخصاً دون بخس ونقص ما وجد له مجالاً !

ومن ثم يوفون كل معاني النحب ، المرافقة للعهد : نذراً وهمة وبرهاناً وحاجة وشدة وأجلاً ومدة وعملاً ونفساً وسيراً سريعاً وجهاداً ^(١) تكريساً لهممهم وبراهينهم في كل شدة وعمل من سير سريع وجهاد ليقضوا حاجتهم من عهدهم ربهم ما دامت مدتهم وقام أجلهم ، في نفس ونفيس بكل غال ورخيص !

فهم بين من قضى نجه تماماً ما وجب عليه فيما عاهد عليه الله إن بالموت او القتل ام في حياة ومنهم من ينتظر ، فرصة مناسبة لقضاء نجه بموت او قتل ام في حياة ، فلا تختص قضاء النحب بقتل في سبيل الله مهما كان من أعلاها ، فكل تضحية في سبيل الله كما تجب قضاء لنحب ايأ كانت ! وكما يروى ^(٢) فلا يعني قضاء النحب إلا توفية العهد وهي

مكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

- (١) لسان العرب لابن منظور الإفرنجي .
- (٢) نور الثقلين ٤ : ٢٥٨ ح ٤٨ عن روضة الكافي عدة من اصحابنا عن سهل بن زياد عن محمد بن سليمان عن ابيه عن ابي عبد الله (عليه السلام) انه قال لابي بصير يا ابا محمد لقد ذكركم الله في كتابه فقال « من المؤمنين رجال ... » انكم وفيتم بما اخذ الله عليه ميثاقكم من ولايتنا وانكم لم تبدلوا بنا غيرنا وفي اصول الكافي (٥٨) عن ابي عبد الله (عليه السلام) قال : المؤمن مؤمنان فمؤمن صدق بعهد الله عز وجل ووفى بشرطه وذلك قول الله عز وجل « رجال صدقوا ... » وذلك الذي لا يصيبه احوال الدنيا ولا احوال الآخرة وذلك من يشفع ولا يشفع له ومؤمن كخامة الزرع - يعرج احياناً ويقوم احياناً فذلك من يصيبه احوال الدنيا واهوال الآخرة وذلك ممن يشفع له ولا يشفع . اقول : ولان افضل ما عاهدوا الله عليه هو القتل او الموت في سبيل الله توفية كاملة للعهد فقد وردت روايات اخرى في ان قضاء النحب هو الموت او القتل كما رواه في روضته الكافي (٤٩) عن ابي عبد الله (عليه السلام) قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يا علي من احبك ثم مات فقد قضى نجه =

للمعصومين ومن معهم حاصلة قبل الموت أو القتل أو بهما، يعيشون قضاء نحبهم على أية حال !

« وما بدلوا » ما عاهدوا الله عليه « تبديلاً » لا من قضى نحبه حين قضى ولا من ينتظر ، وإنماكملوا تكميلاً ، ومن الحكمة الحكيمة لذلك الابتلاء المثلث :

﴿ ليجزي الله الصادقين بصدقهم ﴾ وهم الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه

﴿ ٢ - ﴾ ويعذب المنافقين ان شاء او يتوب عليهم ان الله كان غفوراً رحيماً .

« ويعذب .. » معلوم وهو قضية النفاق ، بل « ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار » فكيف « او يتوب عليهم » ؟

= ومن احبك ولم يمّت فهو ينتظر ... » وفي كتاب الخصال (٥٠) عن جابر الجعفي عن ابي جعفر (عليه السلام) عن أمير المؤمنين (عليه السلام) حديث طويل يقول فيه (عليه السلام) ولقد كنت عاهدت الله تعالى ورسوله انا وعمي حمزة واخي جعفر وابن عمي عبيدة على امر وفينا به الله تعالى ورسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) فتقدمي اصحابي وتخلفت بعدهم لما اراد الله تعالى فانزل الله فينا « من المؤمنين رجال .. » حمزة وجعفر وعبيدة وانا والله المنتظر يا اخا اليهود وما بدلت تبديلاً وفي ارشاد المفيد (٥٠) في مقتل الحسين (عليه السلام) ان الحسين (عليه السلام) مشى الى مسلم بن عوسجة لما صرع فإذا به رمق فقال : رحلك الله يا مسلم « فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً » وفي كتاب مقتل الحسين لابي محنف ان الحسين لما اخبر بمقتل رسوله عبد الله بن يقطر تفرغرت عينه بالدموع وفاضت على خديه ثم قال : « فمنهم من قضى نحبه ... » وفي مناقب ابن شهر آشوب (٥٧) ان اصحاب الحسين بكرىلا كانوا كل من اراد الخروج ودّع الحسين (عليه السلام) وقال : السلام عليك يا ابن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فيجيبه : وعليك السلام ونحن خلفك وبقراء « فمنهم من قضى نحبه ... »

« يتوب عليهم » لو تابوا وصحت توبتهم ونصحت ، ولا سيما قرنائهم
« والذين في قلوبهم مرض » حيث قرنوا بـ « اذ يقول المنافقون » فانهم
ذيوهم وليسوا منهم مرده التناق ومرجفة المدينة ، بل المستجيبون لهم في
دعائياتهم لصعف ايمانهم ، فعلهم هم المعنيون بـ « او يتوب عليهم » .

فآية « صدقوا ما عاهدوا الله عليه .. » جعلت غير الصادقين في
ايمانهم منافقين اصولاً واتباعاً ، ثم فرقت آية الجزاء بينهما « ويعذب المنافقين
ان شاء او يتوب عليهم ان الله كان غفوراً رحيماً » .

٣- ﴿ ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً ﴾ : قتلة ولا غلبة
ولا غنمة بل « وكفى الله المؤمنين القتال » فلم يقاتلوا الا شذراً بما قتل
امير المؤمنين عمرو بن عبد ود ونفراً آخرين^(١) فارسلنا عليهم ريحاً وجنوداً
لم تروها وكان الله بما تعملون بصيراً^(٢) « وكان الله قريباً عزيزاً » وهذا
نصيب الكفار ثم :

﴿ وانزل الذين ظاهروهم من اهل الكتاب من صياصيهم وقذف في
قلوبهم الرعب فريقاً تقتلون وتأسرون فريقاً^(٣) وأورثكم أرضهم وديارهم
وأموالهم وأرضاً لم تطؤوها وكان الله على كل شيء قديراً^(٤) .

(١) في ملحقات الاحقاق ٣ : ٣٧٦ روى نزول الآية في علي (عليه السلام) عدة
من أعلام القوم منهم العلامة الكنجي في كفاية الطالب^(١١) وابو حيان الاندلس المغربي
في البحر المحيط ٧ : ٢٤ وملاً معين الكاشفي في معارج النبوة ١ : ١٦٣ والسيوطي في
الدر المنثور ٣ : ١٩٢ والمير محمد صالح الكشفي الترمذي في مناقب مرتضوي ٥٥
والحافظ ابو بكر بن مردويه في المناقب كما في كشف الغمة^(٩٣) والالوسي في روح المعاني
٢١ : ١٥٦ والقندوزي في ينابيع المودة ٩٤ وابو نعيم الحافظ كلهم عن ابن مسعود كان
يقرء : وكفى الله المؤمنين القتال بعلي (عليه السلام) وساق قصة عمرو بن عبدو كما
فصلناه .

المظاهرة هي المعاونة ، والصياصي جمع صيصية وهي الحصن الحصين ، وقد « انزل » الله « الذين ظاهروهم » المشركين « من اهل الكتاب » وهم بنو قريظة ، انزلهم من صياصيتهم وحصونهم ، وقذف في قلوبهم الرعب ، فلا صياصي لهم آفاقية ، ولا صياصي انفسية حيث انزلهم الله من كل الصياصي .

فانتج عن ذلك الإنزال انكم « فريقاً تقتلون » من المتزلين « وتأسرون فريقاً » .

ثم « واورثكم ارضهم وديارهم واموالهم » وطتموها ، بل « وارضاً لم تطئوها » وهي ارض خيبر ، او التي افاء الله على رسوله منهم مما لم يوجب عليه بخيل ولا ركاب .

وقد يعني « واورثكم ارضهم » كل ارض يرثها المسلمون منهم على طول خطوط النار ، في جهادهم المتواصل الصارم ! « وكان الله على كل شيء قدير » .

مركز تحقيق كامبوتر علوم إسلامي

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ

قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا

فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنْتُنَّ

تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ

مِنْكُمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ يٰٓنِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنْكُنَّ

بِفَتْحَةٍ مُبَيَّنَةٍ يُضَعَّفُ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ^٤ وَكَانَ
 ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ * وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُمُ اللَّهُ
 وَرَسُولُهُ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُفْتَحْ لَهَا أَبْوَابًا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا
 رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ يَنْسَاءُ النَّبِيُّ لَسْتُمْ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ
 إِنْ أَنْتَقَبْتُمْ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ
 مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقُرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا
 تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى^٥ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ
 الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ^٦ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ
 عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾
 وَأَذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ^٧
 إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ
 وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ

وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ
وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّاتِمِينَ
وَالصَّائِمِينَ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ
وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً
وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٥﴾

هذه الآيات الثمان تستعرض بعبدين وجانبيين من بيت النبي الطاهر ،
بيت الرسول : أزواجه ، وبيت الرسالة : المحمدين المعصومين في جو
الرسالة القدسية الختمية ، اختصاراً باختصار في عرض بيت الرسالة
والتعريف به : « انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم
تطهيراً » في جميع مذكرين يعينان الذكران من أهل بيت الرسالة بمن فيهم
فاطمة الصديقة (عليها السلام) ، وذلك بعد عشرين خطاباً في جموع
مؤتة قبله واثنين بعده كلها تعني - فقط - نساء النبي (صلى الله عليه وآله
وسلم) في اوامر ونواهي أكيدة شديدة متهددة ومرغبة ، ولكي تجمع الى
طهارة أهل بيت الرسالة - وهي القمة بين بيوتات الرسالات - تجمع طهارة
أهل بيت الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ، ثم الآية الثامنة تعميم
لأجور المؤمنين حسب الدرجات سواء أكن من أزواج النبي أم سواهن
ولكي تبين ألا ميزة لزوجية النبي بمفردها « وأن ليس للانسان الا ما سعى » .

مضت آية الأمهات مصرحة انهن امهات المؤمنين ، ولأن هذه الكرامة
لها تكاليفها ، ولزوجية النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) تكاليفاتها

الوقائية ، لذلك يُخاطَب في اثنين وعشرين خطاباً صارماً تختص بهن ليصنعن من انفسهن أهلية زوجية النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأمومة المؤمنين .

﴿ يا ايها النبي قل لأزواجك ان كتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين امتعن واسرحكن سراحاً جميلاً ﴾ (٢٨).

هنا نساء النبي يخاطبن بوسيط النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) علّه لبعدهن عن ساحة الربوبية وإلا فلماذا ارادة الحياة الدنيا في بيت الرسالة القدسية ، ثم المأمور بأمرهن هو وليهن في بُعدي الرسالة والزوجية .

ثم ولقربهن شيئاً ما إذ يتركن الحياة الدنيا وزينتها ، ولتقريهن الى ساحة الطاعة لكي يَهَبَ الله اذ يخاطبهن الله ، يخاطبن دون وسيط إلا نقلاً هن بالوحي ، في سائر الخطابات الاثني والعشرين : « يا نساء النبي ... واذكرن ... في بيوتكن ... »

يرجع الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) من غزوة خيبر مصيباً كثر آل ابي الحقيق فيقلن ازواجه له : اعطنا ما أصبت ، فيقول هن : قسمة بين المسلمين على ما أمر الله ، فيغضبن من ذلك ويقلن له : لعلك ترى أنك ان طلقتنا الآنجد الأكفاء من قومنا يتزوجونا ، فأنف الله عز وجل لرسوله فأمره أن يعتزلهن فاعتزلهن في مشربة ام ابراهيم تسعة وعشرين يوماً حتى حضن وطهرن ثم أنزل الله آية التخيير هذه فقامت ام سلمة امن هي ؟ فقالت : قد اخترت الله ورسوله ، فقمن كلهن فعانقنه وقلن مثل ذلك فانزل الله عز وجل : « ترجى من تشاء منهن وتؤوي اليك من تشاء ... » (١)

(١) روى اصحابنا انها ام سلمة كما اخبره القمي في تفسيره على ما في المتن =

وهكذا نتلمح من « قل لأزواجك » دون « بعض أزواجك » انهن كلهن تشاركن في ازواجه فانزعاجه (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى نزل ما نزل وحصل ما حصل .

مجموعة حلائل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كن سبعة عشر ، دخل بهن اجمع إلا عمرة والسيفا وفيهن سريتان : مارية القبطية وريحانة الخندقية ، كان يقسم لهما مع ازواجه . ولم يجمع قط إلا بين تسع منهن فاعتزل (صلى الله عليه وآله وسلم) حين اعتزل عنهن ومات كذلك عنهن وافضلهن خديجة ثم ام سلمة ثم ميمونة^(١) وارذهن من جاريت وصيته يوم الجمل .

= وروى اخواننا انها عاتشة كما في الدر المنثور بعدة طرق ففي نور الثقلين ٤ : ٢٦٦ عن المجمع روى الواحدي بالاسناد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) جالساً مع حفصة فتشاجرا بينهما فقال لها : هل لك ان اجعل بيني وبينك رجلاً ؟ قالت : نعم فارسل (صلى الله عليه وآله وسلم) الى عمر فلما ان دخل بينها قال لها تكلمي قالت يا رسول الله تكلم ولا تقل الا حقاً فرفع عمر يده فوجأ وجهها فقال له النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) : كف فقال عمر : يا عدوة الله النبي لا يقول إلا حقاً والذي بعثه بالحق لولا مجلسه ما رفعت يدي حتى تموت فقام النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فصعد الى غرفة فمكث فيها شهراً لا يقرب شيئاً من نساءه يتغلى ويتعشى فيها فانزل الله هذه الآيات .

وفيه ص ٣٦٥ ح ٦٦ باسناده عن ابي الصباح الكتاني قال ذكر ابو عبد الله (عليه السلام) ان زينب قالت لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لا تعدل وانت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وقالت حفصة : ان طلقنا وجدنا اكفامنا من قومنا ...

اقول مهما اختصت البعض من نساءه بالبعض من هذه الاقاويل فالقولة المشتركة عليها الأخيرة « ان طلقنا ... » .

(١) نور الثقلين ٤ : ٣٦٧ ح ٧٤ في كتاب الخصال عن ابي عبد الله جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) قال : تزوج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بخمس =

لقد خيرهن بعد نزول آية التخيير بين المقام معه إن يردن الله ورسوله ، أو الإنسراح عنه إن يردن الحياة الدنيا وزينتها ، حيث اختار لنفسه وأهله معيشة الكفاف وعيشة العفاف دون زهو ولهو بتبذير أو اسراف ، لا عجزاً عن حياة المتاع والزينة ، وإنما زهداً عادلاً كقدوة للأمة .

إلا أن نسائه (صلى الله عليه وآله وسلم) يتطلبن منه زهوة وزهرة كما هي شيمة النساء ، وليس الرسول يميل الى ميولهن فيزدهي بزهوهم ويشتهي ما يشتهين ، ولا سيما في الأموال التي هي لعامة المسلمين ، وكذلك في أمواله الشخصية ، ولذلك يعرض عنهن بعد عرضهن طلب الحياة الدنيا وزينتها واعتراضهن عليه ، يعرض نظرة الوحي فتزل آية التخيير فيخيرهن بين هذه وتلك .

عشرة امرأة ودخل بثلاث عشر امرأة منهن وقبض عن تسع فاما اللاتي لم يدخل بهما فعمرة والسيفا واما الثلاث عشرة اللاتي دخل بهن فاولهن خديجة بنت خويلد^(٢) ثم سودة بنت زمعة ثم^(٣) ام سلمة واسمها هند بنت امية^(٤) ثم ام عبد الله عائشة بنت ابي بكر ثم حفصة بنت عمر ثم زينب بنت خزيمة بنت الحارث ام المساكين^(٥) ثم زينب بنت جحش ثم ام حبيب رملة بنت ابي سفيان ثم^(٦) ميمونة بنت الحارث ثم^(٧) زينب بنت عميس ثم^(٨) جريرة بنت الحارث ثم^(٩) صفية بنت حيي بن اخطب^(١٠) والتي وهبت نفسها للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) خولة بنت حكيم السلمي وكان له سريتان يقسم لهما مع ازواجه مارية القبطية وريحانة الحنظلية والتسع اللاتي قبض عنهن عائشة وحفصة وام سلمة وزينب بنت جحش وميمونة وام حبيب وجريرة وسودة وفضلهن خديجة ثم ام سلمة ثم ميمونة اقول وفيه عن الكافي عن ابي جعفر (عليه السلام) قال في طوائف هؤلاء النسوة - ٤ - من تيم و - ٥ - من عدي و - ٣ - من بني مخزوم و - ٢ - من بني اسد و - ٨ - من بني امية و - ٩ - من بني هلال و - ١٢ - من بني اسرائيل ولم يذكر البقية وطبعاً خديجة من الفضل قرش ، وتفرق هذه الطوائف من الدليل على ان زواجه كانت سياسته اكثر مما هي جنسية .

اترى كان عرض التخيير، امامهن كلهن فاخترن الله ورسوله ؟ ام امام
ام سلمة فتبعنها كلهن ؟ ام امام عائشة ؟ وقد يروى انها تطلب منه (صلى
الله عليه وآله وسلم) اختصاصها فقال : « ان الله لم يعثني متعتاً ولكن
بعثني معلماً مبشراً لا تسألني امرأة منهن عما اخترت إلا أخبرتها » ؟ (١).

انه (صلى الله عليه وآله وسلم) على أية حال لم يكن ليخرج عن
العدل بين نساءه حتى في ذلك العرض دون فرق بين عائشتين وأم
سلمتهن ، اللهم إلا بفارق التقوى ، دون تقديم لتلك بشابها وجمالها على
هذه آمن هي لتقدمها عمراً او تاخرها جمالاً ! .

ويا له من عرض عريض بين هلياً الحياة معه (صلى الله عليه وآله وسلم)
ودنيا الحياة لامعه « ان كنتن تردن حياة الدنيا وزيتها » في بيت
الرسالة القدسية ، تغافلاً عن اصل الحياة الزاهرة الباهرة في جو الوحي ،
والتزليل ، او تذرُعاً بها الى الحياة الدنيا وزيتها ، فلا جمع بين الحياتين مع
النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ولا اختصاصاً بالحياة الدنيا ، إلا ارادة
الله ورسوله ، ف - « من كان يريد الدنيا وزيتها نوف اليهم اعمالهم فيها
وهم فيها لا يُبخسون . اولئك ليس لهم في الآخرة إلا النار . » (١١: ١٥) .

(١) الدر المنثور ٥ : ١٩٤ - اخرج بعدة طرق عن جابر وساق القصة الطويلة الى قوله
وانزل الله الخيار فبدأ بعائشة فقال : اني ذاكرك لأمراً ما احب ان تعجلي فيه حتى
تستأمري ابويك قالت ما هو ؟ فتلا عليها الآية قالت عائشة : افيك استأمر ابوي بل
اختر الله ورسوله فأسألك ان لا تذكر الى امرأة من نسائك ما اخترت فقال : ان
الله ..

وفي نقل آخر فاكنتم علي ولا حجز بذلك نساءك قال (صلى الله عليه وآله وسلم) بل
اخبرهن به فاخبرهن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) جميعاً فاخترن الله
ورسوله والدار الآخرة فكان خياره بين الدنيا والآخرة اتخترن الآخرة او الدنيا ...

وكيف لهؤلاء موقع في بيت الرسالة القدسية ؟ « فتعالين امتعنن » بما يجب محبوراً « وأسرحكن سراحاً جميلاً » فكاً عن أسركن إذ لا تجدن ما تُردن في ذلك البيت ، فليس الطلاق اسلامياً إلا فكاً عن أسر ، من الجانبين او من جانب واحد ، فيسرح المفكوك زوجاً ام زوجة ويرتع حيث يشاء و « سراحاً جميلاً » كلمة صراح في سماح انطلاقهن بطلاقهن الى اختيار الازواج ، ففي تسريحهن - اذاً - تطليقهن عن كونهن امهات المؤمنين ، كما عن كونهن ازواجه ، فقضية السراح هي الإنسراح عن قيود زوجيته الى اخرى ، وقضية أنه جميل استئصال كافة العقبات عن زواجهن الاخرى كسائر المطلقات ، فلو بقي بعد طلاقهن كونهن امهات المؤمنين ، فلا سراح لهن فضلاً عن جميل ، والله تعالى يقول « فتذروها كالمعلقة » تنديداً بمن يظلمهن هكذا ، لا ذات بعل ولا خلية تتبعه ، وساحة النبي اقدس واحرى ألا يذرهن بتسريحهن كالمعلقة .

واما موته عنهن دون طلاق فليس سراحاً فضلاً عن جميل ، ومن بعده امهات المؤمنين ، إلا اذا تخلفن عن شروطاتها كما تخلف البعض منهن وهُددت بالطلاق ، اطلاقاً في الازواج .

فكما النكاح في ميزان الله متاع ، كذلك الطلاق متاع . وسراح جميل ، عقد جميل وفك جميل دونما عراك واحتكاك في ذلك الفكاك .

ليس النبي ليقبل ضغطاً عليه وتحميلاً في الحياة الدنيا وزينتها ، وليس ليُضغَطَ أزواجه على بساطة العيشة في الحياة كأبسط ما تكون ، أسراً لهن خلاف ما يردن ويرغبن ، لذلك فليخيرهن ويقبل منهن ما يخترن .

وليس ليقبل النبي الأقدس من ابى بكر وعمر أن يضربا عائشة وحفصة على هذه المراجعة النكدة في النفقة ، حيث المسألة مسألة مشاعر وميول بشرية وطلبات طبيعية نسائية ، دون تسيير لهن على خلاف ميولهن ، وإنما

مسايرتهن ما لا يحسن من كرامة بيت النبوة ، ثم تخييرهن كما خير ، واخترن الله ورسوله والدار الآخرة :

﴿ وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فان الله اعد للمحسنات منكن اجرا عظيماً ﴾ (٢٩).

وانه ليس الأجر العظيم إلا للمحسنات منهن بعدما أردن الله ورسوله والدار الآخرة ، فهناك إرادة الإحسان وهناك تحقيق الإحسان ، وليست الإرادة لتكفي ما لم يتحقق المراد بالحسنى ، ثم العاقبة الحسنى بمواصلة الإحسان في إرادة الله ورسوله ، واما اللاتي يردن الله ورسوله والدار الآخرة بغير البقاء في بيت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ثم لا يحسن كما يناسب ذلك البيت ، ومن ثم يجاربن في حرب الجمل اماذا ؟ وصيه الطاهر . فهن بعيدات من الأجر فضلاً عن عظيمه ، وأبعد من العامرية التي اختارت قومها ! .

ثم الإحسان في رغبة الوحي والتزليل افضل أجراً من سواء كما الإساءة اردل وأنكل ، حيث البعد الثاني لكلا الاحسان والإساءة راجع إلى أحسان هذا البيت وإساءته بين الناس ، فعل مستوى عظم ذلك البيت يعظم أجر الإحسان وعذاب الإساءة ، وهذه قاعدة عادلة سارية في أبعاد الأفعال خيراً أو شراً ، وكما تواتر عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في من سن سنة حسنة او سيئة .

وهل التسريح هنا هو التطليق رجعيّاً أم بائناً ، فمن تختار الحياة الدنيا يطلقها بصيغة ؟ أم ان اختيارهن لها طلاق ؟ التسريح صريح أنه فعل من النبي إن اخترن الحياة الدنيا ، فليس اختيارهن اذاً بنفسه طلاقاً ، وليس التسريح - فقط - صيغة لفظية للطلاق ، إلا أن تسريح كل شخص بحسبه ولا نعرف تسريحاً اسلامياً للزواج إلا بالتطليق ، إلا ان يختص النبي

(صلى الله عليه وآله وسلم) بتطليق دون لفظكما في نكاح « وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي ان اراد النبي ان يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين » (٣٣ : ٥٠) إلا أنهما لا تثبتان طلاقاً او نكاحاً دونما صيغة ، بل « لو اخترن انفسهن لطلقهن » (١) .

وهل المسرحة هكذا تنسرح بحيث تحمل لها الزواج بغيره ؟ وهن امهات المؤمنين ! : « ولا أن تنكحوا ازواجه من بعده ابداً » ! ولكنها الحياة الدنيا وزيتها والسراح الجميل قد تتنافى وحرمان الزواج وهو من امتع مُتّع الحياة وزيتها ومن اجل السراح ! فقد يكون تسريحهن هكذا تطليقاً عن كونهن امهات المؤمنين وكما خول علي (عليه السلام) بتطليقهن ان خرجن عن طور الطاعة له (صلى الله عليه وآله وسلم) كما يحق وقد مضى حديثه عن القائم المهدي (عليه السلام) ومن هنا ننتقل على أية حال أن « لو اخترن انفسهن لبن » (٢) دونما رجعة حيث الامر قاطع لا مرد له من الله : « قل... تعالين... اسرحكن » فليسرح من اختارت الدنيا دونما رجعة ، اللهم إلا رجوعاً الى الله ورسوله فرجعة بعقد جديد ولا دليل عليه !

(١) نور الثقلين ٤ : ٢٦٥ عن الكافي حميد عن ابن سماعة عن ابن رباط عن عيص بن القاسم عن ابي عبد الله (عليه السلام) قال سألت عن رجل خبر امرأته فاخترت نفسها بانت ؟ قال : لا - انما هذا شيء كان لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) خاصة أمر بذلك ففعل ولو اخترن انفسهن لطلقهن .

(٢) نور الثقلين (٦٥) حميد عن ابن سماعة عن محمد بن زياد وابن رباط عن ابي ايوب الخزاز قال : قلت لابي عبد الله (عليه السلام) اني سمعت اباك يقول : ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) خير نسائه فاخترن الله ورسوله فلم يسكنهن على طلاق ولو اخترن انفسهن لبن ؟ فقال : ان هذا حديث كان يرويه ابي عن عائشة وما للناس والخيار انما هذا شيء خص الله به رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) .

« يا نساء النبي من يات منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيراً » (٣٠) ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحاً نؤتيها اجرها مرتين واعتدنا لها رزقاً كريماً » (٣١)

ولماذا في قصة التخيير « قل لأزواجك » ثم هنا والتي بعدها « يا نساء النبي » ؟ علّه حيث الاولى يخص ازواجه والاخريان تشملان معهن بناته وكل امرأة تعيش في جو الوحي مرتبطة به نسباً او سبباً فهما باحري يشملانه الصديقة الزهراء (عليها السلام) ان يؤتاها اجرها مرتين ويعتد لها رزقاً كريماً !

وهذه ضابطة عامة في الاعمال خيراً وشرأ ، أن يُنظر إليها من بعدين : نفس العمل ، ومن يرتبط به اياً كان ، في خير او شر من غير العامل ، واعظم رباط للعاملين هو الواقع في جو الوحي ، ثم وما دونه من أجواء ، يذكرها افضلها لنجعلها نبراساً ينير الدرب على ما دونه ، كل بحسبه .

واذا كان هذا موقف نساءه (صلى الله عليه وآله وسلم) فباحري بنته الزهراء (عليها السلام) وعلي (عليه السلام) والأئمة من ولدهما عليهم السلام من عترته وكما يروى عن زين العابدين (عليه السلام) : « نحن احري ان يجرى فينا ما اجر الله في أزواج النبي من أن نكون كما تقول ، انا نرى لمحستنا ضعفين من الأجر ولمسيثنا ضعفين من العذاب » (١).

(١) نور الثقلين ٤ : ٢٦٨ ح ٧٧ في جمع البيان وروى محمد بن ابي عمير عن ابراهيم بن عبد الحميد عن علي بن عبد الله بن الحسين عن ابيه عن علي بن الحسين زين العابدين انه قال رجل : انكم اهل بيت مغفور لكم قال فغضب وقال : نحن ... وفي الدر المنثور ٥ : ١٩٦ - اخرج ابن ابي حاتم عن جعفر بن محمد (عليه السلام) يجرى ازواجه مجرانا في الثواب والعقاب

وقد عد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ازواجه في هذه الميزة من « اربعة يؤتون اجرهم مرتين » ^(١) دون اختصاص بهن ، فانما الميزة للأقرب فالأقرب صلة ومكانة ، وهما في عترة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) اقرب قرابة ومحتداً !

فمضاعفة العذاب هنا هي تبعة المكانة الكريمة من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كما مضاعفة الأجر فانها تابعة لنفس المكانة ، تُقدَّر ان بقدرها في المنسوب والمنسوب إليه ، ولا أكرم من الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ولا أقرب من اهله الذين يعيشون جو الوحي !

والفاحشة هي المعصية الفاحشة ، متجاوزة حدها ام الى غير العاصي ام تجمعهما ، ثم الفاحشة قد تكون مبينة متجاهرة ولا تبين إلا نفسها ، وقد تكون مبينة تبين معها موقف صاحبها ومن يتصل بهم بطبيعة الحال ، وهنا « فاحشة مبينة » كالأخيرة لا فقط « مبينة » إذا فهي التي تبين موقف صاحبها أنها منه كما تتراوش من كوز ، لا فلتة غير قاصدة ، كما وتبين ما يستحقه من العقاب عليها .

ثم وليست الفاحشة لتختص بالشذوذات الجنسية وهي من الجنثيات

(١) المصدر اخرج الطبراني عن ابي امامة قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) اربعة يؤتون اجرهم مرتين منهم ازواج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وفيه اخرج ابن ابي حاتم عن الربيع بن انس في الآية قال : ان الحجة على الانبياء اشد منها على الاتباع في الخطيئة وان الحجة على العلماء اشد منها على غيرهم فان الحجة على نساء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) اشد منها على غيرهن ...

النسائية بعيدة عنها ساحة الرسالة القدسية حيث « الخبيثات للخبيثين »
 مهما كانت للبعض من نساء الانبياء فاحشة الكفر كما قبل الاسلام بسائر
 فسقه إلا الزنا .

فمن « الفاحشة الخروج بالسيف »^(١) على وصي النبي (صلى الله
 عليه وآله وسلم) فانه خروج على نفس النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)
 وما أفحشها من فاحشة ، وكما خرجت عائشة يوم الحمل على وصي
 الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وخرجت زوجة موسى على وصيه
 حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة^(٢) .

ان حرب عائشة زوجة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وحرب
 صفيراء زوجة موسى (عليه السلام) مع وصييهما هي من الفاحشة
 المبينة ، خروجاً عن بيت النبوة ، وخروجاً على بيت النبوة ، ولا أفحش من
 هذه الفاحشة مبينة مدى التخلف العارم على صاحب الرسالة الإلهية ، والله
 يقول « وقرن في بيوتكن »^(٣) !

مركز تحقيق ودراسات إسلامية

(١) نور الثقلين ٢٦٨ في تفسير علي بن ابراهيم باسناد عن حريز قال : سألت ابا
 عبد الله (عليه السلام) عن قول الله عز وجل : « يا نساء النبي من يات منكن . . . »
 قال (عليه السلام) : الفاحشة الخروج بالسيف ، اقول وهو من التفسير بفاحش
 مصاديق الفاحشة .

(٢) نور الثقلين ٤ : ٢٦٨ ح ٧٨ في كتاب كمال الدين النعمة باسناد الى عبد الله
 بن مسعود عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) حديث طويل يقول فيه (عليه
 السلام) ان يوشع بن نون وصي موسى (عليه السلام) عاش بعد موسى ثلاثين سنة
 وخرجت عليه صفيراء بنت شعيب زوجة موسى (عليه السلام) فقالت : انا احق
 منك بالامر فقاتلها فقتل مقاتليها واحسن اسرها وان ابنة ابي بكر ستخرج علي في
 كذا وكذا الفأ من امتي فيقاتلها فيقتل مقاتليها ويأسرها فيحسن اسرها وفيها أنزل الله
 تعالى « وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى » يعني صفيراء بنت شعيب .

وترى ان مضاعفة العذاب ضعفين هي ضعفين على أصل العذاب فهي اذاً ثلاثة أضعاف ؟ والأجر الذي هو قضية الفضل احرى بذلك من العذاب العدل وهو « مرتين » اذاً « فضعفين » هما « مرتين » حالاً من العذاب ، عذاباً وثواباً على سواء ، والمضاعفة هي الزيادة قلت او كثرت ، من مرتين الى ما شاء الله ، وهي هنا ضعفين ، فالضعف هو الزيادة دوغماً وتحديد « ومن آمن وعمل صالحاً فاولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم في الغرفات آمنون » (٣٤ : ٣٧) واقل الضعف لهم عشرة « من جاء بالحسنة فله عشرة امثالها » « ولدينا مزيد » وكما لمن جاء بالسيئة ضعف في مضاعفتها : ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذاباً ضعفاً من النار قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون » (٧ : ٣٨) ويعلم ان ضعف المضلل اضعف من ضعف المضلل وكل ضعف ا... .

ومن ثم الأضعاف تعني المرات من ثلاثة فما فوقها « يا ايها الذين آمنوا لا تاكلوا الربا اضعافاً مضاعفة » (٣ : ١٣٠) اي : مرات مزيدة على الاصل « من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له اضعافاً كثيرة .. » (٢ : ٢٤٥) .

إذاً فمضاعفة الضعفين من العذاب هي الزيادة المثلين لا زيادة مثلين على أصل العذاب ، وكما الأجر مرتين : عذاب او اجر ، للفاحشة او القنوت ، نفسه في حساب الفاعل ، وآخر تحجيلاً او تبجيلاً لجوالوحي والتزويل جزاءً وفقاً او عطائاً حساباً .

هنالك فاحشة مبيته فعذاب ضعفين « وكان ذلك على الله يسيراً » وليس عليه عذابهن عسيراً تمنعه عنه مكانتهن من الرسول حيث الرسول نفسه ايضاً مهدد : « لوتقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين . ثم

لقطعنا عنه الوتين . فما منكم من أحد عنه بحاجرين » (٦٩ : ٤٦)

وهناك قنوت لله ورسوله « ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحاً خاضعاً لله عبودية ولسوله طاعة وعملاً يصلح لذلك الخضوع ، صالحاً لجو الوحي والتنزيل » نؤمنها أجراها مرتين « وزيادة هنا لانه قضية الفضل : « واعتدنا لها رزقاً كريماً » دوئماً هناك حيث العذاب قضية العبدل فهو عدل للفاحشة دوئماً ريوه . اترى ان كن عواناً بين ذلك ، لا فاحشة مبينة ولا قنوت لله ورسوله ، فهلاً يكون هنالك اجر ولا عذاب ؟

اجل ! ولكنه لا ضعف في عذابهن ولا أجرهن ، حيث البعد الثاني من العصيان والطاعة عادم فتأتي الأجر والعذاب كذلك عادم ومثلهن اذا كسائر النساء على سواء ، فلا كرامة الا بالتقوى ولا مهانة إلا بالطغوى ، ايأ كانت الطغى وان زوجة النبي ، وايأ كانت التقى وان زوجة فرعون الشقي « ضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً وقيل ادخلا النار مع الداخلين ، وضرب الله مثلاً للذين آمنوا امرأة فرعون إذ قالت رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين . ومريم ابنت عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين » (٦٦ : ١٢) .

ثم وليست مضاعفة الثواب والعقاب لنساء النبي إلا للبعد الثاني من الطاعة والعصيان ، دون رعاية للصلة بالنبي ، وإلا فلا عقاب ام تخفيفاً من العذاب كضعف الثواب .

وترى ان مضاعفة العذاب في الفاحشة المينة تخص الأخيرة ؟ ام تعم الاولى والأخرة ؟ العموم قضية اطلاق العذاب ، فالفاحشة التي فيها الحد

يضاعف لمن حدّها في الاولى كما في الاخرى إلا انه يخص الفاحشة المبيّنة ،
لا كل فاحشة ولا المبيّنة دون تبين وقوفاً عند النص فيما يشد عن القاعدة تأمل .

« يا نساء النبي لستن كأحد من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول
فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولاً معروفاً » (٣٢) .

انه ليس ارتفاع المساوات بين نساء النبي وسائر النساء لانهن نساء
النبي ، بل « ان اتقيتن » كما وليس النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)
كأحد من الرجال لنبوته . . انتن في مكانة لا يشارككن فيه أحد من
النساء ، ولا تشاركن فيها أحداً من النساء ولكن « إن اتقيتن » فليست
المسألة مجرد قرابة من النبي بسبب او نسب اللهم إلا حسب التقوى وسببها
ونسبها ، فالتقوى تقوى ان كانت في مكانة عليا ومحمد اقوى كما الطغوى
تقوى على سواء ، فلا بد من القيام بحق هذه القرابة العليا ، وهو القائل
« يا فاطمة ابنة محمد ! يا صفية ابنة عبد المطلب ! يا بني عبد المطلب ! لا
أملك لكم من الله شيئاً سلوني من مالي ما شئتم » (١) .

وهل الاوامر والنواهي التالية تخصهن لاختصاص خطاباتها هن ؟ و
ان اتقيتن « تعم كل تقوى واجبة وراجحة من كل متقية منهن وسواهن ا
وموارد الامر والنهي هنا لا تخصهن ! فانما التقوى هن تخرجهن عن
مساواتهن لسواهن دون واجبات او محرمات تختصهن ، وليست المذكورة إلا

(١) اخرجهم مسلم في صحيحه ويروى المسلم والترمذي ايضاً قوله (صلى الله عليه وآله وسلم)
« يا معشر قريش انقلذوا انفسكم من النار ! يا معشر بني كعب انقلذوا
انفسكم من النار ! يا معشر بني هاشم انقلذوا انفسكم من النار ! يا فاطمة بنت محمد
انقلذي نفسك من النار ! فاني والله لا املك لكم من الله شيئاً إلا ان لكم رحماً سابغاً
ببلاءها .

عمامة لكافة المسلمين دون اختصاص بهن ، فالآية تشجيع لمن على اصل التقوى واذا « لستن كأحد من النساء » !

تقوى في القول سلبياً « فلا تخضعن بالقول ، وإيجابياً « وقلن قولاً معروفاً » !

ينهاهن حين يخاطبن غير ذوي الأرحام عن ان يكون في اقوالهن خضوع له نبرة مثيرة ، ولينة مغيرة ، خضوعاً في موسيقا التعبير ، ام ما يحمله من معنى مشير ، فواويله إذاً جمعاً في عبرة القول ونبرته وضحكته ! « فيطمع الذي في قلبه مرض » : الشهوة الكامنة حيث تظهرها القولة الخاضعة ، فلتكن قولة مخضعة ام لاقل تقدير لا خاضعة ولا مخضعة ، لا في موسيقاها ولا في معناها .

للمرأة قولات ثلاث : ١ - خضوع - مشرباي من ابعاده .. فمحظور ٢ - لا خضوع ولا كبرياء فغير محظور ، ٣ - إخضاع بكبرياء في قول تطوي نسائية الصوت ولطافته طياً فمحظور مشكور ، فتقوى واجبة في قولهن عدم الخضوع ، ومن ثم راجحة هي إخضاع والقول المعروف هو المعروف عن مسلم جلاً في جنباته ، ثم المعروف عن مؤمنة جلاً منها مع غير المحارم ، ثم المعروف عن اهل النبي فهو اذاً مثلث المعروف واقله ألا يكون فيه ما يحرم من مؤمنة لغير محرم !

صحيح انهن كازواج النبي وامهات المؤمنين ليس ليطمع فيهن طامع ، ولكن المرض في قلوب مقلوبة يُستثار ، قلوب مريضة بالشهوات دونها عفاف ، ام ومريضة بنفاق ام نقصان في ايمان ، مهما سلمت القلوب السليمة بايمان وعفاف على ما فيها من شهوة ، فانها ليست ككل مرضاً فان الله خلقها في كل مؤمن ومؤمنة ، وفي النبيين ، وانما يخاف من لا يعف شهوته .

واذا كن نساء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) على ما هن عليه من المكانة ، في ذلك الزمن البدائي البسيط هن يُنهين عن الخضوع في القول ، فكيف بهذا المجتمع الذي نعيشه اليوم ، المتقدمة فيه الشهوات ، المرفوقة على جوه الأطماع ، المسعرة فيه السعارات المحمية الجنسية ، فأحرى بالمؤمنات اذا ألا ينحضعن بالقول او يبرزن في اية صورة مثيرة ، فانها مثار الفتنة .

« وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى واقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله . . . (٣٣) »

« وقرن » هل إنها امر بالوقار ؟ وامره « قرن » ! والوقار واجبهن على أية حال ، وبأحرى خارج بيوتهن وهنا « بيوتكن » ! وقضية الموقف في سرد أوامرونواهي ، هي العطف كما في سائرهما !

فهي اذا « قرن » عطفاً ، فهل بعدُ من قاريقار إذا اجتمع ؟ ولا موضوعية في جمعهن في بيوتهن إلا قرارهن جماعات او فرادى ! وامرها « إقررن » ! اللهم إلا بحذف الحرقين تخفيفاً كما في اصراها فنعمها ، ولكنها معنوياً غير مناسبة فكلاً !

أم إنها من قر يُقر ؟ وامرها « إقررن » فكذلك الأمر الآ في المعنى ، فانه امر بقرارهن في بيوتهن ، ومن دناءة المرأة كونها ألفتاً تكثر الخروج من بيتها دون ضرورة تلجئها ، وهذا يناسبها في أدب اللفظ وجمال المعنى ، والاول يخالفهما ، والاولى يخالف المعنى ، والقرآن جمال ذو وجوه فساخلموه على أحسن الوجوه وهو ثالثها .

يقرر هذا الأمر هن أصل قرارهن في بيوتهن ، فان اشغالهن في الأكثرية الساحقة أشغال بيتية ، كُفين عما سواها بمعونة الرجال مؤونات أما هي ؟ .

فلا يعني تحريم خروجهن عن بيوتهن اللهم إلا تبرجاً كجاهلية

الاولى ، فلو كان عطفاً لكان « ولا تخرجن » في تبرج وسواه ، فانما هي
عن تبرج الجاهلية الاولى :

« ولا تخرجن تبرج الجاهلية الاولى » احتشاماً في خروجهن اذا لزم
الامر او رجح ، يتحجب يناسب حرمة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)
والتبرج هو تكلف في الظهور كالبرج المظاهر لكل ناظر ، تكلفاً في
اظهار زينتهن الستيرة تحت ملابسهن ، وتكلفاً في تزيين زائد على الذاتية
النسائية فيهن ، في عطرة تجلب ، او مشية تجذب ، او صوتة تطمع ، او
غنجة تثير ، اما اذا من تظاهر نسائي يعطف اليهن انظار الرجال الأجانب
فيطمع الذي في قلبه مرض !

البيت ستر أول للنساء ، ثم إخفاء الزينة وكل جاذبية نسائية « إلا ما
ظهر » وتهذر بطبيعة الحال دونما تبرج ،

« كانت عائشة إذا قرأت : « وقرن في بينوتكن » بكت حتى تبل خمارها » (١)
وهل كانت تبكيها وطأة الأمر الشاق ؟ وليس قرار البيت إلا راحة
للمرأة واحتشاماً ! ام كانت تبكيها لانها اضمرت خروجها يوم الجمل ؟
سلوها فانا لا ندري إلا خروجها يوم الجمل تخلفاً عن أمر ربه على إمامها !
(٢)

(١) الدر المنثور ٥ : ١٩٦ - اخرج ابن أبي شيبة وابن سعد وعبد الله بن أحمد في
زوائد الزهد وابن المنذر عن مسروق قال : كانت عائشة ...

(٢) نور الثقلين ٤ : ٢٦٩ ح ٨٢ في بصائر الدرجات أحمد بن محمد والحسن بن علي
بن النعمان عن أبيه عن علي بن النعمان عن محمد بن منان يرفعه قال : ان عائشة
قالت : التمسوا لي رجلاً شديداً للعداوة لهذا الرجل (تعني علياً) عليه السلام)
أبعثه اليه قال : فأتيت به فمثل بين يديها فرفعت اليه رأسها فقالت له : ما بلغ من
عداوتك لهذا الرجل ؟ فقال لها : كثيراً ما اتقى على ربي انه واصحابه في وسطي
فضربت ضربة بالسيف فسبق السيف الدم ، قالت : فأتيت له اذهب بكتابي هذا فادفعه =

«وقرن . . ولا تبرجن» ؟! كما وقرن ولم يتبرجن^(١).

= اليه ظاعناً رأيته او مقيماً ، اما انك ان رأيته رأيته راكباً على بغلة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) متكباً قوسه معلقاً كنانته بفريوس سرجه واصحابه خلفه كانهم طير صواف قال : فاستقبله راكباً كما قالت فناولته الكتاب فقص خاتمته ثم قرأه فقال : تبلغ الى منزلنا فتصيب من طعامنا وشرابنا ونكتب جواب كتابك ؟ فقال : هذا والله ما لا يكون ، قال : فسار خلفه فاحلق به اصحابه ثم قال له : اسألك قال : نعم قال : وتجيبي ؟ قال : نعم قال : نشدتك بالله هل قالت : التمسوا لي رجلاً شديد العداوة لهذا الرجل فاني بك فقالت لك : ما بلغ من عداوتك لهذا الرجل ؟ فقلت : كثيراً ما اتخنى على ربي انه واصحابه في وسطي واني ضربت ضربة سبق السيف الدم ؟ قال : اللهم نعم ا قال : فنشدتك الله هل قالت لك : اذهب بكتابي هذا فادفعه اليه ظاعناً كان او مقيماً اما انك ان رأيته رأيته راكباً على بغلة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) متكباً قوسه معلقاً كنانته بفريوس سرجه واصحابه خلفه كانهم طير صواف فتعطيه كتابي هذا ؟ قال : اللهم نعم قال : فنشدتك الله هل قالت لك : ان عرض عليك طعامه وشرابه فلا تتناولن منه شيئاً فان فيه السحر ؟ قال : اللهم نعم قال : فتبلغ عني ؟ قال : اللهم نعم فاني قد اتيتك وما في الارض خلق ابغض اليّ منك وانا الساعة ما في الارض خلق احب اليّ منك فمرني بما شئت قال : ارجع اليها بكتابي هذا وقل لها : ما اطعت الله ولا رسوله حيث امرك بلزوم بيتك فخرجت تردددين في العساكر وقل لهم : ما انصفتم الله ولا رسوله حيث خلفتم حلالكم في بيوتكم واخرجتم حليلة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال فجاء بكتابه فطرح اليها وابلفها مقالته ثم رجع اليه فاصيب بصفين فقالوا : ما نبعث اليه باحد الا افسده علينا .

(١) الدر المنثور ٥ : ١٩٦ - اخرج عبد بن حميد وابن المنذر عن محمد بن سيرين قال نبئت انه قيل لسودة زوج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ما لك لا تحجيين ولا تعتمرين كما يفعل اخواتك ؟ فقالت : قد حججت واعتمرت وامرني الله ان اقر في بيتي فوالله لا اخرج من بيتي حتى اموت قال : فوالله ما اخرجت من باب حجرتها حتى اخرجت بجنازتها وفيه اخرج احمد عن ابي هريرة ان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال لنسائه عام حجة الوداع هذه ثم ظهور الحصر قال : فكان كلهن يحجن الا زينب =

ولماذا تخرج المرأة من بيتها ؟ ألما تعنيها من تحصيل النفقة اذ تعانيها ؟ وهي من واجبات الرجال ! أما إذا من واجبات خارج البيتية ؟ وهي كلها موضوعة عنها موضوعة على الرجال ، تخفيفاً عنهن واحتشاماً لهن وحفاظاً على حرماتهن ! .

للرجال رجولة الأشغال وهي في أفسحة خارج البيتية ، وللنساء انوثة الأشغال وهي داخل البيتية ، فعلى كل تقديم واجبه ، وفي معاكسة الأشغال أم خروج المرأة لتعمل مع الرجل ، كارثة على البيت لا تجبر ، اللهم إلا في الضرورات التي تبيح المحظورات ، وبيت المال يضمن مجالاتها الإقتصادية للرجال فضلاً عن النساء اللاتي ليس لهن من ينفق عليهن ، او عمل في البيت او مثله في الحفاظ عليها !

واجب النفقة أما إذا من اشغال خارج البيتية يتيح للزوجة والأم من الجهد ومن الوقت وهدوء البال ما تشرف على الفراخ الناشئة ، فالام الكادحة المكدودة بالعمل لتحصيل النفقة ، المقيدة بمواعيد العمل ، ليست لتعطي للبيت واجبه التربوي ، فبيوت العاملات والموظفات هي كالفنادق والحنانات وأنعس منها وأركس ، حيث الناشئة المحتاجة الى تربية الأم تتهدر فيها ، ولا ينوب أمها غيرها من مربين او مربيات !

فأما ان تخرج المرأة لغير العمل ، بل للإختلاط بالرجال والإشتغال بالملاهي أما إذا من لهوات وشهوات فهو الارتكاس الى حماة الحيونات ودرك الجاهليات التي ترد الانسان الى مراتع الحيوان !

يقول الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) : « ان المرأة عورة فاذا

= بنت جحش وسودة بنت زمعة وكانتا تقولان : والله لا تحركنا دابة بعد ان سمعنا ذلك من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)

خرجت استشرفها الشيطان واقرب ما تكون من رحمة ربها وهي في بيتها ،
 (١) كما و « جئن الى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقلن يا
 رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : ذهب الرجال بالفضل والجهاد
 في سبيل الله فما لنا عمل ندرك فضل المجاهدين في سبيل الله ؟ فقال
 صلى الله عليه وآله وسلم : من فعدت منكن في بيتها فلانها تدرك عمل
 المجاهدين في سبيل الله » (٢) . وقال (صلى الله عليه وآله وسلم) : « شر
 النساء المتبرجات وهن المنافقات لا يدخل الجنة منهن إلا مثل الغراب
 الأعصم » (٣) .

التاكيد في قعودهن في بيوتهن امر ارشادي للحفاظ على العفاف وعدم
 التبذل امام الرجال ، وأما إذا خرجن غير متبرجات بزينة ، متعففات ، فما
 عليهن من سبيل ولا سيما في محاورجهن المادية والمعنوية فراجع او واجب ،
 ولقد كن يخرجن زمن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) للصلاة
 وتمريض جرحى الجهاد اما اذا من متطلبات راجحة وواجبة ولكن في غير
 تبرج وتظاهر بمفاتنهن ، بل متعففات متحجبات ، وقد « كان نساء المؤمنين

(١) المصدر اخرج الترمذي والبزار عن ابن مسعود عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : ...

(٢) المصدر اخرج البزار عن انس قال : جئن النساء ...

(٣) المصدر اخرج البيهقي في سننه عن أبي اذينة الصديقي ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : ... وفيه اخرج الطبراني عن ابن عباس قال لما بايع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) النساء قال : لا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى قالت امرأة يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) اراك تشترط علينا الا نتبرج وان فلانة قد اسعدتني وقد مات اخوها فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) اذهبي فاسعديها ثم تعالي فلبيعيني .

يشهدن الفجر مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ثم يرجعن متلفعات بمروطهن ما يُعرفن من الغلس » (١) .

ولو كان خروجهن ممنوعاً لما امرن بالحجاب ، فانه سترة عن الرجال الأجانب ، والآية تنهى عن التبرج بعد الأمر بقرارهن في بيوتهن ، فليس خروجهن غير متبرجات تحت النهي ولا تحت الأمر ، فهو اذاً مسموح كفرع يستثنى عن اصل قرارهن في بيوتهن لراجع او واجب ام مباح ! .

هنالك المنعة عن تبرج الجاهلية الاولى ، مما تلمح بتبرجة اخرى (٢) ام تبرجات ثانية وثالثة اما هي ؟ وكما نعيش اليوم أبشع التبرجات النسائية في بلاد متخلفة عن شرعة الله ، لا يسترن إلا عوراتهن ولو كانت جميلة ما سترنها ، وقد يتبرجن فيها جليلة أكثر لمتاع الجنس وعند ذلك الطامة الكبرى ! وجاهلية القرن العشرين من أبشع الجاهليات التي تمر فيها البشرية وعاشتها حتى الآن !

انت يا ربحانة ماذا تعنين من التبرج ، تظهرين مفاتنك ، وتجملين بدنك وتتغنجين في صوتك وحركاتك ، وتلبسين ما يجلب انظار تجار الجنس وبغاته ، فهل انت متاع تعرضين نفسك للشراء ، ام حيوانة شهوة تبغين البغاء وتفتشين عن زبائن ، تعملين من نفسك برجاً يقصد وعند ذلك الطامة الكبرى .

للتبرج النسائي دركات ، من مشية بين الرجال تجلب انظارهم وضرب بارجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن ، بمشية تكسر وتغنج ، ومن تكشف ما

(١) نسر الثقلين ٤ : ٢٦٩ ح ٧٩ تفسير القمي عن ابي عبد الله (عليه السلام) في هذه الآية قال : اي ستاكون جاهلية اخرى

(٢) كما في الصحيحة عن عائشة .

يجب اخفائه من زينة ، وكل ما يعطف أنظار طلاب الجنس اليهن بصراً
وسمعاً وشماً ، كل هذه تبرجات مهما اختلفت دركاتها وخطراتها ، والآية
تمنع عن تبرج الجاهلية الاولى ولم يكن إلا تبرجاً بزينة كيفما كانت ، اللهم
إلا ما ظهر منها مهما جلبت انظاراً ام لم تجلب .

هنالك تستر مطلق في قرارهن في بيوتهن وهو الأصل لحياتهن ، ثم
خروج باحتشام في غير تبرج بزينة ، برجاً ظاهراً دونما تظاهر ، ثم خروج
في تبرج بأية زينة تجعلهن كبرج يقصد ، والمنوع هو الأخير بكل صوره
ولا سيما التعري بين الرجال كما كن احياناً يطفن البيت عاريات قائلات :
اليوم يبدو كله اوبعضه . . فما بدى منه فلا احله !

ولان الجاهلية الاولى ما تجاوزت عن تلکم التبرجات^(١) فتحن نعيش
الآن جاهلية أعمى وأنحس من الاولى ، غليظة الحس ، حيوانية التصور ،
هابطة في درك البشرية الى حضيض مهين وضلال مبین ! حيث بلغ التبرج
الى ابشع من التعري .

« واقمن الصلاة » كما يحق ، لا قياماً للصلاة ولا اتيانها كيفما كان ،
وانما اقامتها بظاهرها وباطنها كما تصلح لمحضر الرب سبحانه وتعالى . . .
« وآتين الزكوة » : الضريبة المالية التي تنمي المال وتطهر صاحب المال

(١) في الدر المنثور ٥ : ١٩٩ عن مجاهد : كانت المرأة تخرج تمشي بين الرجال فذلك
تبرج الجاهلية وعن قتادة : وكانت لمن مشية تكسر وتفنج فتنهن الله عن ذلك عن ابن
حيان : والتبرج انها تلقى الخمار على رأسها ولا تشده فيرى قلائدها وقرطها وعنقها
ويبدو ذلك كله منها وذلك التبرج وقال ابن كثير في التفسير : كانت المرأة منهن تمر بين
الرجال مسفحة بصدورها لا يواريه شيء وربما اظهرت شعرها واقرطة آذانها فامر الله
المؤمنات ان يستترن في حياتهن واحوالهن

والمجتمع من دنس الفقر وسوء الحال « واطعن الله ورسوله » فانتن أخرى
بذلك حيث ينزل الوحي في بيوتكن ... إنما ... ؟

« ... إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم
تطهيراً » (٣٣)

هذه آية التطهير ، منقطة النصير ، في التعريف بمدى العصمة
والطهارة للبشير النذير ، وأهل بيته الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم
بذلك التطهير .

فإنها على اتصالها بما قبلها من جملات في آيتها وآيات قبلها ثم
« واذكرن » التي بعدها ، هي منفصلة عما احتفت بها في مغزاها ومعناها ،
حيث الخطابات في سواها ال - (٢٢) كلها جموع مؤنثة تعني نساء النبي
(صلى الله عليه وآله وسلم) وهنا جعلان مذكران يعنيان الذكران من أهل
البيت (عليهم السلام)

وإنها تصلح لفظياً ومعنوياً أن تكون آية مستقلة عما تصدرتها
نازلة لوقت آخر ، وكما تواترت بذلك روايات الفريقين عن النبي
(صلى الله عليه وآله وسلم) وأهل بيته الكرام (عليهم السلام) (١) .

واستقرارها تأليفاً في آية القرار : « وقرن ... » أمرٌ قاصد قاسطٌ إذ
يعني التاليف بين بيتي النبي الأقدس (صلى الله عليه وآله وسلم) في
الظاهر النسائي والباطن المعرفي في قمة العصمة والطهارة ، وليس لها
موضع أنسب منها هنا ، رغم ما يُعرف بما لا يُعرف فيخُرف أنها تحولت

(١) أحاديث التطهير المتواترة مطبقة على أن آية التطهير مستقلة نزلت دون الفاظها
الأخرى التي معها في التاليف .

سورة الاحزاب / آية ٣٣ ١١٣

الى هنا تحريفاً عن موضعها بُغية تحريف عن موضوعها انها تعني نساء النبي
كما عنتهن سائر خطاباتهن ؟ وذكره الضمير دليل قاطع لا مرد له عما يعنيه
من ذكران اهل البيت ! .

او ان الله جعلها فيها كيلاً تحرف عما تعنيه زعم انها تعني ما تعنيه
خطابات النساء ، كحيلة إلهية تحول دون التحريف ! ولا تحريف في القرآن
ولن . . ايا كان وايا بادلة الحفظ عقلياً وكتابياً وفي السنة القطعية ، فهل
يخاف الله المحرفين لكي يحتال حتى لا يُغتال !؟

ان ضميري التذكير يحافظان على كيان آية التطهير ، كما و « إنما » و «
اهل البيت » أماذا من عساكر البراهين من نفس الآية ومن السنة المتواترة
تدلنا على تحول الخطاب عنهن الى رجال اهل البيت ، اذاً فالبيت غير البيت
واهله غير اهله !

ليست آية التطهير لتعني نساء النبي لا في ادب اللفظ لمكان « كم » . .
كم ، ولا في جذب المعنى لمكان « إنما » اماذا ؟ من قرائن قطعية تحافظ على
مكانة مخاطبيها ، رغم مكانها بين مخاطبات ! .

فكما « يوسف اعرض عن هذا » لا تحول « واستغفرى لذنبك انك
كنت من المخاطبين » الى مخاطبيها ، حيث اختلاف الضمائر يحافظ على ما
يعنيه المضمرة والضمائر ذكراناً واناثاً ! كذلك « كم » هنا لا تتحول الى غير
مخاطبيها ! وقرينة السياق - على نقد في اصلها - ليست لتسوق مقارنها الى
غير الصريح من معناها !

اترى نساء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كن هنا رجالاً لكي

يخطبون بخطابهم « كُمْ » كما يعرفه من لا يعرف ادب اللفظ والمعنى ؟ (١)
 ام نسي الله او تناسى وسهى فخطبهن بعد خطابات النساء خطاب
 الرجال ؟ ام عفى بهم رجال اهل البيت وفي ضمنهم النساء تغليباً لقييل
 الرجال كما في سائر الاحوال ؟ وشمول ضمير الرجال للنساء بحاجة الى
 دليل قاطع ! والقرائن القطعية في الآية تُنحِيهن وكل من هو دون العصمة
 القمة عنها ! والسنة القطعية لا تضم إليها إلا الصديقة الكبرى سلام الله
 عليها ! ولئن سألنا نساء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) هل انتن ام
 واحدة منكن داخله في هذه الطهارة القمة الخارج عنها من خرج نبياً
 وسواه ؟ لا نسمع الجواب إلا كلا ، ولا سيما وان القرآن ناطق بالاختفاء
 الجارفة في بعضهن « وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه وجبريل وصالح
 المؤمنين » !

هنا « إنما » في ارادة الطهارة وإذهاب الرجس عن اهل البيت (عليهم
 السلام) تحصرها في اهل البيت وتحصرها عن سواهم ، ايأ كانوا ايان
 من اهل البيوتات الرسالية وملا العالمين من الملائكة والجنة والناس
 اجمعين !

فلا يدخل في ذلك البيت القمة في العصمة العليا نوح وابراهيم
 وموسى وعيسى (عليهم السلام) ولا جبريل وميكال والروح (عليهم السلام)
 آمن ذا ؟ فضلاً عن نساء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ام ورجال
 فوقهن في درجات الايمان كمقداد وابي ذر وسلمان !

اهل البيت في اطلاقها تشمل كل اهل من كل بيت ، بيت السكن

(١) كمكرمة في قوله « من شاء باهله » انها نزلت في ازواج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كما يشير في قوله الاخرى الى وحدته في وحدته « ليس بالذي تذهبون اليه
 انما هو نساء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) (الدر المنثور : ١٩٨) .

للبدن حيث الانسان يستريح فيه بيدنه من الأعباء ، فاهله هم الأهلون
لتهيئة الراحة البدنية من ازواج وخدم واضرابهم .

ام بيت يبيت فيه الروح ، جُور ورحاني يتغيه الروح لراحة الإستضاءة
من أضواء المعرفة واهله الأهلون لتلك الإستضاءة .

هذا جور ورحاني وبيت يخلق على أهله ، وذاك جور جسدي وبيت يخلق
على أهله ، واين بيت من بيت وأهل من أهل ؟

وهما قد يجتمعان كبيت علي وفاطمة لهما وللرسول الأقدس (صلى الله
عليه وآله وسلم) وقد يفرقان كحجرات الرسول بنسائه ، وكمن يعيشون
عيشة الحيوان ليس لهم جور ورحاني يعيشهم عيشة الانسان !

ولم كان « إنما » هنا ليس من أهل البيت نسائه (صلى الله عليه وآله وسلم)
اذ لا يشملهن لانهن أهل بيت سكن من حجر ومدرو وهو بيت محمد
كبشر ، والمسند اليه هنا هو محمد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) !

تري بعد انهم أهل بيت الرسول (عليه السلام) ؟ وهو لا يشمل
الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وهواسه وأساسه ! و « إنما » الحاصرة
تجعله المصداق الاجلي في هذه الأهلية المباركة ، وما سائر أهل البيت الا
كمصاديق ثانوية ! مهما تواترت الرواية انهم « علي وفاطمة والحسنان » في
التنزيل وكما يروى عنه (صلى الله عليه وآله وسلم) هؤلاء أهل بيتي وهم
أحق بخلافتي ^(١) .

(١) غاية المرام في كفاية الخصام ص ٣٧٦ عن مسند احمد بن حنبل عبد الرحمن بن
احمد بن حنبل عن ابيه احمد عن شداد بن عمارة ذهبت الى وائلة بن الاسقع وعنده
جماعة يسبون علياً فشاركهم فقال وائلة اتريد ان اخبرك بما سمعت عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ؟ قلت : بل قال : ... ساق حديثه في آية التعليل ثم قال
(صلى الله عليه وآله وسلم) : وهم أحق بخلافتي أقول والاربعة في التنزيل من باب =

او انهم اهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ، اعلى جوروحاني يشملهم واياهم ، وبيت رسالي يعمهم ، لا الرسولي الذي يخص اهل الرسول المعصومين ؟ وهذا يناسب حصر الطهارة ، واطلاق البيت ^(١) وتواتر الاحاديث الاخرى عن الرسول واهل البيت وكما يروى عنه (صلى الله عليه وآله وسلم) « نحن اهل بيت طهرهم الله من شجرة النبوة وموضع الرسالة ومختلف الملائكة وبيت الرحمة ومعدن العلم » ^(٢) (عليهم السلام) .

= التفسير بالمصداق الثاني المختلف فيه قائله بالمتفق عليه وقد اخرج عنه (صلى الله عليه وآله وسلم) نزولها في الخمسة محمد بن جرير الطبري في التفسير عن خمسة عشر طريقاً عن ام سلمة والسيوطي في التفسير عن عشرين طريق والثعلبي في التفسير عن تسعة طرق عن ام سلمة وفي طرق عدة عن عائشة ، وقد نقله جماعة من الحفاظ والمحدثين مثل ابونصر الحميدي وموفق بن احمد وابورزين في جامع الصحاح والامام احمد والطبراني عن ام سلمة ، والطبري والثعلبي في تفسيريهما وعبد الله الشافعي في مناقبه والطبراني في المعجم الكبير وابن ابي بكر في مجمع الزوائد والزرندى في نظم درر السمطين والمهيبي في الصواعق وابن جنسويه في درر بحر المناقب والجري في المناقب والبدخشي في مفتاح النجا والقساري في اربعين حديثاً والنبهاني في الانوار المحمدية والواحدي في اسباب النزول والقندوزي في يتاييع المودة والامر تسرى في ارجح المطالب والقسطلاني في المواهب اللدنية والحمراوي في مشارق الانوار والنبهاني في الشرف المؤيد والذهبي في تاريخ الاسلام - كلهم عن ابي سعيد الخدري عنه (صلى الله عليه وآله وسلم) .

(١) حيث التقييد باهل بيت الرسول روحياً كما هو بدنياً لا يناسب اطلاق اهل البيت ، وبيت الرسالة المحمدية هنا قضية الاطلاق وسائر البراهين القاطعة .

(٢) الدر المنثور ٥ : ١٩١ عن ضحاح بن مزاحم ان نبي الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يقول : ... اقول « كان يقول » دليل استمراره في قوله هذا وقد اخرج عنه (صلى الله عليه وآله وسلم) نزولها في الخمسة محمد بن جرير الطبري في خمسة عشر رواية عن شهر بن حوشب عن ام سلمة والسيوطي في التفسير في عشرين رواية والثعلبي عن ابي سعيد الخدري عنها وعن ابي هريرة وعبد الله بن وهب بن زمعة وعمر بن ابي سلمة عنها ومسلم بن الحجاج والبخاري وسائر الصحاح عنها والثعلبي في =

ولقد اجمع اصحاب الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) والتابعون ،
واتباعهم ، وائمة الحديث ، والمفسرون في تواتر صارم لا قبل له ولا مثيل
بين متواتر الحديث ، اجمعوا على نزول آية التطهير في أهل بيت النبوة ، وقد
يربو روات حديث التطهير ألفاً مما يجعله كآيته في التواتر الصارم !

ومن المروي عنهم فاطمة الزهراء (عليها السلام) ^(١) بنت الرسول

= تفسيره بتسعة طرق وابو نصر الحميدي وموفق ابن احمد صدر الائمة وابورزين في
جامع الصحاح كل عن ام سلمة عنه (صلى الله عليه وآله وسلم) والامام احمد
والطبراني عنها وكذلك عن عائشة بعدة طرق ، وعشرات وعشرات اخرى من الحفاظ
ورجالات الحديث لحد يجعل نزولها في الخمسة اقوى من نزولها في الاربعة !

(١) وقد روي عنها حديث الكساء المشهور ، أخرجه عن جابر بن عبد الله الانصاري
جماعة كالشيخ البحراني صاحب العوالم يقول رأيت بخط الشيخ الجليل السيد هاشم
البحراني عن السيد ماجد البحراني عن الشيخ حسن بن زين الدين الشهيد عن المقدس
الاردبيلي عن علي بن عبد العالي الكركي عن الشيخ علي بن هلال الجزائري عن الشيخ
احمد بن فهد الحلي عن الشيخ علي بن الخازن الحائري عن الشيخ ضياء الدين علي بن
الشهيد الاول عن ابيه عن فخر المحققين عن العلامة الحلي عن المحقق الحلي عن ابن
نما الحلي عن محمد بن ادريس الحلي عن ابي حمزة الطوسي عن محمد بن شهر آشوب عن
الطبرسي صاحب الاحتجاج عن الشيخ حسن بن محمد الطوسي عن ابيه شيخ الطائفة
الطوسي عن الشيخ المفيد عن ابن قولويه القمي عن الكليني عن علي بن ابراهيم
القمي عن ابراهيم بن هاشم عن احمد بن محمد بن ابي نصر البزنطي عن قاسم بن
يحيى الجلاء الكوفي عن ابي بصير عن ابان بن تغلب عن جابر بن يزيد الجعفي عن
جابر بن عبد الله الانصاري انه قال : سمعت فاطمة الزهراء (عليه السلام) انها
قالت : دخل علي ابي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في بعض الايام فقال :
السلام عليك يا فاطمة ! فقلت : وعليك السلام يا ابتاه فقال : اني لاجد في بدني
ضعفاً فقلت له : اعيزك بالله يا ابتاه من الضعف فقال : يا فاطمة ايتيني بالكساء
اليمني وغطيني به وصرت انظر اليه فاذا يتلألا كأنه البدر في ليلة تمامه وكماله فما كانت
الا ساعة واذا بولدي الحسن (عليه السلام) قد اقبل فقال السلام عليك يا اماء فقلت
وعليك السلام يا قرّة عيني وثمرّة فؤادي فقال لي : يا اماء ! اني اشم عندك رائحة طيبة =

= كانها رائحة جدي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقلت نعم يا ولدي ان جديك تحت الكساء فاقبل الحسن (عليه السلام) نحو الكساء وقال : السلام عليك يا جداه يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ! اتأذن لي ان ادخل معك ؟ فقال : وعليك السلام يا ولدي وصاحب حوضي قد اذنت لك فدخل معه تحت الكساء فيما كانت الا ساعة فاذا بولدي الحسين (عليه السلام) قد اقبل وقال : السلام عليك يا اماء ! فقلت وعليك السلام يا قرة عيني وثمره فؤادي فقال لي : يا اماء ! اني اشم عندك رائحة طيبة كانها رائحة جدي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقلت : نعم يا بني ان جديك واخاك تحت الكساء فدخل الحسين (عليه السلام) نحو الكساء وقال : السلام عليك يا جداه السلام عليك يا من اختاره الله اتأذن لي ان اكون معكما تحت هذا الكساء ؟ فقال : وعليك السلام يا ولدي ويا شافع امي قد اذنت لك فدخل معهما تحت الكساء فاقبل عند ذلك ابو الحسن علي بن ابي طالب (عليه السلام) وقال : السلام عليك يا فاطمة يا بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقلت وعليك السلام يا ابا الحسن ويا امير المؤمنين (عليه السلام) فقال : يا فاطمة اني اشم عندك رائحة طيبة كانها رائحة اخي وابن عمي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقلت نعم ها هو مع ولدتيك تحت الكساء فاقبل علي نحو الكساء وقال : السلام عليك يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) اتأذن لي ان اكون معكم تحت الكساء قال له وعليك السلام يا اخي وخليفتي وصاحب لوائي في المحشر نعم قد اذنت لك فدخل علي تحت الكساء ثم اتيت نحو الكساء وقلت السلام عليك يا ابتاه يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) اتأذن لي ان اكون معكم تحت الكساء قال لي وعليك السلام يا بني ويا بضعتي قد اذنت لك فدخلت معهم فلما اكتملنا واجتمعنا جميعاً تحت الكساء فاخذ ابي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بطرفي الكساء وأومى بيده اليمنى الى السماء وقال : اللهم ان هؤلاء اهل بيتي وخاصتي وهامتي لحمهم لحمي ودمهم دمي يؤلمني ما يؤلمهم ويحزنني ما يحزنهم انا حارب لمن حاربهم وسلم لمن سالمهم وعدولن عاداتهم ومحب لمن احبهم وانهم مني وانا منهم فاجعل صلواتك وبركاتك ورحمتك وغفرانك ورضوانك علي وعليهم واذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً فقال عز وجل : يا ملائكتي ويا سكان سماواتي اني ما خلقت سماء مبنية ولا ارضاً مدحية ولا قمراً منيراً ولا شمساً مضيئة ولا فلکاً يدور ولا فلکاً تسري ولا بحراً يجري الى لمحبة هؤلاء الخمسة الذين هم تحت الكساء فقال الامين جبرئيل يا رب ومن تحت الكساء ؟ فقال الله عز =

= وجعل : هم اهل بيت النبوة ومعدن الرسالة وهم فاطمة وابوها ويعلمها وينوها فهاك
 جبرئيل يا رب تأذن لي ان اهبط الى الارض لآكون معهم سادماً فقال الله عز وجل :
 قد اذنت لك فهبط الامين جبرئيل وقال لابي : السلام عليك يا رسول الله (صلى الله
 عليه وآله وسلم) العلي الاعلى يقرئك السلام ويخصك بالتحية والاكرام ويقول لك :
 وعزتي وجلالي اني ما خلقت سماء مبنية ولا ارضاً مدحية ولا قمراً منيراً ولا شمساً مضيئة
 ولا فلکاً يدور ولا بحراً يجري ولا فلکاً تسرى إلا لأجلکم ومحبتکم وقد اذن لي ان
 ادخل معکم فهل تأذن لي انت يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال ابي
 وعليک السلام يا امين وحي الله نعم قد اذنت لك فدخل جبرئيل معنا تحت الكساء
 فقال جبرئيل لابي ان الله قد اوحى اليکم يقول : انما يريد الله ليذهب عنکم الرجس
 اهل البيت ويطهرکم تطهيراً فقال علي (عليه السلام) يا رسول الله (صلى الله عليه
 وآله وسلم) اخبرني ما جلوسنا هذا تحت هذا الكساء من الفضل عند الله فقال (صلى
 الله عليه وآله وسلم) : والذي بعثني بالحق نبياً واصطفاني بالرسالة نجياً ما ذكر خبرنا
 هذا في محفل من محافل اهل الارض وفيه جمع من شيعتنا ومحبينا الا ونزلت عليهم
 الرحمة وحفت بهم الملائكة واستغفرت لهم الى ان يتفرقوا فقال علي (عليه السلام) :
 اذا والله فزنا وفاز شيعتنا ورب الكعبة فقال ابي يا علي ! والذي بعثني بالحق نبياً
 واصطفاني بالرسالة نجياً ما ذكر خبرنا هذا في محفل من محافل اهل الارض وفيه جمع من
 شيعتنا ومحبينا وفيهم مهموم الا وفرج الله همه ولا مغموم الا وكشف الله غمه ولا طالب
 حاجة الا وقضى الله حاجته فقال علي (عليه السلام) : اذا والله فزنا وسعدنا وكذلك
 شيعتنا فازوا وسعدوا في الدنيا والآخرة برب الكعبة .

اقول : ورواه مثله الا في بعض المكررات الشيخ فخر الدين الطريحي في كتابه المنتخب
 الكبير والديلمي في الفرر والدرر والحسين العلوي والدمشقي الحنفي والشيخ محمد جواد
 الرازي الكني في نور الافاق ص ٤ وقد نظمه جماعة من نوابغ الادب من اصحابنا
 واخواننا منهم ابو المعز السيد محمد بن السيد مهدي القزويني والسيد هاشم بن المحسن
 اللعبي الموسوي والسيد محسن الامين الحسين العاملي الهمداني صاحب اعيان الشيعة
 والشيخ احمد الشافعي على ما في المشارق للعدوي والشيخ يوسف النبهاني البيروني
 والسيد محمد بن عبد المحسن المكي الخلوئي الهمداني في ديوانه وتؤيد حديث الكساء
 الروايات التي تقول جاء رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الى فاطمة كما اخرجته =

(صلى الله عليه وآله وسلم) وعائشة وام سلمة وزينب من ازواجه ، وكافة
أئمة اهل البيت (عليهم السلام) .

= ابن ابي شيبة وابن جرير وابن المنذر والطبراني وابن ابي حاتم والحاكم وصححه والبيهقي
في سننه عن واثلة بن الاسقع قال : جاء رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الى
فاطمة ومعه علي وحسن وحسين حتى دخل . . . واخرج سبط ابن الجوزي عن واثلة
قال : اتيت فاطمة (عليها السلام) اسألهما عن علي فقالت : توجه الى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)
فجلست انتظره فاذا برسول الله قد اقبل ومعه علي والحسن
والحسين قد اخذ بيد كل واحد منهم وقليل هذه الروايات التي تقول ان القصة كانت في
بيت غير فاطمة ، فانها بين مطلقة وما تدل انها كانت في بيتها . ولفتة خرج (صلى الله عليه وآله وسلم)
الله عليه وآله وسلم) في رواية عائشة في الاكثر دليل ان القصة ما كانت في بيت عائشة
كما رواه عنها ابن مسعود الشافعي مصابيح السنة والزغشري في الكشف وابن جرير في
تفسيره وابن حجر في الكافي الشاف في تخريج احاديث الكشف والدشتكي الشيرازي في
روضة الاحباب ومسلم في صحيحه واخرج ابن ابي شيبة واحمد وابن جرير وابن المنذر
وابن ابي حاتم والطبراني والحاكم وصححه والبيهقي في سننه عن واثلة بن الاسقع
قال : جاء رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الى فاطمة ومعه علي وحسن وحسين
حتى دخل . . . والنيسابوري في المستدرک ٢ : ٤١٦ عن واثلة قال : جئت اريد
علي . . . والقندوزي في بنابيع المودة ٢٢٩ عن واثلة قال : دخل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)
والله وسلم) على بيت فاطمة . . . اقول والرواية عن واثلة في كلمة واحدة ان رسول
الله (صلى الله عليه وآله وسلم) جاء الى بيتها ا

(١) ومن اصح ما اسند الى عائشة ما يروى عن مجمع انه دخل مع امه عليها بعد
مقتل الامام علي (عليه السلام) فسألته عن علي (عليه السلام) فقالت : سألتني
عن احب الناس الى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لقد رأيت علياً وفاطمة
وحسناً وحسيناً وجمع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بشوب عليهم ثم قال :
اللهم هؤلاء اهل بيتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً قلت : وانا من اهل بيتك؟
قال (صلى الله عليه وآله وسلم) : تنحي انت على مكانك انما اراد الله بهذه الآية انا
وعلياً وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام) رواه الثعلبي في تفسيره باسناد
متصل الى مجمع الحارثي والبخاري ومسلم من مسند عائشة وابن ابي شيبة واحمد =

«واحمد وابن جرير وابن أبي حاتم والحاكم عنها ، ويتفاوت يسير عن الجمع بين الصحاح الستة عن موطأ مالك بن أنس وصحيح مسلم والبخاري وسنن أبي داود عن جمع الشيخ أبو الحسن رزين بن معاوية العبد يري عن صحيح أبي داود عنها الا في « انا » ومقدمة القصة واخرجه مثله أبو زكريا ابن أبي اسحاق بسند له عن جميع اليتمي وأبو عبد الله الدينوري عن مجمع وعبد الله بن فراش الشيباني عن العوام كما في امالي ابن بابويه (ملحقات الاحقاق ١٤ : ٧٤ - ٧٥) . وفي ٩ : ١٠ البيهقي في المحاسن والمساوي ٢٩٧ قال قيل ومثلت عائشة عن امير المؤمنين (عليه السلام) فقالت وما عسيت انا قول فيه وهو احب الناس الى رسول الله فسأقت حديث التظهير الى وقيل لها كيف سرت اليه ؟ قالت : انا نادمة وكان ذلك قدراً مقدوراً ومن اخرج ما في معناه عن عائشة العلامة باكثير الحضرمي في وسيلة المال من ٧٣ نسخة الظاهرية بدمشق والعلامة الشيخ عبد العزيز بن يحيى في الدر المنثور في تفسير الاسماء الحسنى بالمأثور (ص ١٢٦ ص ط الميمنية بمصر) والعلامة محمد رضا المصري والعلامة علي بن سلطان محمد القاري والعلامة والبخاري ومسلم من مسند عائشة وابن أبي شيبة واحمد وابن أبي حاتم والحاكم والجمع بين الصحاح الستة عن موطأ مالك وصحيح مسلم والبخاري وسنن أبي داود عن جمع الشيخ أبو الحسن رزين معاوية عن صحيح أبي داود والعلامة جمال الدين الزرنندي الحنفي في (نظم درر السميطن ١٢٣) والعلامة الشيخ ابراهيم الحموي في فرائد السمطين للمخطوط والعلامة السيد علوي بن طاهر الحداد الحضرمي في القول الفصل ج ٢ ص ٢١٥ ط جاوا والمحافظة البيهقي في السنن الكبرى ج ٢ ص ١٤٩ والطبري في جامع البيان ٢٢ : ٦ وابو عبد الله محمد بن أبي نصر الحميدي في الجمع بين الصحيحين المخطوط والعلامة البغوي في تفسيره معالم التنزيل ٥ : ٢١٣ والعلامة محب الدين الطبري في ذخائر العقبى ص ٢٤ والعلامة ابن كثير الدمشقي في البداية والنهاية ٨ : ٣٤ والشيخ عبد القادر بن احمد بدران الدمشقي في معجم تاريخ ابن عساكر والعلامة الشيخ علاء الدين البغدادي الشهير بالخازن في تفسيره (٥ : ٢١٣) والعلامة ابو العباس احمد بن عبد الحليم بن يثيمة الحنبلي في منهاج السنة ٣ : ٤ و ٤ : ٢٠ والعلامة الشيخ خضر بن عبد الرحمن في التبيان ص ١٢٥ مخطوط والعلامة الشيخ سعيد بن محمد بن مسعود الشافعي في المتقى في سيرة المصطفى ص ١٨٨ المخطوط والخطيب التبريزي العمري في مشكوة المصابيح ص ٥٦٨ ط الدهلي والعلامة الذهبي في المتقى من منهاج الاعتدال ص ١٠٠ /

= ١٦٨ و ٣٠٤ والعلامة القاضي المير حسين الميبدى اليزدي في شرح ديوان امير المؤمنين ص ١٨٥
مخطوط والعلامة احمد بن حجر الهيتمي في الصواعق المحرقة ص ٢٢٧ والعلامة الشيخ عبد النبي بن
احمد القدوس الحنفي في سنن الهدى ٥٦٣ مخطوط والعلامة علي بن عبد العال الكركي في نفحات
اللاهوت ص ٥٣ والعلامة عبد الغني بن اسماعيل النابلسي
في ذخائر المواريث ج ٤ ص ٢٧٧ والعلامة الشيخ عبدالله الشافعي
في المناقب ١٥ مخطوط والعلامة البدخشي في مفتاح النجا ١٤ مخطوط والعلامة الشيخ
سليمان البلخي الحنفي في ينابيع المودة ١٠٧ والعلامة السيد محمد صديق حسنخان
ملك بهوبال في فتح البيان ٧ : ٢٧٧ والعلامة الشيخ عبد الله الشيباني في تيسير الوصول
١٦٠ والعلامة الشيخ يوسف النبهاني في الشرف المؤبد والعلامة الحضرمي في القول
الفصل ٢ : ٢١٠ والعلامة السيد ابو بكر العلوي الحضرمي الشافعي في رشفة الصادي
١٥ والعلامة السيد محمد بن يوسف التونسي في السيف اليماني والعلامة الشيخ عبيد الله
الحنفي الامر تسرى في ارجح المطالب ٥٢ والعلامة السيد احمد بن سودة الحسني
الادريسي في رفع اللبس والشبهات ٦٥ والعلامة الشيخ منصور بن علي ناصف المصري
في التاج الجامع للأصول ٣ : ٣٠٨ والعلامة الملا علي بن سلطان الهروي الحنفي في
جمع الوسائل في شرح الشرائع ١ : ١٤٧

(٣) ومما روي عن ام سلمة ما أخرجه محمد بن جرير الطبري عن حكيم بن سعد قال
ذكرنا علي بن ابي طالب كرم الله وجهه عندهم سلمة فقالت : في بيتي نزلت « انما يريد
الله . . . » جاء رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الى بيتي فقال : لا تاذني لاحد
فجاءت فاطمة فلم استطع ان احجبها عن ابيها ثم جاء الحسن فلم استطع ان احجبه عن
ابيها ثم جاء تاحسن فلم استطع ان احجبه عن جده ثم جاء الحسين فلم استطع ان
احجبه عن جده ثم جاء علي فلم استطع ان احجبه فاجتمعوا فجللهم رسول الله (صلى
الله عليه وآله وسلم) بكساء، كان عليه ثم قال : اللهم هولاء اهل بيتي فاذهب عنهم
الرجس وطهرهم تطهيراً فنزلت هذه الآية اجتمعوا على البساط فقلت يا رسول الله وانا
فوالله ما انعم وقال : انك الى خير واخرج ابن المغازلي وكثير مثله عنها انها قالت نزلت
هذه الآية في رسول الله وعلي وفاطمة والحسن والحسين (عليه السلام) ومن اخرج
حديث التطهير عنها الحافظ ابو بشر الدولابي في كتاب الكافي ٢ : ٤٢١ والحافظ الحسين
بن الحكم الجعفي في تنزيل الآيات ٢٠ نسخة فوتوغرافية جامعة طهران والعلامة
الحضرمي في وسيلة المآل ٧٣ نسخة الظاهرية بدمشق والعلامة ابن المغازلي الشافعي في =

= المناقب ١١٠ نسخة مكتبة صنعاء ومن العلامة الشيخ محمد رضى المصري المالكي في الحسن والحسين ٧ والحافظ ابو عيسى الترمذي في صحيحه ١٣ : ٢٤١ واحمد بن حنبل في مسنده ٦ : ٢٩٨ والطبري في تفسيره ٢٣ : ٧ .

والبخاري في التاريخ الكبير ١ : ٧٠ واحمد بن علي بن ثابت الشافعي في تاريخ بغداد ٩ : ١٢٦ وعبد الله بن محمد بن حبان الاصبهاني في اخلاق النبي ١١٦ ابو اسحاق الثعلبي في الكشف والبيان المخطوط والعلامة النبهاني في الانوار المحمدية ٤٣٤ والواحدي النيسابوري في اسباب النزول ٢٦٧ وابو نعيم في اخبار اصبهان ١ : ١٠٨ والبغوي في معالم التنزيل ٢١٣ وعلي بن ثابت الشافعي في موضح اوهام الجمع والتفريق ٣ : ٢٨١ وابن الاثير في اسد الغابة ٤ : ٢٩ ومحب الدين الطبري في الرياض النضرة ٢ : ١٨٨ والذهبي في تاريخ الاسلام ٦ وعلي بن الحسين بن عساكر في تاريخ دمشق والنابلسي في ذخائر المواريث ٤ : ٢٩٣ والزرندي في نظم قدر السمطين ٢٣٨ والبيهقي في السنن الكبرى ٢ : ١٥٠ والقاضي يوسف بن موسى في المختصر من المختصر ٢ : ٢٦٦ وجلال الدين السيوطي في مفحمة الاقران في مبهمات القرآن ٣٢ والشيخ ابو الحسن الكازروني في شرف النبي علي ما في مناقب الكاشي المخطوط ٢٢٤ والقسطلاني في المواهب اللدنية ٧ : ٤ والعسقلاني في الاصابة ٤ : ٣٣٦ والذهبي في سير اعلام النبلاء ٣ : ١٩٠ وابن حمزة الحسني في البيان والتعريف ١٤٩ والشيخ حسن الحمزاوي في مشارق الانوار ١١٣ والقرماني في اخبار الدول ١٢٠ وعلي بن عبد العال الكركي في نفحات اللاهوت ٥٣ والازدي في التبيان ١٢٥ والسيد احمد زيني دحلان في السيرة النبوية ٣ : ٣٢٩ والملا علي القاري في الاربعين حديثاً ٦١ وابن الديبع في تيسير الوصول ١٦٠ وابن حمزة الحسني في البيان والتعريف ١ : ١٥٠ والبغدادي في مفتاح النجا ١٤ والحضرمي في رشفة الصادي ١٤ والكاشفي في المواهب العلية والذهبي في المنتقى من منهاج الاعتدال ١٦٨ وابن محمد كرام القناني المالكي في الجواهر الحسان ٢٩٤ والقندوزي في ينابيع المودة ٢٠٦ والشيخ عبد الهادي الالبيري المصري في جالية الكندر ١٩٦ والحضرمي في القول الفصل ٢ : ١٦٥ والشيخ عبيد الله الحنفي الامر تسري في ارجع المطالب ٥٢ وابن الالوسي في جلاء العينين ٣٩ والشيخ حسن النجار في الاشراف ١٠ وابن كثير الدمشقي في البداية والنهاية ٧ : ٣٣٨ .

(٤) وما روي عن زينب بسند عن عبد الله بن جعفر الطيار عن ابيه قال : لما نظر =

وعلي أمير المؤمنين عليه السلام ^(١) وابن عباس ^(٢) وأبي سعيد

= النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الى جبرئيل هابطاً من السماء قال : من يدعولي ؟ فقالت زينب : انا يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ! فقال : ادعي لي علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً فجعل حسناً عن يمينه وحسيناً عن يساره وعلياً وفاطمة تجاههم ثم غشاهم بكساء ، خيري وقال (صلى الله عليه وآله وسلم) اللهم ان لكل نبي أهلاً وان هولاء اهل فانزل الله الآية فقالت زينب : الا ادخل معكم ؟ قال (صلى الله عليه وآله وسلم) مكانك فإنك على خير انشاء الله اقول : اخرجها عنها جماعة مما يجلب النظر تسابق نساء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في اختصاص هذه الفضيلة ببيتها حتى عاثشة المعادية لعلي (عليه السلام) مما يدل على مدى القاطعية الصارمة في واقع هذه القضية !

(١) يروى عند حديثان أحدهما « كان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يأتي كل يوم باب فاطمة عند صلاة الفجر فيقول : الصلاة يا اهل بيت النبوة انما يريد الله . . . تسعة اشهر بعدما نزلت » وامر اهلك بالصلاة واصطبر عليها . . . رواه عنه ثلاثمائة من الصحابة ومن اخرج عنه العلامة القندوري في ينابيع المودة ١٧٤ والعلامة السيد احمد بن عبد الحميد العباس في عمدة الاخبار ٧٨ والعلامة السهمودي في خلاصة الوفاء ٢١٣ والكاشفي في المواهب العلية والمراغي في تحقيق النضرة ٧٥ والسهمودي في وفاء الوفاء تاريخ المدينة المنورة ١ : ٣٣١ وثانيها مختلف احتجاجاته (عليه السلام) يوم الشورى على ابي بكر ومنها : فانشدك بالله ألي ولاهلي ولدي آية التطهير من الرجس ام لك ولاهل بيتك ؟ قال : بل ولك ولاهل بيتك (عن الخصال) ومنها احتجاجه على الناس يوم الشورى ح ٩٠ واحتجاجه ايام خلافة عثمان في جمع من المهاجرين والانصار : ايها الناس اتعلمون ان الله عز وجل انزل في كتابه « انما يريد الله . . . » فجمعني وفاطمة وابني حسناً وحسيناً والقي علينا كسائه وقال : اللهم هولاء اهل بيتي ولحمي يولني ما يولهم ويخرجني ما يخرجهم فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً فقالت ام سلمة وانا يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ! فقال : انت - او - انك على خير انما انزلت في وفي اخي وابنتي وابني وفي تسعة من ولد ابني الحسين خاصة ليس معنا فيها احد فقالوا كلهم : . . . نشهد ان ام سلمة حدثنا بذلك فسالنا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فحدثنا كما حدثتنا ام سلمة (كمال الدين وتمام النعمة =

= باسناده الى سليم بن قيس الهلالي عنه (عليه السلام) وفي العلل باسناده الى ابن ابي عمير عن ذكره عن ابي عبد الله (عليه السلام) قال : لما منع ابو بكر فاطمة فدكاً واخرج وكيلها جاء امير المؤمنين (عليه السلام) الى المسجد وابو بكر جالس وحوله المهاجرون والانصار فقال يا ابا بكر لم منعت فاطمة ما جعله رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لها ووكيلها فيه منذ سنين - الى قوله - فقال (عليه السلام) لا يكر تقرأ القرآن ؟ قال : بلى قال : فاخبرني عن قول الله عز وجل « انما يريد الله ... » فينا او في غيرنا نزلت ؟ قال : فيكم قال : فاخبرني لو ان شهوداً شهدوا على فاطمة بفاحشة ما كنت صانعاً ؟ قال : كنت اقيم عليها الحد كما اقيم على نساء المؤمنين ، قال (عليه السلام) : كنت اذاً عند الله من الكافرين ! قال : ولم ؟ قال : لانك كنت ترد شهادة الله وتقبل شهادة غيره لان الله عز وجل قد شهد لها بالطهارة فاذا رددت شهادة الله وقبلت شهادة غيره كنت من الكافرين قال : فبكى الناس وتفرقوا ودمدموا « (نور الثقلين ٤ : ٢٧١ ح ٩٣) .

(٢) وقد روى عنه حديث التطهير جماعة من اعلام القوم ومنهم المحافظ الحسين بن الحكم الجعري في تنزيل الآيات ٢٤ ان الآية نزلت الى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وعلي فاطمة والحسن والحسين ، وفي ملحقات الاحقاق ١٤ : ٦٨ بسند عن ابن عباس قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ان الله تبارك وتعالى قسم الخلق قسمين فجعلني في خيرهم قسماً فذلك قوله « واصحاب اليمين ما اصحاب اليمين » فانا من اصحاب اليمين وانا خير اصحاب اليمين ثم جعل القسمين اثلاثاً فجعلني في خيرها ثلثاً فذلك قوله « فاصحاب الميمنة ما اصحاب الميمنة واصحاب المشأمة ما اصحاب المشأمة والسابقون السابقون اولئك المقربون » فانا من السابقين وانا خير السابقين ثم جعل الاثلاث قبائل فجعلني في خيرها قبيلة فذلك قوله « وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا » فانا اتقى ولد آدم واکرمهم على الله ولا فخر ثم جعل القبائل بيوتاً فجعلني في خيرها بيتاً فذلك قوله « انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويظهركم تطهيراً » واخرجه ابو عبد الرحمن السلمي بسند عن عطية وابو حفص عمر بن احمد العابد عن ابي سعيد . والعلامة اسماعيل بن عبد الله النقشبلي في مناقب العشرة ١٩٤ والعلامة الامر تسري في ارجح المطالب ٥٤ والسيوطي في الدر المنثور وابن مردويه

الخديري^(١) وانس^(٢) وعطاء^(٣) وابي الحمراء^(٤) ووائل بن الاسقع^(٥)

(١) ومن روى عنه القاري في مرقاة المفاتيح ١١ : ٣٧١ والجري في تنزيل الآيات ٢٣ مخطوط والحضرمي في وسيلة المآل ٧٦ والشيخ محمد رضا المصري المالكي في (الحسن والحسين سبطا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)) وابن المغازلي الشافعي في المناقب مخطوط ومحمد بن جرير الطبري وما رواه عنه قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) نزلت هذه الآية في خمسة في وفي علي وحسن وحسين وفاطمة ، انما يريد الله ... كما اخرجاه ابو اسحاق الثعلبي في الكشف والبيان مخطوط وعبد الله الشافعي في مناقبه ١٢ مخطوط والطبراني في المعجم الكبير ١٣٤ ونور الدين علي بن ابي بكر في مجمع الزوائد ٩ : ١٦٧ والزرندي في نظم در السمطين ٢٣٨ وابن حجر لهيتمي في الصواعق ٢٢٧ وابن عساكر في تاريخه ٤ : ٢٠٤ وابن حنويه الحنفي في درر بحر المناقب ٥ مخطوط البديخي في مفتاح النبي ١٣ والواحي في اسباب النزول ٢٦٦ والقندوزي في ينابيع المودة ١٠٨

(٢) ومن اخرجاه عنه الترمذي في جامعه ٤ : ١٤٤ والهندي في كنز العمال ج ١٦ والقاري في مرقاة المفاتيح ١١ : ٣٧١ والمصري المالكي ، واحمد بن حنبل في مسنده ٣ : ٢٥٩ والطبراني في المعجم الكبير ١٣٤ وابن جرير الطبري في التفسير ٢٢ : ٦ وابن اثير في اسد الغابة (٥ : ٥٢١) والذهبي في تاريخ الاسلام ٩ : ٩٧ وابن شاهين في فضائل سيدة النساء والصفوري في المحاسن المجتمعة ١٨٩ والهندي في المنتخب ٥ : ٩٦ وابن كثير في التفسير والسعدي في الرسالة القوامية والسيد محمد صديق في فتح البيان ٧ : ٢٧٧ والتابلي في ذخائر المواريث ١ : ٣٨ والمالكي في مشارق الانوار ١١٣ والنجار في الاشراف ٩ وابن البديع في تيسير الوصول ١٦٠ والبديخي في مفتاح النجا والبلخي في الينابيع ١٩٣ والعظيم آبادي الهندي في تجهيز الجيش مخطوط والنبهاني في الشرق المؤبد ٧٠٦ والامر تسري في ارجح المطالب وممدوي عنه ان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يمر ببيت فاطمة ستة اشهر كلما خرج الى الصلاة فيقول : الصلاة اهل البيت ، انما يريد الله ...

(٣) ومن رواه عنه ابن المغازلي في المناقب والحسكاني في شواهد التنزيل وابن الاثير في اسد الغابة ٣ : ٤١٣ والعسقلاني في الاصابة ٢ : ٤٧٩ .

(٤) ومن اخرج عند ابن الحكم الجري في تنزيل الآيات ٢٤ مخطوط والحضرمي في وسيلة المآل .

وسعد^(١) وجعفر بن ابي طالب (عليه السلام)^(٢) وابي برزة^(٣) وصبيح^(٤)
وابي سلمة^(٥) وجماعة آخرون من الصحابة^(٦) كلهم رواوا انها نزلت في

(٥) ومن اخرجه عنه الحضرمي وابن المغازلي ومحمد القاري وابن موسى في المختصر من المختصر والثلثي في الكشف والبيان مخطوط واليهي في السنن الكبرى ٢ : ١٥٢ والطبري في ذخائر العقبى ٢٤ وابن كثير في التفسير والقسطاني في المواهب ٧ : ٣ وابن بكر في مجمع الزوائد ٩ : ١٦٧ والكركي في نفحات اللاهوت ٥٢ والذهبي في سير اعلام النبلاء ٣ : ٣١٢ والقندوزي في الينايع ٢٢٩ والخمزاوي في مشارق الانوار ١١٣ والساعاتي في بدايع المنن ٢ : ٤٩٥ والهاشمي في ائمة الهدى ١٤٥ ، ومن حديثه باخراج المغازلي ١١١ مخطوط والمناقب عن ابي عمار قال دخلت على وائلة بن الاسقع وعنده قوم يذكرون علياً فقال لي وائلة : الا اخبرك لما رايت عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ؟ قلت : بلى - قال : اتيت فاطمة (عليها السلام) فسألته عن علي (عليه السلام) فقالت : توجه الى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فجلست انتظره في رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وعلي (عليه السلام) معه فدخل معهم البيت فادنى علياً وفاطمة فاجلس واحداً عن يمينه والآخر عن يساره ودعا الحسن والحسين فاجلس كل واحد منهما على فخذه ثم قال : انما يريد الله . . . اللهم هولاء اهل بيتي واهل بيتي احق .

- (١) ومن اخرجه عنه تسعة وسبعون من هولاء الحفاظ والمحدثين والمفسرين وسواهم
- (٢) ومن اخرجه عند الحضرمي في القول الفصل ١٨٥ والثلثي في الكشف والبيان
- (٣) ومن اخرجه عنه علي بن ابي بكر في مجمع الزوائد في حديثه : صليت مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) سبعة عشر شهراً فلذا اخرج من باب بيته الى باب فاطمة فقال : الصلاة عليكم انما يريد الله . . . رواه الطبراني .
- (٤) ومن اخرجه عنه العسقلاني في الاصابة ٢ : ١٦٩ والثلثي في الكشف والبيان مخطوط وابن الاثير في اسد الغابة ٣ : ١١ في ترجمة صبيح بسنده الى ابراهيم بن عبد الرحمن بن صبيح مولا ام سلمة عن جده صبيح قال : كنت بباب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وساق حديث التطهير
- (٥) ومن اخرجه عنه الترمذي في جامعه والحضرمي في وسيلته والسهلاوي في وسيلة النجاة ٢٠٤ .

(٦) ومنهم سعد بن ابي وقاص وسهل بن سعد وابو هريرة وبريدة الاسلمي وابو سعيد

الخمس أو الأربعة ، وفي أكثرها أنه (صلى الله عليه وآله وسلم) جمعهم وإياه تحت الكساء بعد نزولها - وفي بعضها قبل نزولها - ودعا لهم بمادعا .

والرواة عنهم يبلغون المئات في كتب الحديث والتفسير وسائر المصنفات^(١) وقد يربو قاطع التواتر في حديث الطهارة حول آية التطهير كل

= الخدري وعبد الله بن عمر وعمران بن الحصين وسلمة بن الأكوع كلهم بمعنى واحد عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أخرج عنهم ابن عبد البر في الاستيعاب ٢ : ٤٦٠ والخضرمي في القول الفصل ١ : ٤٨ وبهجت أفندي في تاريخ آل محمد ٤٢ والترمذي في صحيحه والذهبي في سير أعلام النبلاء ٣ : ١٩٠ والقندوزي في الإنبايع ١٥ والثعلبي في الكشف والبيان مخطوط والجنابزي الحنفي في معالم تنزيل النبوة مخطوط

- (١) ومن مصنفات أخواننا السنة التي نحوي حديث الكساء والتطهير مائة كتاب كمسند أبي داود بسنده عن أنس ٢ - ومسند ابن حنبل بإسناد عن صحابين وصحبايات ٣ - وصحيح الترمذي ٤ - وخصائص النسائي ٥ - وتفسير الطبري عن خمسة عشر طريقاً إلى أبي سعيد وعائشة وأبي الديلم وأم سلمة وعمر بن أبي سلمة وأنس وأبي الحمراء ووائل ويونس بن أبي إسحاق وأبي عمارة ٦ - ومسند الرازي ٧ - ومعجم الطبراني ٨ - وأحكام القرآن للجصاص ٩ - ومستدرک الحاكم ١٠ - والامالي للهاروني ١١ - وتاريخ جرجان السهمي ١٢ - والسنن الكبرى للبيهقي ١٣ - وتاريخ بغداد ١٤ - والاستيعاب للاندلسي ١٥ - وأسباب النزول للواحدي ١٦ - والفردوسي للديلم ١٧ - ومصابح السنة للبخاري ١٨ - والكشاف للرخشدي ١٩ - وأحكام القرآن للثبيلي ٢٠ - والشقا للقاضي عياض ٢١ - والمناقب لموفق بن أحمد ٢٢ - وتاريخ دمشق لابن عساكر ٢٣ - والتفسير الكبير للرازي ٢٤ - وجامع الأصول لابن الأثير ٢٥ - وكتب متعددة لابن بطريق ٢٦ - واسد الغابة لابن الأثير ٢٧ - والتذكرة لابن الجوزي ٢٨ - وكفاية الطالب للكنجي ٢٩ - ومطالب السؤل لابن طلحة ٣٠ - وأحكام القرآن للقرطبي ٣١ - وشرح المذهب للنووي ٣٢ - وأنوار التنزيل للقاضي البضاوي ٣٣ - وذخائر العقبي لمحب الدين الطبري ٣٤ - والمدارك للنسفي ٣٥ - ومشكاة المصابيح للمخطيب التبريزي ٣٦ - وتفسير ابن كثير القرشي ٣٧ - وجمع الزوائد للهيتمي ٣٨ - والفصول المهمة لابن صباغ ٣٩ - والأصابة لابن حجر العسقلاني ٤٠ - والكافي الشاف له ٤١ - وفتح الباري له ٤٢ - وتلخيص -

تواتر في أي حديث مهما اختلف النقل في نزولها في : أي من بيوت :
فاطمة بنت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ؟ او ام سلمة ؟ او

-
- = المستدرك للذهبي - ٤٣ - والحدائق السوردي لليماني - ٤٤ - وتفسير النيسابوري - ٤٥ -
وروضة الاحباب للدشتكي الشيرازي - ٤٦ - والدر المنثور للسيوطي - ٤٧ - والخصائص
له - ٤٨ - والاتقان له - ٤٩ - والاكلیل له - ٥٠ - والابطال لابن روزبهان - ٥١ - وحيب
السير لخواندмир - ٥٢ - والصواعق المحرقة لابن حجر - ٥٣ - ومناقب مرتضوي للترمذي
الكشفي - ٥٤ - ومتخب كنز العمال لعلي المتقي - ٥٥ - والسراج المنير لسراج الدين
الخطيب - ٥٦ - والمناقب لابن النقيب - ٥٧ - والسعدية للغيثي - ٥٨ - وبخر المناقب
للبلخي - ٥٩ - وشرح الفقه الكبير لعلي القاري - ٦٠ - وشرح الجامع الصغير للمناوي -
٦١ - وارجع المطالب لشمس الدين - ٦٢ - والكافية لشرف الدين - ٦٣ - والسيرة الحلبية
لبرهان الدين الحلبي - ٦٤ - ومدارج النبوة للدهلوي - ٦٥ - والمناقب للزرقاني - ٦٦ -
والالتحاف لحب الأشراف للأشراف للشبراوي - ٦٧ - واسعاف الراغبين لمحمد الصبان -
٦٨ - والروض النضير للحمي يمانى - ٦٩ - وفتح الغدير للشوكاني - ٧٠ - وروح المعاني
لللالوسي - ٧١ - ونور الابصار للشبلنجي - ٧٢ - وتشریف البشر للسيد صديق - ٧٢ -
ومشارك الانوار لحسن العدوى - ٧٤ - وكتاب الشرف المؤيد لآل محمد للنبهاني - ٧٥ -
ورشفة الصادي للحضرمي العلوي - ٧٦ - وائمة الهدى للسيد عبد الغفار الأفغاني -
٧٧ - والسيف المسلول للتونسي الكافي - ٧٨ - والقول الفصل للحضرمي الجاوي ويذكر
ثمانية عشر رجلاً من اعظم ارباب الكتب ونقل صحيح الحديث عن ستة عشر رجلاً من
فطاحل المحدثين وعد خمسة عشر صحابياً ممن ينتهي اليه الحديث - ٧٩ - والوسيط
للواحدي - ٨٠ - والجمع بين الصحيحين للحمدي - ٨١ - ابو نعيم الاصبهاني في كتابه -
٨٢ - الجمع بين الصحاح الستة للعبدري - ٨٣ - وتلخيص المستدرك للذهبي - ٨٨ -
ومصاييح السنة للبخاري - ٨٩ - وتهذيب الاسماء واللغات للنووي - ٩٠ - والرياض
النضرة لمحب الدين الطبري - ٩١ - وتاريخ الإسلام لشمس الدين الذهبي - ٩٢ -
وعقد الفريد للاندلسي - ٩٣ - والمقتل للخوارزمي - ٩٤ - والسيرة المحمدية للمكازروني -
٩٥ - وشكل الآثار للطحاوي - ٩٦ - وشرف النبي - ٩٧ - وحسن الاسوة للصدقي
حسن خان - ٩٨ - وكتاب المرزباني - ٩٩ - والمستدرك للحاكم - ١٠٠ - وكفاية الطالب
للكنجي وكتب اخرى .

عائشة ؟ اوزينب ؟ مما يدل على شرف الموقف لحد تتسابق في انتسابه نساء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) او ان ذلك تكرر في هذه البيوت ! ولان لفظ عائشة « خرج غداة غد . . » فعلها تعني الى بيت فاطمة ، كذلك وأم سلمة ، اللهم إلا في البعض من حديثيهما !

وفي كتاب ادريس النبي (عليه السلام) تأييد أكيد لشرف بيت الرسالة المحمدية كما تعنيه آية التطهير وحديث الكساء والتطهير ، كما في الأصل السرياني « يا رقليطا ايليا طيطه شبر شبر : محمد - علي - فاطمة - حسن - حسين - هليلوه لث شوق مني محمد انوي دالة » : هلولي فانه لا اله الا انا ومحمد رسولي « اني هويوة انا لبرين وارخ الشماي ولا ال ارعا ولا البردس ولا الكيهن ولا الشمس ولا الشعر » : لولا هم لما خلقتك « يا آدم » ولا السماء ولا الارض ولا الجنة ولا النار ولا الشمس ولا القمر^(١)

ومن بالغ اهتمام الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بشأن أهل بيته المطهرين (عليهم السلام) انه كان يتلوا آية التطهير عند صلاة الفجر او عند كل صلاة على بيت علي وفاطمة حسب مختلف الإحصاء من شهر^(٢) الى اربعين يوماً^(٣) الى ستة اشهر^(٤) الى سبعة^(٥) او ثمانية^(٦) او

(١) راجع كتابنا رسول الاسلام في الكتب السماوية ص ١٣١ .

(٢) أخرجه ابو داود الطيالسي في المسند ٨ : ٢٧٤ قال : حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن انس عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) انه كان يمر على باب فاطمة شهراً قبل صلاة الصبح ويقول : الصلاة يا أهل البيت « انما يريد الله . . » وأخرجه ابن حنبل عن عائشة .

(٣) أخرجه ابن مردويه وموفق بن احمد وجماعة آخرون عن ابي سعيد الخدري وسالم بن ابي حفصة عن ابي الحمراء

(٤) أخرجه الطبراني وابو داود ومالك بن انس والترمذي عن ابي الحمراء ، ومعقل بن يسار وام سلمة ، الحمراء الحسكاني في انس ٢ : ١١ - ٩١ ورواه جماعة عن عفان =

تسعة^(٤) او عشرة^(٥) او سنة^(٦) او سبعة عشر شهراً^(٧) او منذ نزولها حتى ارتحاله الى جوار رحمة ربه^(٨) تدليلاً على اختصاصها باضرابها من اهل بيت الرسالة ، ولكيلا ينسأهم المسلمون او يتنسأ سؤهم ، استمراراً في

= ورواه عنه عبد الحميد في تفسيره وتابعه جماعة عن حماد منهم ابراهيم السامي ، ورواه ايضاً الاسود بن عامر - شاذان وحجاج بن منهال وعبيد الله محمد العباس عن حجاج وعن البغوي ورواه موسى بن اسماعيل التبوذكي .

(٥) أخرجه محمد رضى المالكى عن ابي الحمراء .

(٦) أخرجه ابن جرير وابن مردويه عن ابي الحمراء وعن ابي سعيد الخدري ورواه الحاكم عن ابن شاهين عن الاشعث وعن السبيعي في تفسيره .

(٧) أخرجه ابن مردويه عن ابن عباس (المذخر المنشور ٥ : ١٩٩) والثعلبي عن ابي الحمراء وموفق بن احمد عن ابي سعيد الخدري

(٨) أخرجه محمد بن عمران المزياني بسنده الى ابي الحمراء فقال : قدمت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) نحواً من تسعة اشهر او عشرة فرأيت . . . وفي يناير المودة ٢٦٠ وروى هذا الخبر بأسانيد عن الثلاثمائة من أصحابه منهم من قال : ثمانية اشهر ومنهم من قال عشرة اشهر اقول هذا الخبر يشير الى خبر مروره على بيت فاطمة (عليها السلام)

(٩) أخرجه جماعة .

(١٠) في ملحقات احقاق الحق ١٤ : ٨٠ أخرجه الطبري بسند عن ابي الحمراء والحافظ نور الدين علي بن ابي بكر عن ابي برزة .

(١١) أخرجه ابن ابي شيبة واحمد والترمذي وحسنه وابن جرير وابن المنذر والطبراني والحاكم وصححه وابن مردويه عن انس ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يمر بباب فاطمة اذا خرج الى صلاة الفجر ويقول : الصلاة يا اهل البيت واما يريد الله . . . اقول : ظاهر (كان) استمرارية مقالته (صلى الله عليه وآله وسلم) تلك منذ نزول الآية حتى ارتحاله وعن داود السبيعي عن ابي الحمراء مثله ورواه جماعة عن ابي عاصم النبيل وأخرجه عنه عبد بن حميد في تفسيره ويعقوب بن سفيان ويونس بن ابي اسحاق السبيعي .

احترامهم دون لاخترام ، ولكنهم اضطهدوا ما لا يخلد بخلد ويكأنه (صلى الله عليه وآله وسلم) أوصى باضطهادهم وأكد !

ولقد نرى الإحتجاج بآية التطهير للامام علي (عليه السلام) وسائر اهل البيت عليهم السلام) في مختلف الحقول ، كضرورة لا مرد لها فيتسلمها المحجوجون كلهم بكل قبول دوغما ريبه ونكول !

ولولا هذه الأحاديث لم تكن الآية لتشمل غير أهلها لمكان « إنما » الحاصرة لتلك الطهارة باهل البيت (عليهم السلام) و « يريد الله » تعني ارادة لدنية مستمرة مدى حياة العصمة القمة لهم مهما اختلفت درجاتها قبل النبوة والإمامة وبعدها ، واختلفت طولها حيث التكامل لا يستثنيهم !

اترى أنها ارادة تشريعية في النفي والاثبات « ليذهب ويطهر » ؟ وهي نعم المكلفين اجمعين ! ام تكوينية ؟ فكذلك الأمر حيث التوفيق لمن سلك سبيل الهدى وترك الردى موعود لهم من الله ! « والذين اهتدوا زادهم هدى » ام تخص تكوين العصمة القمة في بُعدي السلب والايجاب ؟ وليس محط الارادة هذه يمتاز على من سواه ، حيث الارادة من الله ، فالعصمة .. اذا - هي فقط من فعل الله !

إنه ارادة العصمة تكوينية بين الأمرين ، عصمة بشرية كأفضل ما استطاع ، وليست بالتى تعصم صاحبها عصمة مطلقة ، حيث الطاقة البشرية ليست مطلقة ، بل هي مقدرة بقدرها وقدراتها ، ثم عصمة إلهية تكفيها فتجعلها مطلقة في الدرجة التي يعينها دوغما فوضى ، وإنما بحساب ومقدار ، وكل شىء عنده بمقدار .

إن الرسالة الختمية تتطلب خاتمة العصمة القمة ، محاولة بشرية كأفضل ما تكون وأعضله تتوسط إرادة إلهية من قبل ومن بعد ، فمن قبل قدر اهل بيت العصمة المحمدية في أصلاب شاذغة وارجام مطهرة ، لم

تنجسهم الجاهلية بانجاسها ولم تلبسهم من مدلهمات ثيابها ، تقدير الظرف لائق فائق تتمكن فيه كافة المجالات لأفضل المحاولات البشرية لإعداد العصمة القمة .

ثم حاولوا كأفضل ما يمكن وأعضله تطهيراً لأنفسهم الزاكية لمدى اللياقة واللباقة لإرادة العصمة العليا ، فعصمهم الله تعالى بما قدر وحاولوا ، بما ارادوا ارادوا !

ف - « انما يريد الله » تشمل مثلث احوالهم بما في أوسطه من محاولة بشرية بتوفيق الله ، ارادة دائبة منذ فُطموا ، حتى ارتحلهم الى جوار رحمة تعالى ، مهما اختلفت درجاتها بظروفها .

تلك الإرادة القاطعة الإلهية لزامهم منذ كانوا ، تعصمهم عن كل رجس وتطهرهم تطهيراً ، فما هو الرجس وما هي الطهارة ؟

الرجس لغوياً هو كل قذر مادي او معنوي ، ما يستقذره الإنسان مادياً أياً كان ، او معنوياً أياً كان ، فهو أعم من النجس اذ يخص القذر المادي ، كما ويوصف به الرجس « اعوذ بالله من الرجس النجس الخبيث المخيب الشيطان الرجيم » .

ولان الاقذار الجسمانية هي لزام كل انسان مهما يومر بالتجنب عنها من أحداث وأخبار ، فإذاهاها بنخص جماعة خصوصاً فلا تعنيها الإرادة الإلهية الخاصة باهل بيت الرسالة الممهدية ، كما وأن الرجس في القرآن لا يعني القذارة المادية في سائر آياته ، وانما مرض القلب : « وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجساً الى رجسهم وماتوا وهم كافرون » (٩ : ١٢٥) وعمل الشيطان : « انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان . . » (٥ : ٩٠) واتباع الشيطان : « فأعرضوا عنهم فأنهم رجس ومأواهم جهنم بما كانوا يكسبون » (٩ : ٩٥) ومعبوداتهم : « فاجتنبوا

الرجس من الاوثان» (٢٢ : ٣٠) وختم القلب على الذين لا يعقلون :
 «وما كان لنفس ان تؤمن إلا باذن الله ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون»
 (١٠ : ١٠٠) وكذلك كل اكلة تحوّل الإنسان الى حيوان ك- «لحم
 خنزير فانه رجس» (٦ : ١٤٥) وقبله الميتة والدم المسفوح لم يشملها
 الرجس مع انها من النجس ، وكالعذاب على الرجس فانه رجس على
 رجس : «قال قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب» (٧ : ٧١)
 «كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون» (٦ : ١٢٥) !

هذه جماع الآيات التي تضم الرجس كلها تعني الرجاسة المعنوية ،
 وهي هي التي ترجس الانسان وتخرجه عن العقلية والايمان ورحمة الرحمان !

ولان مرض القلب وعمل الشيطان وأتباعه دركات يشملها الرجس ،
 فذهابه ايضاً درجات يشملها اذهاب الرجس ، والجنس المحلى باللام
 يستاصل نفسه في نفيه .

إذا فجنس الرجس ايأ كان بعيد عنهم وعن ساحتهم من رجس الفطرة
 والعقلية والفكرة والصدر والقلب والنية والعمل « وكل انسان يعمل على
 شاكلته » لا غبرة على ارواحهم ، وإنما نور على نور ، لا ينقصهم إلا انهم
 مخلوقون ، ثم الفقر الى ربهم فخرهم .

كل قلب يتقلب الى غير الله إلا تذرعاً أو تضرعاً إلى الله ، فيه رجس قدر
 اتجاهاه الى غير الله ، وكل اتجاه في أدق منحنيات الحياة ومتجهاتها الى غير
 الله رجس ، والمتدلي بالله دونما ابقاء لغير الله خارج عن كل رجس ،
 وهكذا : يريد الله ليذهب عنكم الرجس . . . !

اترى بعد أن اذهب الرجس عنهم هو رفعه عن ساحتهم بعد كونه ؟
 ولا يذهب رجساً هكذا إلا بتوبة ام اي تكفير يناسبه ! وهذا يعم سائر اهل
 الرجس دون اختصاص ! وهذا من فعل صاحب الرجس ان يذهب رجسه

بتوبته ! والعصمة لا تحمل محل الرصمة ! اللهم إلا في أدنى ادانيها بمعصية صغيرة بعد توبة كآدم : « وعصى آدم ربه فغوى . ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى »

انه اذهاب لكل رجس بدفعة عنهم حين يعترهم او يساجم عليهم ببواعثه ، تسديداً لهم بما حاولوا وانتجبههم الله - عن كل رجس ، شكاً في قلب ، او جهلاً بواجب الشرعة او المعرفة ، او خطأ في فكر ، او زلقاً في فعل ، في عصمة عليا بمثلثها : تلقياً للوحي - وإلقاء له - وتطبيقاً إياه .

هنالك محاولات بشرية لذهاب الرجس عن انفسهم رفعاً او دفعاً ، وليست لتكفي استئصالاً لكل رجس ، واهلها مخلصون !

وهنا ارادة دائبة إلهية تكفي محاولات قمة من أخلص المخلصين ، فتستأصل عنهم كل رجس واهلها مخلصون ، وهكذا « انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيراً » .

وكما « لينذهب عنكم الرجس » يبحث في نفسي الجنس كل رجس ، كذلك « ويطهركم تطهيراً » يختص باثبات كل طهارة ، فالسلب مطلق كما الايجاب ، والايجاب مطلق كما السلب ، تخليصة عن كل نقص إلا انهم مخلوقون ، وتخليصة بكل كمال دون انهم ليسوا بخالقين ، فقد يصدق فيهم ما يقال عنهم « نزلونا عن الربوبية وقلولوا فينا ما شئتم » :

زاحد تا أحديك ميم فرقت همه عالم درآن يك ميم غرقت ..

هنا طهارة متصلة بهم ، متعركة فيهم ، متزرعة في قلوبهم ، هي العصمة الإضافية « انما يريد الله .. » ! تكوينية وتشريعية فواجب الحفاظ على الشرعة تشريعاً فيهم ، يوازي واجب العصمة الموهبة لهم تكويناً ، عصمة بشرية تتصل بها وتحل فيها عصمة الهية دونما فوضى جزاف ، فكل درجة من العصمة الالهية تتطلب كظرف لها عصمة بشرية تقتضيها ، فد-

« انما يريد الله » إرادة تشريعية ما لم يُردها من أحد العالمين ، ارادتان منحصرتان لهم وفيهم ، منحسرتان عن سواهم ، فلا يُطلب من اهالى سائر البيوت الرسالية ما يُطلب من اهل بيت الرسالة المحمدية (صلى الله عليه وآله وسلم) من مدارج التقوى والعبودية والاجتهاد الإضطهاد في سبيل الله ، وكما يروى عنه « ما أودى نبي مثل ما أوديت » وقال عنه ربه « قل إن كان للرحمن ولد فانا أول العابدين » فلو لم يكن هو أول العابدين على ضوء الرعاية القمة للشرعة لم يكن أول المعصومين في ارادة تكوينية .

وهناك طهارة منفصلة عنهم ، وهي للمتصلين بهم ، المنسويين اليهم ، يريد ها الله منهم للحفاظ على عهد الطهارة لاهل بيت النبوة الأصول ، فطهارة نساء النبي وأقربائه وانسابه لها تأثير منفصل في طهارته عند الناس ، وليس الله ليريد الطهارة لأهل بيت الطهارة انفسهم ثم يهمل طهارتهم عند الناس ، فليكونوا وجهاء عند الله ليصلحوا دعاء الى الله ، ووجهاء عند الناس ليتجه بهم الناس الى الله .

لذلك تحل آية التطهير محلات نساء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لتحمل تطهيرهن الى تطهيرهم ، ولذلك نرى في الاكثرية المطلقة من روايات التطهير ليس الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ليرضى دخول مثل ام سملة الطاهرة في اهل البيت المعنيين بآية التطهير ، اللهم إلا شذراً بقوله « إن شاء الله » انها قد تدخل في اهل البيت دخولاً منفصلاً إذا اصلحت وقتت لله ورسوله ، فطهرت اهل هذا البيت وجاء الناس بعد طهارتهم عند الله !

﴿ واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة ان الله كان لطيفاً خبيراً ﴾ (٣٤) ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات

والمصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيراً والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرًا عظيماً (٣٥) .

« واذكرونا » انتن نساء النبي ، القاطنات في بيت الوحي والتنزيل
« واذكرونا ما يتلى في بيوتكن . . . » فانتن احرى من يُذكر فيتذكر ، لنزول
الوحي ابتداءً في بيوتكن ، ولانتسابكن الى النبي (صلى الله عليه وآله
وسلم) فلكن ضعف الثواب وضعف العذاب ، ثم : « ان المسلمين
والمسلمات . . . » هذه الصفات الكثيرة الغزيرة التي جمعت في هذه الآية
تتعاون في تكوين النفس المسلمة .

وتلك هي عشرة كاملة ، لا بد ان تكون عشيرة المسلمين على
درجاتهم ، من اسلام وايمان وقنوت وصدق وصبر وخشوع وتصديق وصيام
وحفظ للفرج وذكر الله كثيراً : « أعد الله لهم » كلهم « مغفرة وأجرًا عظيماً »
والخطوة الاولى هي الاسلام الاستسلام امام الله ، اقراراً باللسان ، ثم
الايمان تصديقاً بالجنان ، ثم القنوت الطاعة الناشئة من الايمان ، ثم صدق
في الطاعة والايمان ، ثم صبر على أخطار الصدق والايمان ، ثم خشوع في
الجنان يربط كل جوانب الانسان ، ثم تصديق في هذه السبيل بمال او حال
او مقال على اية حال ، ثم صيام في شهر الصيام وفي كل مجال ، ثم حفظ
للفرج عما يجب حفظه ، ثم ذكر الله كثيراً في قال وحال واعمال .

انه لا فرق بين قبلي الرجال والنساء في فضيلة الاعمال أم رذيلتها ،
مهما كان « الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما
انفقوا من اموالهم » حيث القوامه هنا غيرها هناك في يوم الحساب ، فرب
قائم بامر ، ولي على امر يرجع عليه المولى عليه لرجاحة الاعمال .

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ
 اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ
 وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ﴿٤٦﴾
 وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ
 عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ
 وَتُخَشِي النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِنْهَا
 وَطَرًا زَوَّجْنَاهَا لَكَ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ
 فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ
 اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٤٧﴾ مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ
 اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ
 قَدَرًا مَقْدُورًا ﴿٤٨﴾ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ
 وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٤٩﴾

مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ
وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٦﴾

ان تزويج زينب بنت جحش من زيد بن الحارثة ومن ثم تزويجها من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يحمل بعدين عميقين من أبعاد التربية الاسلامية ، فاول البعدين هو تحطيم الفوارق الطبقية وحتى بين الاحرار والعبيد ، فيزوج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) مولاه زيدا من شريفة بني هاشم بنت عمته ، ليقطع هذه الفوارق اولاً بنفسه وفي أسرته ، ثم يتزوجها هو (صلى الله عليه وآله وسلم) ليحطم عملياً سنة التنبئ وحرمة الزواج بحليلة النبي ، ولم يكن ليكتفي في تحطيم هذين الصرحين الجاهلين بالقول فقط ام فعل من غيره ، فليدخل هو بنفسه في الميدان ليؤتسى به في الامة الاسلامية مع الأبد .

ان الله يقضي امر الزواج بين زيد وزينب لتقرير مبدئين جديدين في الامة ، ولكن زينب يخلد في خلد هاشم من ذلك الزواج قائلة له (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد ما خطبها لزيد : « او امر نفسي فانظر »^(١) فانزل :

(١) الدر المنثور ٥ : ٢٠٠ - اخرج ابن جرير وابن مردويه عن ابن عباس قال : ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) انطلق ليخطب على فتاه زيد بن حارثة فدخل على زينب بنت جحش الاسدية فخطبها قالت لست بناكحته قال : بلى فانكحيه قالت : يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) او امر نفسي فينبأهما يتحدثان انزل الله هذه =

« وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم خيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً » (٣٦)

هنا « قضى الله ورسوله » لا تعني إلا التشريع من الله ، ثم بلاغ الشرعة من رسول الله ، أم وولاية الرسول على المؤمنين فيما يأمر وينهى كولي لأمر الأمة فإنه « أولى بالمؤمنين من أنفسهم » !

هذه الآية تقرر قراراً حاسماً على الكتلة المؤمنة أن ليست لهم خيرة من أمرهم إذا قضى الله ورسوله أمراً سواء أكان من أمورهم الشخصية أو الجماعية في أي حق من الحقوق ، في أحكام جامعة كسائر الشرعة ، أم خاصة كذلك الزواج الصارم لما يحمل من بعدين ، تبنياً لصرح الأمة على ما يريد الله وتقتضيه مصلحة الأمة .

« ما كان » هنا وفي سواها نفي يضرب إلى الأعماق ، يعني نهياً صارماً لا قبل له ، والانتهاء به قضية أصل الإيمان ، وإلا فلا إيمان « ما كان لمؤمن ولا مؤمنة . . » و « أن يكون لهم الخيرة من أمرهم » يستأصل كون

الآية قالت قد رضيته لي يا رسول الله منكحاً؟ قال (صلى الله عليه وآله وسلم) : نعم قالت إذا لا أعصي رسول الله قد انكحته نفسي واخرج ابن جرير عن ابن عباس قال : خطب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) زينب بنت جحش لزيد بن حارثة فاستنكفت منه وقالت : أنا خير منه حسباً وكانت امرأة فيها حدة فانزل الله « وما كان . . » وفيه عنه قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لزينب اني اريد ان ازوجك زيد بن حارثة فاني قد رضيته لك قالت يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لكن لا ارضاه لنفسي وانا أئيم قومي وبنت عمك فلم اكن افعل فنزلت الآية وفيه عن قتادة قال خطب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) زينب وهو يريد لها لزيد فظنت انه يريد لها لنفسه فلما علمت انه يريد لها لزيد ابت فانزل الله هذه الآية .

اية خيرة لهم إلا ما قضاه الله ورسوله ، وحتى إذا كانت خيرة الاستثمار من انفسهم او الشورى بينهم ، ثم اختيار ما قضاه الله ورسوله !

فادن درك من العصيان هو خيرة كهذه التي توافق قضاء الله ، واسفل درك منه بدار العصيان دونما تفكير ، وأوسطه العصيان بعد استثمار او شورى ، و « خيرة من امرهم » تتصل الثلاث ، ثم لا تبقى إلا الطاعة المطلقة دونما خيرة من امرهم في جانحة ولا جارحة ، وانما مطلق الإستسلام ! « ومن يعص الله ورسوله » تشمل الثلاثة « فقد ضل ضلالاً مبيناً » مهما اختلفت دركات الضلال والعصيان !

ان قضاء الله كوحي خاص في تشريع يحمله رسول الله في بلاغ الشرعة ثم قضاءه كوحي عام قضاء لرسول الله كولي لأمر الأمة بما اراه الله ، هو « انا انزلنا عليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما اراك الله ولا تكن للخائنين خصيماً » ف- « ما ينطق عن الهوى . ان هو الا وحي يوحى » مهما كان بلفظ القرآن او السنة ، او كان حكماً سياسياً أماذا من احكام ، ف- « يا ايها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله » !

و- « ان كنت لا تطيع خالك فلا تاكل رزقه ، وان كنت واليت عدوه فاخرج من ملكه ، وان كنت غير قانع برضاه وقدره فاطلب ربه سواء » ^(١) « يقول الله : من لم يرض بقضائي ولم يؤمن بقدري فليتمس إلهاً غيري » ^(٢) وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : في كل قضاء

(١) نور الثقلين ٤ : ٢٨٠ ح ١٢٣ في كتاب التوحيد باسناده الى الاصبغ بن نباتة قال قال امير المؤمنين (عليه السلام) : ..

(٢) المصدر ح ١٢٤ فيه باسناده الح الحسين بن خالد عن علي بن موسى الرضا عن ابيه عن آبائه عن علي بن ابي طالب قال : سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول قال الله جل جلاله : ..

الله عز وجل خيرة للمؤمن» (١).

فالله يقضي زواجاً بين قرية الرسول الشريفة في قومها وبين عبده قضاءً على سنة الفوارق ولا خيرة إذاً دون خيرة الله ! ثم الله يقضي زواج رسوله بحليلة دعيه قضاءً على سنة جاهلية أخرى وفارقة أخرى فارغة كما الأولى ، وليس للمؤمنين إلا التسليم لقضائه ! والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ! ولا سبيل مستقيماً إلا الإسلام المطلق امام قضائه دون اختلاج خالجة في ضمير ، ولا سيما في الأقضية التي تبني الإسلام ، اصولاً يؤتسى بها على طول الخط ، ولا بد من تجاوب من الأمة مع الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في تبني صرح هذه الرسالة السامية . فان يداً واحدة لا تصفق !.

« وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكمها لكيلا يكون للمؤمنين حرج في أزواج ادعيائهم اذا قضوا منهن وطراً وكان امر الله مفعولاً » (٣٧)

هذا زيد بن حارثة « انعم الله عليه » بالتربية المحمدية قبل الاسلام وبالإيمان بعده وانكحه شريفة بني هاشم بنت عمه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) « وانعمت عليه » في إحضانه بتربية صالحة وعتقة وإنكاحه بنت عمك وهي ترغبك دونه ! . تقول له بعد منازعة مستمرة بينه وبينها « أمسك عليك زوجك » وقضى الله اطلاقها ليكحك اياها هدماً لسنة جاهلية « واتق الله » وكان تقواه طلاقها في الواقع مهما كانت امساكها في الظاهر « وتخفي في نفسك ما الله مبديه » من فرض زواجها لك بعده كما

(١) المصدر ح ١٢٥ وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : ...

أبداه في اذاعة قرآنية « زوجناكها .. » وليس مما اخفاه (صلى الله عليه وآله وسلم) في نفسه انه عشقها رغبة الجنس لما رآها تغتسل كما اختلق عليه ! ويشهد له « ما الله مبديه » وما أبدى الله إلا اصل الزواج « لكيلا يكون للمؤمن حرج في ازواج ادعيائهم ! »

« وتحشى الناس » إن أبدت امرك فيها أن يقولوا طمع في حليلة دعيه ، كما انطلقت السنة المنافقين : « تزوج حليلة ابنه ! » « والله أحق أن تحشاه » في تحقيق قضاءه ، دون أن تحشى الناس في خشيته ، فانما خشية بلا وسيط ! .

اترى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في هذه المعركة الصاخبة خشي الناس ولم يخشى الله ؟ وهو أخشى الله من كل « الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون احداً الا الله » وهو ابلغ من « يبلغون رسالات الله » فأخشاهم الله فانه « أول العابدين » ؟ .

إن خشية الله خشيتان ، خشية عن طريق الناس وقد خشيهم عنهم فأخفى في نفسه ما الله مبديه ، لكيلا يمس من كرامة رسالته بما يتقوله الناس ، وكما خشيتهم في بلاغ رسالة الولاية « بلغ ما انزل اليك .. » وخشى ازواجه في قصة مارية فحرمها على نفسه خشية تظاهروا عليه « لم تحرم ما احل الله لك تبتغي مرضات ازواجك » ؟ فأمنه الله عما يخشاه : « والله يعصمك من الناس » في بلاغ الولاية « وإن تظاهروا عليه فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير » في مارية « والله أحق أن تحشاه » في زينب .

فقبل ان يؤمنه الله باس الناس ما كان ليأمنهم ان يمسوا من كرامة رسالته ، وكان عليه حفاظها تقدماً للأهم على مهمه ، ثم الوحي الحبيب من الحبيب آمنه بأسهم ، فنقله من خشيته تعالى من طريق الناس ، الى خشية

خالصة لا وسيط لها « والله احق أن تخشاه » !

فذلك - اذاً - انتصار له في صيغة عتاب ولا عتاب ، فانه ييسر ساحتته الرسالية في هذه الإذاعة القرآنية عن كافة التقولات الموجهة اليه : انه رآها فاعجبته (١) اماذا من هرطقات جاهلية وهرآآت عراء وساحة الرسول منها براء ! .

﴿ فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج ادعيائهم اذا قضوا منهن وطراً وكان امر الله مفعولاً ﴾ (٣٧) ! .

لقد كان لزيد منها وطراً : نهمة وحاجة مهمة ، قضاء على سنة جاهلية في التفاحر بالأنساب ، ووقاء لشهوة الجنس ، والاول مقضي بمجرد الزواج ولكننا الثاني باق ما بقي صاحب الجنس في إربته ، ثم ولا يحل لزواجه زواج آخر ما دامت في حبالته وإن قضيت إربته ، فكيف « زوجناكها »

(١) في نور الثقلين ٤ : ٢٨٠ ح ١٢٧ عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) فيما رواه القمي عن أبي الجارود عنه (عليه السلام) في الآية وساق القصة الى : ثم انها تشاجرا في شيء الى رسول الله فنظر اليها رسول الله فاعجبته . . .

وفيه ح ١٣٠ عن الإمام الرضا (عليه السلام) ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قصد دار زيد بن حارثة في امر اراده فرأى امرأته تغتسل فقال لها : سبحان الله الذي خلقك . . . فلما عاد زيد الى منزلة اخبرته امرأته بمجيء الرسول وقوله لها فلم يعلم زيد ما اراد بذلك فظن انه قال ذلك لما اعجبه من حسن فجاء الى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ان امرأتى في خلقها سوء واني اريد طلاقها فقال له النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) امسك عليك زوجك واتق الله . . .

اقول انها ولا سيما الثاني يختلق على الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) فلو اراد زوجها شهوة لبادر اليها قبل تقديمها لزيد وقد كانت تريد (صلى الله عليه وآله وسلم) ثم كيف يدخل الرسول بيتاً دون استئناس من اهله لحد يرى امرأة اجنبية تغتسل فتعجبه ويقول مقالته ١٩

ان نعمة الجنس وشهوته قد تنقضي بطبيعة الحال ولم تنقض من زيد وهو في شَبَق الشباب ، وزوجه شريفة جميلة ! وقد يقضيها هو بأسباب أخرى ولم تنقض ، من عدم الوفاق لحد ينجر الى الفراق فذلك قضاء وطراً أول نعمة وشهوة ، ان يطلقها في طهر لم يواقعها فيه ، فلولا يقض وطراً منها لم يطلقها ، ثم ان بقى له وطراً منها راجعها في عدتها ولم يراجعها ! فقد قضى منها وطراً ثانياً واخيراً إذ سرحها دونما رجعة : « فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها » حيث تم الزواج إذ تم قضاء الوطر بتمام العدة ! .

فهناك للزوج وهناك للزوج اوطار أخرى كحاجة وتمائلة الى زوجه بعد الطلقة الثانية ، ثم بعد الثالثة بمحلل حيث يعقد عليها بعده ، ثم وطراً بعد وطراً حتى تبلغ الطلقات تسعاً بمحللين ثلاثة ، ولا وطراً له بعد الطلقة التاسعة حيث تتحقق بها الحرمة المؤبدة .

وأولى الأوطار التي يحل فيها زواجها بزواج آخر هي في الطلقة الاولى بمضي عدتها دون رجعة منه في الرجعية او منها في المختلقة والمباراة حين يقبل رجوعها .

و « وطراً » هنا مطلق يشمل قبل الطلاق وبعده ولما تخلص العدة ، ويقيد بخلاص العدة قبل الرجعة آيات الرجعة ، « والمطلقة رجعية زوجة ، فلا يحل لها زواج آخر ما دامت في العدة .

وهنا نرى الرسول وهو مأمور بزواجها لنفسه لا ينكحها بنفسه حتى يزوجه الله ايها : « فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها »^(١) وان كان ينخطبها

(١) في الدر المنثور ٥ : : ٢٠٢ - اخرج الحاكم عن الشعبي قال كانت زينب تقول للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) انا اعظم نسائك عليك حقاً انا خيرهن منكها =

في ظاهر الامر^(١) وقد كانت تفتخر على سائر ازواجه (صلى الله عليه وآله وسلم) بزواجها الالهي^(٢)!

ولماذا «زوجناكها» الحظوة الجنس فقط ؟ وقد كان له ان يتزوج بها قبل ان يزوجه لسلامه ولم يفعل وهي راغبة اليه (صلى الله عليه وآله وسلم) !
اترى الشريفة القريبة الى النبي ترجح غلامه (صلى الله عليه وآله وسلم) عليه ، ثم النبي يرجح ثيبة غلامه على البكر ؟!

= واكرمهن سترأ واقربهن رحماً وزوجنيك الرحمن من فوق عرشه وكان جبرئيل (عليه السلام) هو السفير بذلك وانا بنت عمك ليس لك من نسائك قريبة غيري .

(١) يروى الامام احمد ومسلم والنسائي من طرق عن سليمان ابن المغيرة عن انس قال : لما انقضت عدة زينب قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لزيد بن حارثة « اذهب فاذكرها علي » فانطلق حتى اتاها وهي تخمر عجينها قال : لما رايتها عظمت في صدري حتى ما استطيع ان انظر اليها واقول ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ذكرها فوليتها ظهري ونكحت على عقبي وقلت يا زينب ابشري ارسلني رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بذكرك قالت : ما ان بصانعة شيئاً حتى اوامر ربي عز وجل فقامت الى مسجدتها ونزل القرآن وجاء رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فدخل عليها بغير اذن

(٢) في الدر المنثور ٥ : ٢٠٣ - اخرج الطبراني والبيهقي في سننه وابن عساكر من طريق الكميت بن يزيد الاسدي قال حدثني مذكور مولى زينب بنت جحش قالت : خطبني عدة من اصحاب النبي (ص) فارسلت اليه (ص) اخي يشاوره في ذلك قال (ص) فابن هي ممن يعلمها كتاب ربها وسنة نبيها ؟ قالت : من ؟ قال (ص) : زيد بن حارثة فغضبت وقالت تزوج بنت عمك مولاك ثم اتيتني فاخبرتني بذلك فقلت اشد من قولها وغضبت اشد من غضبها فانزل الله تعالى : « وما كان لمؤمن . . » فارسلت اليه زوجني من شئت فزوجني منه فاخذته بلساني فشكاني الى النبي (ص) فقال له : اذا طلقها فطلقني فبت طلاقى فلما انقضت عدتي لم اشعر الا والنبي (ص) وانا مكشوفة الشعر =

فإنما «زوجناكها» لسياسة رسالية : «لكيلا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم اذا قضوا منهن وطراً» قضاء على سنة عريقة جاهلية هي حرمة حلل الادعياء اعتباراً انهم ابناء «وما جعل ادعياءكم ابناءكم» ما كان يُقضى عليها إلا عملاً جاهراً من الرسول نفسه وقد فعل بامر الله «وكان امر الله مفعولاً» .

فقد قضى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) على جاهلية الفوارق الطبقة في بعدي تزويجه شريفة بعدد، ثم تزويج زوجة عبده لنفسه ، ومن ثم جاهلية حرمة حلل الادعياء قضاء على كونهم ابناء ، ولم يكن إبطال هذه الآثار الواقعية في حياة المجتمع ليمضي بسهولة ، حيث التقاليد الإجتماعية اعمق أثراً في النفوس من أن تنزول بسن القوانين المجردة ، إلا أن يسنها ويطبقها الرسول عملياً في نفسه ، ويواجه المجتمع بهذه العملية الصارمة التي لا يستطيع أحد ان يواجه بها ذلك المجتمع الصلد العارم !

مركز تحقيق كتاب توير علوم إسلامي

يسأته (صلى الله عليه وآله وسلم) زيد مرة بعد أخرى يشكو اضطراب حياته الزوجية ، والرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) يحمل امر الله في تزويجها لنفسه ، ولكنه يحس ثقل التبعة ان اظهر أمره - على نفاذ رسالته ، فهو على شجاعته في مواجهة قومه في أمر أمر من العقيدة المضادة لما يعتقدون ، دون أية جُلجة ولا خشية ، إذ ما كانت لتمس من ساحة رسالته ، نراه هنا متلجلجاً يخشاهم على رسالته خشية من ربه أن تنهزم اركان دعوته بما يتوقعه من مجابهة عنيدة في هذه المواجهة فيقول : «أمسك

= فقلت هذا امر من السماء دخلت يا رسول الله بلا خطية ولا شهادة ؟ قال : الله المزوج وجبريل الشاهد .

عليك زوجك واتق الله ، فاخفى في نفسه فعلاً ما الله مبديه ، ويعلم أن الله مبديه ، ولكن أين إبداء محمد من إبداء الله ؟ اذ هم ليسوا ليعارضوا الله ويتهمونه ! مهما تجاسروا على معارضة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، إذ جاء وحى حبيب من الحبيب يُطمئنه بعصمته من بأسهم فنقله من خشيته تعالى بهم الى خشيته في تعميتهم ، فمهما كان حقاً لك ان تخشى الله احتراساً عن الناس حراساً على رسالتك ، فالله أحق أن تخشاه إذ يطمئتك عن بأس الناس ، فهو الذي أمرك بتحقيق أمره العجيب الإمر ، حملاً لآعباء الرسالة مهما كانت ثقيلة : « إنا سنلقي عليك قولاً ثقیلاً » وهو الذي يلقي في قلب الزوجين عزيمة الفراق ، وهو الذي يزوجك زوجة زيد بعد ذلك الفراق ، بولاية قاطعة لا مرد لها ودوناً استثمار واستثمار منكما «زوجناكما» فهو الخاطب لك وهو المجري صيغة الزواج ، فیدخل عليها الرسول بمجرد نزول الآية ودوناً استثناس ، وكانت هذه إحدى ضرائب الرسالة الباهظة التي تحملها فحملها في مواجهة المجتمع الذي كان يكرهها ويتقوّل فيها كما تقوّل النعّس من المسلمين والجاهليّون والمسيحيون^(١) !

(١) في الدر المنثور ٥ : ٢٠٣ - اخرج الطبراني والبيهقي سننه وابن عساکر من طريق الكميت بن يزيد الاسدي قال حدثني مذكور مولى زينب بنت جحش قالت : خطبني عدة من اصحاب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فارسلت اليه (صلى الله عليه وآله وسلم) اخي يشاوره في ذلك قال (صلى الله عليه وآله وسلم) : فاين هي عن يعلمها كتاب ربها وسنة نبيها ؟ قالت : من ؟ قال (صلى الله عليه وآله وسلم) : زيد بن حارثة فغضبت وقالت تزوج بنت عمّتك مولاك ثم اتتني فاخبرتني بذلك فقلت اشد من قولها وغضبت اشد من غضبها فانزل الله تعالى : « وما كان لمؤمن . . » فارسلت اليه زوجني من شئت فزوجني منه فاخذته بلساني فشكاني الى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال له : اذا طلقها فطلقني فبت طلاقى فلما انقضت عدتي لم اشعر الا والنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وانا مكشوفة الشعر فقلت هذا امر من الساء دخلت يا =

ولكن «وكان امر الله مفعولاً» لا يمنعه مانع ولا يردعه رادع ! اذ :

« ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له سنة الله في الذين خلوا من قبل وكان امر الله قلراً مقدوراً » (٣٨)

ضابطة سارية المفعول ترسمها الآية لحملة الرسائل الإلهية الآتية لهم من الناس في بيان او تطبيق شرعة الله . فالخرج على اقسام عدة ، فقد يتخرج عن أصل الفرض على أية حال فلا يفرض على النبي والامة على أية حال : ف - « ما جعل عليكم في الدين من حرج » (٧٨: ٢٢) وقد يتخرج لأمري نفسه يعرضه كمرض يُخرج في فرضه فهو مفروض إلا في حرجه للنبي والامة ، وقد يتخرج بتحريج الناس فيتقيهم بتركه ، فذلك خاص بالامة بمن فيهم الأئمة دون الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) إذ لا تقيه له ، و « ما كان على النبي من حرج » يعني الثالثة ، فان « فيما فرض الله له » تثبت فرضه فيخرج المخرج في أصله ، ثم « له » يُخرج المخرج في نفسه ، فانه موضوع عنه وعن الامة سواء ، فليكن هو المخرج الخارج عن نفسه من بأس الناس إذ يخرجون موقفه من تطبيق « ما فرض الله له » فليس له أن يتقيهم حيث ضمن الله وقايتة عن بأسهم كما هنا وفي قصة مارية وقضية بلاغ الإمرة .

ولماذا « فرض الله له » دون « عليه » لأن الفرض هنا كان « له » حظوة بشرية ودعوة رسالية ، وحتى فيما لا خطوة له فيه شخصية ، بل عبء وثقل ، فلا يثقل على كاهله ، بل يستقبل فرض الله بكل رحابة صدر ورياحة خاطر ، فكل فرائض الله « له » لا « عليه » إذ لا يستقلها على أية حال !

= رسول الله بلا خطبة ولا شهادة ؟ قال : الله المزوج وجبريل الشاهد .

إذا فليس النبي ليتحرج فيما فرض الله له مهما كان عبثه وثقله ، لا في قرارة نفسه لانه يحمل الرسالة فعليه ما حمل ، ولا يحق لامة تحريج موقفه لانهم مرسل اليهم وعليهم ما حملوا ، فلا تقية للنبي فيما يحمله من رسالة الله مهما صعبت الظروف والتوت لانه يقرر مصير الامة وعليه تمام المسؤولية ، وهذه من سنن الله الثابتة في الذين خلوا من قبل من الرسل مهما تخلف المرسل اليهم عن هذه السنة ولا يفرض الله لنبي ما لا يطيقه او يحيقه مهما كان أمراً إمرأً وعبثاً ثقيلاً « وكان » طول الزمن الرسالية « امر الله » لانبياؤه « قدراً » قدره بعلمه وحكمته لصالحهم الرسالي « مقدوراً » لهم قدر الطاقة لا محرجاً ولا معسوراً .

فهناك يشجع الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) على ذلك الزواج دون تحرج من قالة الناس ، وعطفاً لخشية الناس في الله الى خشية الله مجرداً عن الناس وهنا يندد بالذين يحرجون موقفه فيما فرض الله له كسنة ثابتة للرسول وعلى الامة ثم نفي الحرج عن النبي - لا محمد - وفيما فرض الله له - لا عليه - يد لان على ان الفرض هو الفرض الرسالي الذي يقرر مصير الامة اذاً فلا تقية في بلاغه حتى على نفسه ، والله يكفي خشية على رسالته ،

واما المفروض على الامة فقد يكون فيه حرج وقد لا يكون فيفعل احياناً ويترك اخرى ثم « والذين حلوا من قبل » في هذه السنة هم :

« الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله وكفى بالله حسيباً » (٣٩)

لأنهم رجال رسالات الوحي حيث يكثرون البلاغ ويشدقون في رسالات الله التي حملوا بلاغها . ويخشونه فقط في سبيل التبليغ ، ولا

يخشون أحداً إلا الله ، حتى فيما يخشى على ساحة رسالتهم ، حيث الله ضامن لهم امرهم ، ف - « يخشونه » تحصر خشيتهم في الله « ولا يخشون أحداً إلا الله » تنفي خشية اي أحد في الله إذ يطمئنهم الله عن بأس من سوى الله في سبيله الى الله .

والخشية خوف يشوبه تعظيم ، فخشية الناس في الله ان يخافوا عظم ما يفعلون حيث يغضب الله ، فان كفى الله خطرهم فلا خشية الا من الله دون سواه وكما كفى الرسول بأسهم فأمر أن يتحول من خشية الناس في الله الى خشية الله في الله .^(١)

ومن الخشية في الله من غير الله خشية العنت ، أن يخلف تخلفاً جنسياً

(١) وقد عدت الجمعية الرسالية الامر مكية زواجه (صلى الله عليه وآله وسلم) بزینب في عداد سيئاته قائلين : انه اخذ امرأة زيد الذي تبناه مع ان قومه عيروه الا انه لم يبال بتعيراتهم لان الشهوة اذا استولت على المجرد من النعمة الإلهية اماتت منه الاحساس ، نعم وان داود وقع في خطيئة الزنا ولكن يوجد فرق جسيم بين الامرين فلم ياخذ داود امرأة ابنه وثانياً اتنه استغفر ربه واعترف بذنبه وتاب اما محمد فجعل هذه الخطيئة سنة لكل انسان فادعى ان الله امره بذلك .

ويقول الدكتور فندر الالماني في كتابه ميزان الحق رداً على الاسلام ص ٢٥٤ ومن ذنوبه انه في يوم من الايام يذهب الى بيت زيد دعيه فلما دخل سبقت نظرتة الى امرأة زيد فاعجبته وشغفها حباً فقال : سبحان الله خالق النور تبارك الله احسن الخالقين فشعرت زينب بذلك فاخبرت به زوجها زيد فطلقها زيد اما خوفاً من محمد او حباً واخلاصاً له فاخترق محمد الآيات التالية ان امره ربه بنكاح زينب ...

اقول هذه وتلك من القالة التي قيلت عليه من المسيحيين فتسربت قائلتهم الى روايات المسلمين وكما نراها في الدر المنثور ونحن نضربها عرض الحائط لانها خلاف كتاب الله والثابت من عقمه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) .

« ذلك لمن خشي العنت منكم » (٤ : ٢٥) وخشية القول بالإمر : « اني خشيت ان تقول فرقت بين بني اسرائيل ولم ترقب قولي » (٢٠ : ٩٤) وخشية الارهاق كقرأ « فخشينا أن يرهقها طفياناً وكفراً » (١٨ : ٨٠) .

فكل خشية في غير الله منبهة ، وخشية غير الله في الله مرغوبة ما لم يكن هنالك مندوحة كما خشي الرسول الناس من قاهم عليه ، واذا كانت هناك مندوحة كأن يكفي الله بأس ما يُخشى فمنبهة بعدم ما كفى الله ، لا قبله ، وكما الرسول لم يخش الا الله بعد ما كفاه الله قتالة الناس ، فخشيته قبله لم يكن بذلك المنهي !

« وكفى بالله حسيباً » تبليغهم رسالات الله وخشيتهم الله واجرمهم على الله ، فلا حسيب في هذه وتلك إلا الله ، كما ليس بلاغهم وخشيتهم إلا لله وفي الله !

« ما كان محمد اباً أحدهم من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليماً » (٤٠)

هذه الآية مما كفى الله بها محمداً بأس قتالة الناس : انه تزوج حليمة ابنة ، إستصلاً ان يكون اباً أحد من رجالكم ابوة اصيلة ام رضاعية ام دعية هي بالاسلام منفية ، فهلا كان ابا ابراهيم والقاسم والطيب والطاهر ؟ اجل كان ولكنهم ماتوا قبل رجولتهم ، ثم و « رجالكم » لا تشملهم ولو كانوا في رجولتهم ، فانهم - اذاً - من رجاله دون رجالهم ! أم لم يكن ابا الحسين (عليهما السلام) ومن ثم الأئمة من ذرية الحسين (عليه السلام) وسواهم من ذريته ؟ اجل ولكن « ما كان » تضرب إلى الماضي قبل نبوته وبعدها لحد نزول الآية والحستان بعد طفلان لم يتزوجا حتى يأتي دور حليتيهما انهما حل له ام لا ! ولما تزوجا كان قد قضى نجبه

بزمين بعيد ، ثم وهم ليسوا من رجالهم بعد رجولتهم بل من رجاله (صلى الله عليه وآله وسلم) !

ففيما سبق استأصل بنوة الأعداء : « وما جعل أدياءكم أبناءكم » فلم يكن زيد ابن محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) من قبل ، حتى تحرم حليلته ، وهنا يستأصل أبوته لاحد من رجالكم لا الرجال ولا رجاله ، نفياً لأبوته لزيد فتحل له حليلته ، ام امكانية زواجه بحلائل ابنائه ، فانهم بين من توفي في صباه ، ومن ترجل بعد موته (صلى الله عليه وآله وسلم) فمن تزوج بها لم تكن حليلة ابنه ، ومن تزوج من رجاله فانما كانت رجولته وزواجه بعد موته ، اذا ففرية زواجه بحليلة ابنه منفية عنه مع الأبد .

انه « ما كان ابا احد من رجالكم » تتسبون اليه بالبنوة ، وليست علاقته بالمسلمين إلا علقه النبي بالامة « ولكن رسول الله وخاتم النبيين » يحمل الرسالة والنبوة القمة الأخيرة « وكان الله بكل شيء عليماً » أن لم يجعله ابا احد من رجالكم وأبطل سنة الأدياء وجعله (صلى الله عليه وآله وسلم) خاتم الانبياء .

ولماذا « خاتم النبيين » بعد « رسول الله » لا « خاتم المرسلين » « نبي الله وخاتم النبيين » او « خاتم النبيين » فقط ؟

إن الرسالة الإلهية هي بعد وحي النبوة ، ولأنها درجات بعضها فوق بعض. اختصت العالية بصيغة النبوة من النبوة الرفعة ، لا النبأ الوحي^(١) ولذلك وصف النبوة يأتي بعد الرسالة دون معاكسة : كما « وكان رسولاً نبياً » (١٩ : ٥١) في موسى و ٥٤ في اسماعيل و « الرسول النبي » (٧ :

(١) لذلك لما يخاطب به نبي الله يقول : لا تقل يا نبي الله انا نبي الله .

(١٥٧) في محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) حيث الوصف الأعلى يأتي بعد الحال ، فالنبوة هي منزلة اشرف من الرسالة .

ف - « رسول الله » تثبت منزلته الثانية مطابقة وقبلها النبوة الوحي التزاماً ، « وخاتم النبيين » تثبت ثالثة هي النبوة ، ورابعة هي القمة والاخيرة انه ختم وتصديق للنبوات ، فليكن أفضلهم وآخرهم ، فلا نبوة بعده فضلاً عن رسالة او نبوة اللهم إلا إلهاماً على هامشه تفهماً لنبوته دوغماً استقلالاً ! وقد يعني « النبيين » جمع النبي والنبي معاً ، إستحصلاً لآية نبوة وحي او نبوة رسالة وبينهما رسالة الوحي فذلك المثلث السامي مسلوب بعد نبوته ، مصدق لمن قبله به ، فلا نبوة بعده ولا رسول ولا نبي حيث « ختم به الوحي » ! فلو قال « خاتم النبيين » لكان هنالك مجال الرسالة بعده او نبوة ! ولو قال « خاتم المرسلين » لكان بعده مجال النبوة ، فلما قال « وخاتم النبيين » زال كل مجال من مثلث الوحي على أية حال !

وحتى ان كان جمع النبي فكونه خاتمهم يقتضي انقطاع الوحي به ، فلماذا يوحي بعده ، أتكميلاً لما أوحى إليه كما في ولي العزم الآتي بعد سابقه ؟ وهو خاتم النبيين فلا أفضل منه ولا يسامى ! ام حفاظاً وتصديقاً لوحيه عن تطرق التحريف كما كان يوحي الى أنبياء بعد اولي العزم بهذا الصدد ؟ وقرآنه محفوظ بحفاظ الله « إنا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » فلماذا الوحي بعد ، اللهم إلا إلهاماً لعترته المعصومين ، تفصيلاً لما أجمله من كتاب او سنة ، فان دور الإمامة لا يعني إلا نشر الرسالة بتفاصيلها الواقعة ، دوغماً زيادة ولا نقيصة . فكل رسول بعد ولي عزم من الرسل كانت رسالته وقائية غير مكملة لما كانت مع ولي العزم ، فانما كان يوحي اليه ما أوحى من قبل ليواصل رسالته متحللة عن كل تحريف . وهذه الرسالة السامية معصومة بكتابتها القرآن العظيم ، وهو العاصم لها عن كل

ما يُتَقَوَّل عليها دونما حاجة إلى رسالة متواصلة بعدها ، ثم الائمة المعصومون يوفون اكثر مما يوفى بأية رسالة وقد فعلوا !

ان افضل النبيين هم الخمسة الذين دارت عليهم الرحي وهو خاتمهم الذي يرأسهم لأن في تصديقه لهم اثبات كيانهم ، وكما أخذ الله ميثاقهم بالايمان به والنصرة له : « وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين » .

لذلك نرى « النبي » بمختلف صيغه في سائر القرآن اقل من « الرسول » كذلك ^(١) مما يوحي بقلة النبيين بين المرسلين ، وحين تُذكر النبوة بعد الرسالة لا نجد من الخمس إلا محمداً وموسى ، ومن سائر المرسلين إلا اسماعيل وان كان سائر الخمس وجماعة من المرسلين نبيين .

ثم رسالته الآتية هي القمة لحد يلوح كأنه الرسول لا سواء حيث « الرسول » معروفاً لا نجده إلا آياه (٨٤) مرة وكذلك « النبي » (٣٣) مرة لا يعني إلا آياه ، مما يُعْظِمُنَّا أن الرسالات والنبوات الآتية مركزة في جنابه (صلى الله عليه وآله وسلم) وسائر الرسل والأنبياء انما جاءوا لتعبيد الطريق لهذه الرسالة النبوة السامية !

(١) النبي (٦٩) مرة والرسول : ٣٩٤ مرة لكنهما معروفاً مفرداً لا يعنيان الا محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) وفي نور الثقلين ٤ : ٢٨٤ ح ١٤٣ في مناقب ابن شهر آشوب عن انس في حديث طويل سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول : انا خاتم الانبياء وانت يا علي خاتم الاولياء وقال امير المؤمنين (عليه السلام) : ختم محمد الف نبي واني ختمت الف وصي واني كلّفت ما لم يكلفوا ، .

فهو هكذا « رسول الله » وهكذا « نبي الله » لا فحسب بل « وخاتم النبيين » حيث ختم النبوات والرسالات والنبوات فلا نبي بعده ولا رسول ولا نبي ، ولا وحي بعده ولا كتاب ، ولا شرعة بعده ولا اي جديد من سماء الوحي ! ليس هو - فقط - خاتم النبيين ، بل « وخاتم النبيين » فالحاتم وهو اسم لما يُختَم به ويُصدَّق فهو أبلغ من الحاتم وأعمق دلالة على خاتمته للنبوات ، فقد بلغ من ختمه النبوات وتصديقه لها الى حد سمي بالحاتم كما الرسول والنبي على سواء ، دون من يختم كآخر لما يختمه وليس يصدقه ، او قد يأتي بعده من هو ارقى منه ، ولكن موقع هذا النبي من النبيين موقع الحاتم ختام^(١) المكتوب حيث يصدقه والمكتوب تحته مكذوب ، وكذلك الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) فمدعي النبوة بعده مكذوب والذي لم يصدقه من قبله غير مصدق ، فهو السطر الاخير من اسطر الوحي يصدَّق ما قبله من وحي ، ويكذب ما بعده من دعوى الوحي وكما يروى عنه (صلى الله عليه وآله وسلم) : انه سيكون في امي كذابون ثلاثون كلهم يزعم انه نبي وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي^(٢) وهو اللبنة الاخيرة من بناية الرسالة كما يروى عنه (صلى الله عليه وآله وسلم) قوله : « مثلي ومثل النبيين كمثل رجل بنى داراً فاتمها إلا لبنة واحدة فجئت أنا فاتممت تلك اللبنة »^(٣).

(١) الحاتم ما يختم به وسمى خاتم الزينة به لان فسه كان يحك عليه اسم صاحبه يختم به كتاباته

(٢) الدر المنثور ٥ : ٢٠٤ - اخرج ابن مردويه عن ثوبان قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وفيه اخرج احمد عن حذيفة عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : في امي كذابون دجالون سبعة وعشرون منهم اربع نسوة واني خاتم النبيين لا نبي بعدي

(٣) المصدر اخرج احمد ومسلم عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : ... واخرج ما في معناه باختلاف يسير مع الاحتفاظ على الاصل =

ويوجد العديد من تصريحات خاتمته بطيات بشارات في كتابات الوحي برسائلته وكما في الاصل العبراني من كتاب حقوق النبي الفصل ٣ : ٣ - ٦
إلوه ميماء يابوء وقادوش مهر باران سلاه ... (٣) ونُعمه
كاورميه ... (٤) هليخوت هولام لو (٥) :

الله من يتمان ياتي والقدوس من جبل باران : فاران - حري - مع
الابد .. شعاعه كالشمس .. ومسالك الازل له ، ف - د باران ، هو جبل
حري (١) : فاران مطلع النور المحمدي ، اشراقه مع الابد حيث شعاعه
كالشمس ومسالك الازل له ، فلا انطفاء لشعاعه إلا بانتفاء الدنيا .

وفي « نبوءت هيلد » وحي الطفل حسب الاصل الانقلوسي « محمد
كايا إعايا ديطمع هوبا وهيي كليليا : محمد كبير قدير - الشجرة الرفيعة
الطيبة - مأمول لإفناء ما كان وإطفاء النائرة ، وهو الكل والتاج وجل على
الاكتاف » .

مركز تحقيق تكملة علوم إسلامي

= لبخاري ومسلم والترمذي وابن أبي حاتم وابن مردويه عن جابر عنه (صلى الله عليه
 وآله وسلم) واحمد والبخاري ومسلم والنسائي وابن مردويه عن أبي هريرة عنه (صلى
 الله عليه وآله وسلم) واحمد والترمذي وصححه عن أبي بن كعب عنه (صلى الله عليه
 وآله وسلم) وفي نور الثقلين ٤ : ٢٨٤ ح ١٤٤ في روضة الكافي بإسناده إلى علي بن
 عيسى رفعه قال : ان موسى ناجاه الله تبارك وتعالى فقال له في مناجاته : لا يطول
 الدنيا أملك - إلى قوله عز وجل : له في وصيته له بالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) :
 يا موسى انه امي وهو عبد صدق وبارك عليه كذلك فيما وضع يده عليه كذلك كان في
 علمي وكذلك خلقته به افتح الساعة ويامته اختتم مفاتيح الدنيا وح ١٤٥ في عوالي
 الكالي وقال (صلى الله عليه وآله وسلم) : انا أول الانبياء خلقاً وآخرهم بعثاً .

(١) وهذا اجماع مؤرخي العرب ان فاران هو حري وكما يصرح في سفر التكوين ٢١ :
 ٢١ « واقام ببرية فاران » يعني اسماعيل بن ابراهيم من هاجر ، راجع ص ٤٦ - ٥٣
 من كتابنا « رسول الاسلام في الكتب السماوية » نجد تفصيل هذه البشارة .

فكونه كُلاً يفصح أنه مجمع جماع الرسائل الالهية ، وكونه تاجاً على
رئوس رجالات الوحي يجعله أفضلهم ، فماذا بعد الأفضل الكل ؟ إلا
الناقص الكل ؟!

وفي انجيل يوحنا ١٤ : ١٦ حسب الاصل السرياني : « وأنايت طالين
من بى وخين بارقليطايت ييل لُوخون هل ابد » :

« وانا اسأل الأب : الخالق - خالقي - فيعطيك فارقليطا آخر ليقم
معكم إلى الأبد »

وفار قليطا في الاصل اليوناني : بر يكليطوس بمعنى محمد - أحمد ،
ومحمد آخر يعني نبياً محموداً في غاية المحمودية هو آخر الآخرين ليقم
معكم الى الابد ^(١).

وليست خاتمة الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بحاجة الى
سرد الادلة - وهي كثيرة في الكتاب والسنة لانها من الضروريات القاطعة
الإسلامية حيث تردف رسالته بخاتمته دوغما ربية ، والآيات في مثلث من
خاتمته بين المرسلين والنبين ، وخاتمة كتابه بين كتب السماء ، وخاتمة
شريعته بين الشرائع تبلغ عشرات .

(١) راجع رسول الاسلام ١٤٦ - ١٥٧ فيه تفصيل البشارة بفارقليط .

يَنَّايَهَا

الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً
وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ الَّذِي يُصَلِّيْ عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم
مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾
تَجِبَتْ لَهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾
يَنَّايَهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾
وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ
بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَا تَطْعِ الْكَافِرِينَ
وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذُنَهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ
وَكِيلًا ﴿٤٨﴾ يَنَّايَهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ
ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ
عَدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا فَمَعَهُنَّ وَسِرَّهِنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٤٩﴾

يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ الَّتِي ءَاتَيْتَ
أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ
عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَتِكَ
الَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا
لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ
دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ
وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ
غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٥٠﴾ * تُرْجَى مِنْ نِسَاءٍ مِنْهُنَّ وَتُقْوَى
إِلَيْكَ مِنْ نِسَاءٍ وَمِنْ أَبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ
عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقْرَأَ عَيْنَهُنَّ وَلَا يُحْزَنَ وَيَرْضَيْنَ
بِمَا ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ
عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥١﴾ لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ

بَيْنَ مَنْ أَزْوَاجَ وَلَوْ أَجَبَّكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ ۖ
وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا ﴿٤٢﴾

« يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً ^(١) وسبحوه بكرة وأصيلاً » ^(٤٢)

من لزوم الإيمان بالله ذكر الله ، وكما الإيمان ليس له حدٌ أو زمان أو مكان أو حالة خاصة ، كذلك ذكر الله على كل حال ، فـ « ما من شيء إلا وله حدٌ ينتهي إليه إلا الذكر فليس له حدٌ ينتهي إليه ، فرض الله عز وجل الفرائض فمن أدامهن فهو حدهن وشهر رمضان فمن صامه فهو حده ، والحج فمن حج فهو حده ، إلا الذكر فإن الله عز وجل لم يرض منه بالقليل ولم يجعل له حداً ينتهي إليه .. » ^(١) .

(١) نور الثقلين ٤ : ٢٨٤ ح ١٤٧ في اصول الكافي عدة من اصحابنا عن سهل بن زياد عن جعفر بن محمد الأشعري عن ابن القداح عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : ... ثم تلا آية الذكر فقال : لم يجعل الله له حداً ينتهي إليه قال : وكان أبي (عليه السلام) كثير الذكر لقد كنت امشي معه وأنه ليذكر الله وأكل معه الطعام وأنه ليذكر الله ولقد كان يحدث القوم ما يشغله ذلك عن ذكر الله وكنت ارى لسانه لازقاً بحنكته يقول : لا اله الا الله وكان يجمعنا فيامرنا بالذكر حتى تطلع الشمس ويأمر =

والذكر في الأصل حالة في القلب تظهر في مظاهر الاقوال والأفعال ،
ولان اللسان يتأثر بالقلب في ذكره والقلب يؤثر فيه ، لذلك يُسمى ذكره
ذكراً ولا فليس إلا لقلقة البغواء .

ولا أقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ، ولكن
ذكر الله عندما احل له وذكر الله عندما حرّم عليه ^(١) . فاشتغال اللسان
بذكر الله والقلب لا والعمل متخلف عن شرعة الله ، إنه ليس ذكراً ، بل
هو مهانة واستهتار بالله ، فليسكت عن ذكر الله ، او يذكر الله في حلاله
وحرامه !

بالقراءة من كان يقرأ منا ومن كان لا يقرء منا امره بالذكر ، والبيت الذي يقرأ فيه
القرآن ويذكر الله عز وجل فيه تكثر بركته وتحضره الملائكة وتهجره الشياطين ويضيء
لاهل السماء كما يضيء الكتوكب لاهل الارض والبيت الذي لا يقرء فيه القرآن ولا
يذكر الله تقل بركته وتهجره الملائكة وتحضره الشياطين وقال رسول الله (صلى الله عليه
 وآله وسلم) الا اخبركم بخير اعمالكم ارفعها في درجاتكم وازكاها عند مليكم وخير
لكم من الدينار والدرهم وخير لكم من ان تلقوا عدوكم فتقتلوهم ويقتلوكم ؟ فقالوا :
بلى ، قال : ذكر الله عز وجل كثيراً ثم قال : جاء رجل الى النبي (صلى الله
 عليه وآله وسلم) فقال : من خير اهل المسجد ؟ فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) :
اكثرهم لله ذكراً وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من اعطي لساناً
ذاكراً فقد اعطي خير الدنيا والاخرة وقال : في قوله تعالى : ولا تمنن تستكثر ، قال :
لا تستكثر ما عملت من خير الله .

(١) نور الثقلين ٤ : ٢٨٧ ح ١٥٦ في الخصال عن زيد الشحام قال قال ابو عبد الله
(عليه السلام) ما ابتلي المؤمن بشيء اشد عليه من ثلاث خصال يحرمها ، قيل : وما
هي ؟ قال : المواساة في ذات يده والانصاف من نفسه وذكر الله كثيراً اما اني لا
اقول ...

ف - « ذكراً كثيراً » تعني كثرة في عِدَّة وكثرة في عُدَّة ، عِدَّة الجوارح والجوانح وعُدَّتْها ، كثرة العدد بعُددها ، ولكل بكثرته ، وكثرة العُدَد بحق الذكر وحاقه ، دون ان يترك باطن الذكر الى ظاهره ، او ظاهره الى باطنه، او يترك عُدَّتْه او عدته او عِدَّتْه الى عُدَّتْه وليكن محافظاً على باطن الذكر كمحور اصيل يتبنأه طول حياته ، فذكره بالقلب هو قلب الذكر وسائر الذكر هو قاكب الذكر !

ف - « اذكروا الله ذكراً كثيراً » بقلوبكم في عِدَد وعُدَد ، وبألستكم في عِدَد وعُدَد ، في حلکم وترحالکم ، وعلى كل احوالکم ، حيث النسيان اياً كان وأيَّان يخلف قَدْرَه العصيان لا تقل إن أكثر ذكْر الله بلساني قيل إنه منافق ، ما دمت ذاكره بقلبك ولسانك ف - « اذكروا الله حتى يقول المنافقون إنكم مراءون » ^(١) و « حتى يقولوا مجنون » ^(٢) ! فانما المجنون من لا يذكر الله ، والمنافق من لا يوافق لسانه قلبه او قلبه لسانه !

ذكر الله من مخلقات الايمان على قدره ومستواه « الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب » (١٣ : ٢٨).

ولان في ذكر الله حالة ايجابية ذكراً لذاته تعالى وافعاله وصفاته ، وقصورنا الذاتي عن ان ندركه سبحانه قد يوردنا موارد الخطأ عند ذكره ،

(١) الدر المنثور ٥ : ٢٠٥ - اخرج الطبراني عن ابن عباس وعبدالله بن احمد في زوائد الزهد عن ابي الجوزاء قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : ...
(٢) المصدا اخرج احمد وابو يعلى وابن حبان والحاكم وصححه عن ابي سعيد الخدري ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : ...

فلنشفعه بتسبيحه : « وسبحوه بكرة واصيلاً ، من بكرة إلى اصيل ومن اصيل الى بكرة كلما ذكرناه تسبيحاً بحمده ! ام في الوقتين الاصيلين : بكرة واصيلاً ، لكي يصفو ذكره عن كل كدر ، وكما في حديث قدسي . « اذكرني بعد الفجر وبعد العصر ساعة اكفك ما بينهما » (١) .

فليكن المؤمن بتمام ذاته وتعلقاته ذكراً لله وتسبيحاً ، أسوة برسول الله في تحقيق أمر الله : « قد أنزل الله إليكم ذكراً رسولاً يتلوا عليكم آيات الله .. » (٦٥ : ١٠) فيصبح حينئذ من المفردين (٢) ولان الرسول هو بنفسه ذكر الله : « ذكراً رسولاً » فلا ينسى الله ، لذلك لا يشمل خطابه « الذين آمنوا » وانما « اتق الله » اتقاءً عن زهوة القرب الى الله وعما سوى الله .

فاتصال القلب بالله والإنشغال عن الله اشتغالاً بالله في مراقبة دائبة ، يجعل العبد ذكراً لله وسبحان الله ثم الله يذكره اكثر من ذكره « فاذكروني اذكركم » (١٥٢ : ٢) واين ذكر من ذكر ؟ يقول الله تعالى : من ذكره في نفسه ذكرته في نفسي ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه » (٣) .

(١) المصدر اخرج احمد عن ابي هريرة قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فيما يذكر عن ربه تبارك وتعالى : اذكرني ... واخرج احمد عن ابي امامة ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : لان اقمدا اذكر الله واكبره واحمده واسبحه واهله حتى تطلع الشمس احب الي من ان اعتق رقبتين او اكثر من ولد اسماعيل ومن بعد العصر حتى تغرب الشمس احب الي من ان اعتق اربع رقاب من ولد اسماعيل .

(٢) المصدر اخرج احمد ومسلم والترمذي عن ابي هريرة قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) سبق المفردون قالوا وما المفردون يا رسول الله ؟ قال : الذاكرون الله كثيراً

(٣) اخرجه البخاري عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال قال الله : ...

ولئن قلت إن بواعث النسيان كثيرة كموانع الذكر ، فكيف للعبد الضعيف ان يذكر الله كثيراً ؟ فالجواب :

« هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات الى النور وكان بالمؤمنين رحيماً » (٤٣)

فصلوات الله عليكم هي إنزال رحمته وصلوات ملائكته هي استزادة فيها باستنزال رحمته ، رحمتان اثنتان من الله تخلفها المحاولة الدائبة لذكر الله كثيراً ، ف - « الذين اهتدوا زدهم هدى » .

هنالك ظلمات تحول دونك والنور ، ولكنك بحولك في كل احوالك بذكر الله ، وبحول الله وقوته ، سوف تخرج من ظلمات النسيان الى نور الذكر الايمان « ليخرجكم من الظلمات الى النور » : فالنور واحد هو ذكر الله الواحد والظلمات عدة هي ذكر غير الله فنسيان الله ، وليس يخرج المؤمن من الظلمات الى النور إلا بذكر الله كثيراً فصلوات الله عليه وملائكته إذ لا حول ولا قوة إلا بالله !

ومن صلوات الملائكة للذاكرين الله استغفارهم : « والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الأرض .. » (٤٢ : ٥) كما ومنها استنزال رحمت اخرى كرفع درجات : « ان الله وملائكته يصلون على النبي .. » (٥٦) .

نحن نصلي لله والله يصلي علينا وملائكته واين صلاة من صلاة ؟ وقد قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قلت لجبريل (عليه السلام)

هل يصلي ربك ؟ قال : نعم - قلت : وما صلاته ؟ قال : سبوح قدوس
سبقت رحمتي غضبي « (١) .

وقد يجمع هذه الثلاث انعطاف برحمة إنزالاً واستنزالاً وعبودية . فانه
صلة بين هذه الصلوات ! وصلوات الله على عباده درجات أعلاها صلواته
على رسوله ، وأدناها على أدنى المؤمنين وبينهما متوسطات .

فإذ يصلي ربنا علينا فهلا نصلي على عباده الصالحين تخلفاً باخلاق الله
مهما كان خصوصها بخصوص المخلصين (٢) .

« تحيتهم يوم يلقونه سلام واعد لهم اجرا كريماً » (٣)

اتراه سلاماً منهم على الله ؟ ولا سلام على الله على أية حال لأنه هو
بنفسه سلام فلا يحتاج الى سلام من عبده الفقراء الى سلامه ! ام
سلاماً من بعضهم على بعض ؟ وهو سلام المؤمنين في النشاطين دون
اختصاص بـ - « يوم يلقونه » مهما عمّت النشاطين للمخلصين
والمخلصين ، حيث السلام يوم الدنيا يعم المؤمنين كما في يوم الدين !

(١) الدر المنثور ٥ : ٢٠٦ - اخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه من طريق عطاء بن

أبي رباح عن أبي هريرة قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قلت ...

(٢) اذكر انني كنت اصلي على آل محمد لما اصلي على محمد في المسجد الحرام فاعترض

عليّ كيف تضيف الآل ؟ قلت لان الرسول امرنا ان نضيف اليه الآل ، فقيّل لي :

احياناً تصلون على اولاد الآل ، قلت : ان الله يصلي علينا وبعضنا في ادنى مراتب

الايمان ونحن نصلي على الصالحين من آل النبي وولدهم ! قيل لي : فلماذا لا تضيفون

البصحب الى الآل ؟ قلت تاسياً برسول الله اذ اضاف الآل اليه ولم يزد والصلوات

درجات لا تجتمع في درجة واحدة لكن هم درجات ، فلنصل على النبي والآل لانهم في

درجة ثم نصلي على غيرهم من الصالحين كلا على حده !

إنه سلام من الله عليهم ، على من هم ملاقوا الله بالمعرفة القمة ،
وهم السابقون والمقربون وأفضل اصحاب اليمين يوم الدنيا ويوم الدين ،
وبالنسبة لسائر المؤمنين يخص بيوم الدين :

اترى ما هو الفرق بين صلوات الله علينا وسلامه حيث يختص سلامه
بيوم يلقونه وصلواته تعمه ويوم الدنيا ام تخصها ؟

ان سلام الله يوم الدنيا يختص بالمصطفين : « قل الحمد لله وسلام
على عباده الذين اصطفى » (٢٧ : ٥٩) - « وسلام على المرسلين »
(٣٧ : ١٨١) « سلام على نوح في العالمين » (٣٧ : ٧٩) « سلام على
ابراهيم » (١٠٩) « سلام على موسى وهارون » (١٢٠) « سلام على
آل ياسين » (١٣٠) وليحي « وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حياً »
(١٩ : ١٥) وعيسى « والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً »
(٣٣) سلام الله التام على هؤلاء في الاولى كما الاخرى إذ هم ملاقوا
الله فيهما ، ف - « يوم يلقونه » بالنسبة لهم ، ثم من يحذو محذاهم ،
فهؤلاء المذكورون على نحو الخصوص ، وأولاء الأتباع تعميمهم « يوم يلقونه »
على وجه العموم ، ثم من سواهم سلام الله عليهم يوم الاخرى فانه يوم
لقاءهم التام لقاء دوغما اختيار حيث تكشف الغطاء .

فالسلام في الآخرة يعميمهم وكل اصحاب الجنة بعدما سلموا من كل
زين : « تحيتهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجراً كريماً » كما هنا ، ذلك لأن
سلام الله خالصاً من اللآسلام يخص المخلصين أهل السلام ، وأما
الصلوات فلأنها أعم من هكذا سلام كما للرسول وذويه ، ومن سلام
الغفران كما لمن يتأتى منه العصيان ، فهي - اذاً - تعم من يصلح لرحمته يوم
الدنيا ومن جرائها الاخرى وهي اخرى .

وهلاً يلقى الله أهل السلام يوم الدنيا حتى يختص سلامه بـ « يوم يلقونه » في الأخرى ؟

ان لقاءه تقريباً معرفياً بتوفية الجزاء دونما شوب من سلطان سواء ، ذلك لا يتحقق إلا يوم الأخرى ، اللهم إلا لمثل القائل : « لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً » حيث الغطاء الدنيا لا تغطي عليه ربّه فهو ملاقي الله طول الحياة في الاولى والاخرى ، واما الأجر الكريم فهو من مختصات الأخرى : « وأعد لهم أجراً كريماً » .

يا ايها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً (٤٥) وداعياً الى الله باذنه وسراجاً منيراً (٤٦) «

ميزات خمس يحملها هذا النبي العظيم ما لها من سباق^(١) وكل ذلك باذن تكويني من الله وتشريعي ، لولاها لم يسطع تلك الدعوة العالية النافذة ، فهو الداعي الضالين عن الله الى الله ، وهو السراج المنير الذي أسرجه الله لينير الدرب على السالكين الى الله ، وهو الشاهد من الله وعلى عباد الله ، نموذجاً بالغاً من رسالة الله ، وتلقياً أعمال عباد الله ، واللقاء لها يوم لقاء الله ! (٢) إنه ليست الدعوة الى الله فرضاً وهرج مرج ، ابتداءً وابتداعاً او تطوعاً ، فعلة وقالة وحالة من عنده نفسه ، انما هي « باذنه » كرسالته وشهادته وبشيره وإنذاره وإنارته بسراجة !

(١) فسرنا الثلاث الاولى في الفتح ج ٢٦ الفرقان ص ١٦٦ - ١٦٧ فراجع

(٢) وفي الدر المنثور ٥ : ٢٠٦ - اخرج الحاكم وصححه والبيهقي عن العرياض بن سارية سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول : اني عبد الله وخاتم النبيين وأبي منجدل في طينة واخبركم عن ذلك انا دعوه ابي ابراهيم وبشارة عيسى ورؤيا امي التي رأت وكذلك امهات النبيين يرين وان ام رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) رأت حين وضعته نوراً اضاءت لها قصور الشام ثم تلا « يا ايها النبي انا أرسلناك شاهداً ... »

« وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلاً كبيراً » (٤٧) فللمؤمنين البشارة والفضل ، زيادة على ما عملوا ، وعلى سواهم النذارة العدل ، كل كما يستحقه .

« ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع اذاهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلاً » (٤٨)

لا تُطعمهم حتى فيما يعدونك من قبول الايمان فلا خير منهم يُرجى ، وما فيهم ومنهم إلا شر ليس إلا ، « ودّع اذاهم » : اتركهم يؤذونك ما استطاعوا حتى ياتي امرنا ، ولا تؤذهم كما يؤذونك حتى ياتي امرنا^(١) « وتوكل على الله » فيما أمرت وصبرت « وكفى بالله وكيلاً » حيث يكفيك بأسهم ما لا يكفي سواه ، فلا حول ولا قوة إلا بالله !

« يا ايها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل ان يمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها فتمتعوهن وسرحوهن سراحاً جيلاً » (٤٩)

آية وحيدة في سائر القرآن تحمل سلباً لعدة الطلاق عمن طُلق قبل مسّها ثم وايجاب المتعة والسراح الجميل ، تخصص آية البقرة الموجبة لتربص القروء بالطلاق على الإطلاق مسّها والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلاثة قروء» (٢ : ٢٢٨) تخصصها بغير صورة المس .

وترى ماذا يعني هنا المس ؟ أهو مطلق اللبس وإن لم يجامعها كما قد يروى (٢) أم هو - فقط - الوطء قبلاً أو دبراً حيث المس بالنسبة للنساء لم يات

(١) « اذا هم » في الوجهين من اضافة المصدر الى الفاعل او المفعول .

(٢) كما في صحيحة الحلبي عن ابي عبد الله (عليه السلام) قال : سألت عن الرجل يطلق امرأته وقد مس كل شيء منها الا انه لم يجامعها أها عدة ؟ فقال : ابتلي ابو جعفر =

في سائر القرآن إلا بمعنى الوحي ! ^(١) قضية الأدب البارع في وحي القرآن ، ثم المس لغوياً أبلغ من اللمس دلالة على الوطى و « لامستم النساء » الموجبة للجنابة ليست إلا الجماع ! ولئن أريد مطلق اللمس الشامل لغير الوطى لبذلت المس باللمس ! ولئن شك في إيجاب غير الوطى من اللمس تربص القروء فالاصل هنا عدم القروء ، لا سيما وأن آية القروء مذيلة بما يلحق بالوطى : « ولا يحل لمن ان يكتمن ما خلق الله في ارحامهن » اضافة الى تظافر الروايات ان المس هو الوطى فقط دون سائر اللمس .

ثم المس ليس ليختص بوطى القبل بحجة رعاية حكمة الحفاظ على المياه وليس منشأ الولادة إلا في القبل ! حيث العقيمة تتربص بوطيها ، القروء ، كما الولود ، بل يعم الوطى في الدبر ، وعلى الحكمة الجامعة لموارد العدة بالطلاق غاية اللذة الحاصلة بالمس قبلاً او دبراً ، وقضية اطلاق النص في عدم « المس » على أية حال ، اطلاق عدم الوطى على أية حال

ثم ترى هل تخص « إذا نكحتم المؤمنات » احكام الآية بالمؤمنات المنكوحات بالعقد الدائم لمكان « ثم طلقتموهن » ؟ فالعدة اذا ثابتة على

= (عليه السلام) بذلك فقال له ابوه علي بن الحسين (عليه السلام) اذا اغلق وارخى ستراً وجب المهر والعدة ، اقول : « ابتلي ابو جعفر » هو ابتلاء بسؤاله فليكن موضع تقية والا فلا ابتلاء ، ثم « اغلق وارخى ستراً » اعم من المس كما هو اعم من الوطى ، وهاتان امارتان لكون الجواب وارداً مورد التقية ، او ان اغلق وارخى ستراً كناية عن الوطى

(١) « قالت أنى يكون لي غلام ولم يمسنني بشر » (٣ : ٤٧ و ١٩ : ٢٠) ولا يأتي الولد إلا بمس الوطى لا مطلق المس « ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبته من قبل ان يتماسا . فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل ان يتماسا » (٥٨ : ٣ - ٤) « لا جناح عليكم ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن . وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم » (٢ : ٢٣٧) .

المنفصلات بغير طلاق كالمنقطعة التي توهب وقتها او ينتهي ، والامة المحررة ، والدائمة غير المؤمنة ، والمؤمنة الدائمة المنفصلة بغير طلاق ، فسخاً من احد الزوجين بموجبه ، او انفساخاً للعقد بسبب ، كالتى يتزوج زوجها بنتها من غيره قبل ان يدخل بها ، فانها تنفصل عنه بمجرد العقد عليها اذ تصبح اذاً أمّاً لزوجته . أمن هي من اللاتي لسن مؤمنات دائمات مطلقات قبل الدخول ؟

ان قيد « المؤمنات » لا يقيد الحكم بهن ، إذ ليس يعني إلا تلميحاً بان المؤمنين لا ينكحون إلا المؤمنات ، دون المشركات : « ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن » (٢ : ٢٢١) ومهما سمحت آية المائدة نكاحهم بكتايبات « والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب » فانه سماح هامشي على متن النكاح بشروطه ، ثم العدة ليست إلا لحرمة الموت ولا موت هنا ! ام للحفاظ على المياه ، ولا مياه هنا !

ام حرمة لقضاء غاية الشهوة الحاصلة بالدخول ؟ ولم يدخل بها ! واذا لا حرمة لمؤمنة غير مدخول بها في عدة فباحرى غير المؤمنة ألا تعتد ، وآية البقرة مهما عمّت المطلقات في فرض العدة ، ليست لتشمل غير المدخول بها قضية ذيلها ، وعند الشك فالقدر المتيقن هو المدخول بها ، واليائسة المدخول بها خارجة عن هذه الحكمة كما الصغيرة فان وطئ اليائسة ليس في غاية الشهوة ، ام لان فرض العدة بين الموت كعدة تامة ، وبين وطئ فيه امكانية الحمل ، والثاني منفي فيمن لا عدة لها ، ان يائسة موطوءة ، ام غيرها البالغة غير الموطوءة ، وهذه ضابطة صارمة في العدة ، والله اعلم بالحكم في كل عدة وعدة .

ثم وقيد الطلاق وارد مورد النكاح الدائم ، فليس ليقيد الحكم بمورد الطلاق ، او نتوسع في معنى الطلاق انه الفراق عن النكاح أياً كان ولكنها

المنقطعة التي تم وقتها ليست مطلقة على اية حال ، مهما كانت الموهوبة وقتها والمباةة نفسها داخلتين في مطلق الطلاق .

ثم « فما لكم عليهن من عدة تعتدونها » تستأصل أية عدة وان يوماً او ساعة ، ثم وتستأهلها لزواج آخر فور طلاقها ، وتلمح أن عدة المطلقة حقاً لزوجها ، ولكنه مرتبط بحقه لزاماً اذ لا يحق له التسامح عنه ، فهو من الحقوق التي لا تسقط باسقاط صاحبها كحق الزوجية والابوة وامثالها ، لانها حقوق ثابتة مرتبطة بالله وبالمجتمع ، وفي زاوية ثالثة ترتبط باصحابها ، و« يتربصن » في فرض العدة حكم صارم آهي ليس ليسقط باسقاط ، فهو حق يحيط به حكم ، ليس حقاً خالصاً يصلح لإسقاط . فكما الحكم لا يسقط باسقاط كذلك الحق الذي فيه الحكم ، ثم الحق الخالص الشخصي صالح للإسقاط إذا كان صالحاً للإسقاط ، دون الحق الذي له بعد جماعي بصد الشخص فانه لا يسقط باسقاط الشخص . ولان العدة « لكم عليهن » فهي - اذاً - ليست إلا لمصالح الرجل ، بين الحفاظ على صالح النسل مؤكداً او محتملاً ، والحفاظ على حق الرجوع كما في الرجعية ، واما البائنة غير المدخول بها فلا عدة لها ، كما لا عدة للباينة المدخول بها حيث لا ماء لها ولا رجعة اليها ، وعدة الوفات هي للزوج المتوفي حرمة له ، ف- « لكم عليهن » هي في مثلث المصالح للازواج ، ولكنها مصالح تضم حقاً جماعياً لا يقبل الإسقاط .

وحق القول في الحق الثابت بالشرع انه لا يسقط على اية حال إلا بدليل كالحقوق المالية أما هي ، اصلاً اصيلاً صارماً قائماً في الحقوق إلا ما يستثنى ، كما في الاحكام ولكنها لا تستثنى .

وبصيغة اخرى : الحكم لا يسقط أيأ كان ، والحق قد يسقط باسقاط ام دونه وقد لا يسقط ، ولا حق إلا ومعه حكم بضمنه يضمن تحقيقه ،

وهناك احكام لا تضمن حقوقاً بشرية واخرى تضمنها ، فهما - اذاً - متباينان جزئيان عموماً من وجه ، قد يجتمعان وقد يفترقان قضية الملازمة الأصلية ، والا فلا حق الا ومعه حكم فيبينها عموم مطلق .

ثم ترى أنفرض « فمتعوهن » على الأزواج متاعاً زائداً على الفريضة ؟ لانها مطلقة تشمل اللاتي فرضتم لهن فريضة فتؤق زيادة هي المتاع ، وليست الفريضة متعة كما ليس مهر المثل متعة ، وانما هي الزائدة على الفريضة ان فرضت لها ؟ والزائدة على مثل الفريضة ان لم تفرض تحنناً عليها وتعطفاً ؟

أو أن المتاع انما هو لمن لم يفرض لها فريضة اذ قولت في البقرة بمن فرضت لها فريضة : « لا جناح عليكم ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن او تفرضوهن فريضة ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره متاعاً بالمعروف حقاً على المتقين . وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم إلا أن يعفون او يعفو الذي بيده عقدة النكاح . . . » (٢ : ٢٢٧) ؟ ف - « للمطلقات متاع بالمعروف حقاً على المتقين » (٢ : ٢٤١) يعني الفريضة او مثلها ان دخل بها ، او نصف ذلك ان لم يدخل بها .

او ان متاعهن بالمعروف يعني « اجلوهن بما قدرتم عليه من معروف ، فانهن يرجعن بكآبة ووحشة وهم عظيم وشمانة من اعدائهن ، فان الله كريم يستحي ويحب اهل الحياء ، إن أكرمكم أشدكم إكراماً لحلائلهم » (١) وذلك الإجمال المتاع يعم مهر المثل والمسمى وزيادة ان كانت لزام الاجمال

(١) نور الثقلين ٤ : ٢٨٨ ح ١٦٣ في من لا يحضره الفقيه روى عمرو بن شمر عن جابر عن ابي جعفر في قول الله عز وجل « فان طلقتموهن . . . » قال : متعوهن اي اجلوهن .

قدر المستطاع ، ام اجمالاً في دفع الفريضة ، ولا يترك الاحتياط بدفع زيادة على المسمى لصديق المتاع ، وفيما لا يسمى على الموسع قدره وعلى المقر قدره ، واولى من غير المدخول بها هي المدخول بها « وكيف تاخذونه منه وقد افضى بعضكم الى بعض واخذن منكم ميثاقاً غليظاً » (٤ : ٢١) .

ثم السراح الجميل ما لا عضل فيه ولا اذى ولا تعنت ولا رغبة في تعويقهن عن استئناف حياة جديدة ، بل ومساعدة لها على ما تبغي من زواج وتعريفاً بها عند من يريد لها كيلاً تبقى مردولة منكوبة بقالة الناس ! فكما النكاح توحيد للحياتين على حب ، كذلك الطلاق فراق على حب ومتاع ! متاعاً اخلاقياً ومالياً اماذا مما يمتعها ويذهب بكآبتها وتضييقها ، معاملة معها في الفراق كما تعامل في النكاح الوفاق ، ويجب ذلك في كل شركة في معاملة اماذا ؟

هذا هو السراح الجميل بعد الطلاق حيث العادة الجاهلية كانت تعضلهن عن زواج آخر بعد الطلاق « فلا تعضلوهن ان ينكحهن ازواجهن .. » (٢ : ٢٣٢)

﴿ يا ايها النبي انا احللنا لك ازواجك اللاتي آتيت اجورهن وما ملكت يمينك مما افاء الله عليك وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي ان اراد النبي ان يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين قد علمنا ما فرضنا عليهم في ازواجهم وما ملكت ايمانهم لكيلا يكون عليك حرج وكان الله غفوراً رحيماً ﴾ (٥٠) .

هذه واللذان بعدها تحمل احكاماً خاصة بالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في امر زواجه وأزواجه ، لا تعدوا الى الامة ، فانها من احكام الرسالة بمختلف حقوقها ومتطلباتها الرسالية ، فردية او جماعية .

ف - « إنا أحللتنا لك . . . » تحلل له زواجاً وزواجاً لا تُعد ، بنكاح او ملك يمين^(١) ثم حرم عليه الزواج الجديد او التبديل « لا يحل لك النساء من بعد . . . إلا ما ملكت يمينك » ! و « لك » هنا من ادلة اختصاصهن به فلا تحل أزواجه من بعده لغيره : « ولا ان تنكحوا أزواجه من بعده ابداً » ولا ما ملكت يمينه فيشأ وإن لم يظأهن ، فانهن من زوجاته بمجرد ملك اليمين ، كما المعقودة دائماً او منقطعاً ، فتشمل إماءه ما تشمل سائر زوجاته ك - « أزواجه امهاتهم » « ولا ان تنكحوا أزواجه من بعده ابداً » وقد يحل له تحليلهن لغيره قبل ان يظأهن ، حيث الأزواج قد لا تشمل غير الموطوات من الإماء و « ما ملكت يمينك » إنما أحلت له دون نكاح إذا أراد . ولا من « وهبت نفسها للنبي إن أراد النبي ان يستنكحها » مهما طال او قصر تحقيق ارادته ، واما بنات عمه وعماته وبنات خاله وخالاته ، فهن حل لغيره قبل ان ينكحهن ، ف - « لك » فهن ترجيح في زواجهن بالقربة والهجرة ام فرض يخصه مهما نسخ القيد ان بعده ام لم ينسخ حيث « لا يحل لك النساء من بعد » قريبة مهاجرة ام غريبة غير مهاجرة .

وذلك الإحلال مرتبط بتلك النبوة السامية ، زواجاً سياسياً رسالياً تحكم عرى دعوته وكما في حليلة زيد دعيه آمن هي من نساء من مختلف الأقوام ، ومحترج الظروف ومعترك الآراء ، يقصد من خلالها مصاهرة مختلف القبائل ليربط بينهم لنفسه ، تعميقاً لدعوته ، وبسطاً لرسالته ، ودفعاً لمكاييدات منهم ، فلما قضى ما عليه حرمت عليه النساء من بعد حتى

(١) نور الثقلين ٤ : ٢٩٠ ح ١٧٥ في الكافي بسند صحيح عن الحلبي عن ابي عبد الله (عليه السلام) سألته عن قول الله عز وجل : يا ايها النبي . . . قلت : كم احل له من النساء ؟ قال : ما شاء الله من شيء ورواه مثله عن ابي بكر الحضرمي عن ابي جعفر (عليه السلام) .

ان متن او طلقهن كلهن وقوة الجنس بعد بحالها ! « لا تحل لك النساء من بعد » .

تري ذلك الإحلال يخص اللاتي آتى أجورهن ومهورهن ؟ فلا إحلال قبله ؟ والمرأة تُستحل بمجرد العقد عليها حتى وان لم توت مهرها لوقته أم على اية حال ! .

إن أجورهن هي مهورهن المفروضة او امثالها في غير المفروضة ، بالنسبة لمن تزوجت على مهر ، وقد يعني « آتيت » ماضياً ، ضرورة الايتاء حسب القرار ، فان نوى ألا يؤتيها لم تحل له حتى ينوى او يؤتي ، فليس شرط الإحلال إلا أصل الايتاء : « والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب اذا آتيتوهن أجورهن .. » (٥ : ٥) - « ولا جناح عليكم ان تنكحوهن إذا آتيتوهن أجورهن » (٦٠ : ١٠) « فانكحوهن باذن اهلن وآتوهن أجورهن بالمعروف » (٢٥ : ٤) « فما استمتعتم به منهن فاتوهن أجورهن فريضة » (٢٤ : ٤) .

فايتاء الأجر او نصحيته في وقته هو شرط الإحلال في اللاتي يتزوجن باجور ، ومن الراجح الأكيد تقديم أجورهن قبل الدخول بهن حسب المستطاع .

ولان النبي أسوة يقال له « انا احللنا لك ازواجك اللاتي آتيت أجورهن » ولانه كان قد آتاهن أجورهن ، عنواناً مشيراً الى حالة خاصة له (صلى الله عليه وآله وسلم) اليهن ، لا أن ايتاءها هن مسبقاً شرط احلالهن ! كما ويدل عليه سائر من ذكرت من المحللات من « بنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك .. » إذ لسن كلهن كالتي وهبت نفسها للنبي دون اجر ، وقد احلهن له (صلى الله عليه وآله وسلم) دون ذكر أجر فضلاً عن ايتاءه المسبق وقد يعني « آتيت أجورهن » مورد

الإحلال المطلق حيث لا خيرة للزوجة في مطاوعة الجنس بعد الأجر فلها ان تمنع ما لم تأخذ المهر حتى تؤتي ، وليس للزوج حملها على الوطء قبل ايتاءها مهرها ، فتقع التي لم تأخذ مهرها أمام النبي بين محظوري وجوب مطاوعة النبي لانه أولى بالمؤمنين من انفسهم ، وجواز ترك المطاوعة قبل اخذ المهر ؟ ولكي لا يحمل بالنسبة خلاف ما لها من حق ف - « إنا احللنا لك ازواجك اللاتي آتيت اجورهن » ! كما وان استيفاء حق الجنس بعد ايفاء حقها احق واحرى بالنبي واحلى للزوجة ، فهكذا يصبح النبي اسوة !

« اللاتي آتيت اجورهن » هن واحدة من السبع التي أحلت له (صلى الله عليه وآله وسلم) ومن ثم التحريم ، والثانية « وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك » وهن الإماء اللاتي تأسرن دونما حرب ومشقة ، حيث الفىء هو الغنيمة التي لا تلحق فيها مشقة ، ف - « ما أفاء الله عليك » هنا هن الاسيرات الخاصة بالرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) و « ما أفاء الله على رسوله فيما أوجفتيم عليه من خيل ولا ركاب ولكن الله يسلط رسله على من يشاء » (٦)

فهنا إحلال يخص الرسول من « ما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك » لا نصيب لسائر المسلمين فيهن وكما في سائر الفىء ، وبمجرد الملك في الإماء يحلل إلا اذا زوجهن أو اباحهن لغيره .

وعلى « ما أفاء الله عليك » ك - « اللاتي آتيت اجورهن » ليس قيلاً يخص الإحلال بمورده ، فانهما القدر الواقع له من نساءه (صلى الله عليه وآله وسلم) ام لم تحل له سواهن من الإماء اشتراءهن أو تحليلاً له ؟ .

وكذلك الاربع الاخرى في قيدي القرابة والهجرة ، فانهما ليستا من شروط الإحلال ، واختلاف العم والعمت والخال والخالات بالافراد والجمع على إذ لم تكن له إلا بنات من عم أو بنات من خال ، وكانت له

بنات عمات وبنات خالات ، أو إذا كانت لأخرين بنت أو بنات فهن حينئذ كن مزوجات ، وكانت له بنات عمات وبنات خالات .

احلّهن له الله كافضل البنات وأحرهن لزواج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وقد هاجرن معه فاصبحن ذوات الاولوية في بُعدي القرابة والهجرة ، مهما حلت له الغريبات غير القريبات والمهاجرات إن كن مسلمات .

ثم السابعة « وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي ان اراد النبي ان يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين » قريبة كانت او غريبة ، ممن هاجرن معه أم لم يهاجرن ، فانما الشرط هنا الايمان والهوبة ، فاقسمت هذه السبع من حيث الاجر ودونه الى ثلاث ١ - «اللاتي آتيت اجورهن » - ٢ : القريبات الاربع حيث لم يذكر لهن اجرٌ اوتينه ام لا ، والاجر ثابت بعدُ لا مرد له - ٣ - « المواهبية نفسها دون اجر ، وفي حكم الثالثة السابعة » خالصة لك من دون المؤمنين « شرطان : » - ١ - ان وهبت نفسها للنبي « - ٢ - « ان اراد النبي ان يستنكحها » فلولاهما أو أحدهما لعمت الخالصة لسائر من يريدونها .

ثم « ان وهبت نفسها للنبي » تقطع عنه كل ولاية حتى التي لا يهبها ، وتقطع عنها كل راغب اليها ، وتقطع عنها خيرتها ترك الهبة بعدما وهبت نفسها ، اللهم إلا اذا لم يردّها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فلها ولوليها والراغبين فيها الخيار .

وهل ان هذه الهبة تكفي عن صيغة النكاح ، كما كفت اذن الولي والمهر ؟ علّها تكفي لمكان « خالصة لك » ام لا تكفي حيث الخالصة له لا تنافي شروط الاحلال ومن أهمها صيغة النكاح ! ونطاق الهبة إنما هو السماح عن مهرها ، لا السماح عن صيغة النكاح وليس لها هكذا سماح لانه

حكم شرعي ، ولكننا المهر حق لها شخصي ، فلها السماح فيما لها حقاً ، وليس لها فيما عليها او عليها حكماً ، اللهم إلا ولاية وليها إذ أسقطها الله ب - « خالصة لك » .

فتلك الوهبة من امرأة مؤمنة ، واردة الإستكاح من النبي ، هما تجعلانها « خالصة لك من دون المؤمنين » مهما أرادوها وأرادتهم بعد الوهبة والإرادة ، فهي حلٌ له (صلى الله عليه وآله وسلم) ومحرم على غيره (صلى الله عليه وآله وسلم) .

وهل تصح هكذا هبة لغير الرسول ؟ آيات النكاح والطلاق تفرض الفريضة مسماة وسواها كحق ثابت في أي نكاح وقد تزيد متعته ! وآية الخالصة تستخلص له هكذا هبة وهكذا موهوبة فهي إذاً في أبعادها من اختصاصات النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وكما وردت بذلك الروايات المستفيضة ^(١) وقد وهبته (صلى الله عليه وآله وسلم) - فيمن وهبت - نفسها امرأة من الأنصار فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) لها : انصرفي رحمك الله فقد اوجب الله لك الجنة لرغبتك في وفي تعرضك لمحبي وسروري وسيأتيك امري إن شاء الله فانزل الله عز وجل : « وامرأة مؤمنة . . » فاحل الله عز وجل هبة المرأة نفسها لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ولا يحل ذلك لغيره ^(٢) وقد وهبت نساء أنفسهن للنبي

(١) كما في نور الثقلين ٤ : ٢٩١ ح ١٧٧ عن أبي عبد الله (عليه السلام) و ١٧٨ عن أبي جعفر (عليه السلام) و ١٧٩ عن أبي عبد الله و ١٨٠ عن أبي جعفر وكذلك ١٨١ و ١٨٢ و ١٨٣ واللفظ المشترك بينها « لا تحمل الهبة الا لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأما غيره فلا يصلح نكاح إلا بمهر .

(٢) المصدر ٢٩٢ ح ١٨٤ علي بن ابراهيم عن ابيه عن ابن محبوب عن ابن رثاب عن محمد بن قيس عن أبي جعفر (عليه السلام) قال : جاءت امرأة من الانصار الى رسول =

(صلى الله عليه وآله وسلم) فقبل البعض وزوج بعضاً غيره (صلى الله عليه وآله وسلم) ^(١).

= الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فدخلت عليه وهو في منزل حفصة والمرأة متلبسة متمشطة فدخلت على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقالت يا رسول الله : ان المرأة لا تحطب الزوج وانا امرأة ايم لا زوج لي منذ دهر ولا ولد فهل لك من حاجة فان تك فقد وهبت نفسي لك ان قبلتني فقال لها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) خيراً ودعا لها ثم قال (صلى الله عليه وآله وسلم) : يا اخت الانصار جزاكم الله عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) خيراً فقد نصرني رجالكم ورجبت في نسائككم فقالت لها حفصة : ما اقل حياءك واجراءك وانهمك للرجال ؟ فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : كفي عنها يا حفصة فانها خير منك رغب في رسول الله فلتميها وعبيها ثم قال للمرأة : انصرفي . . .

وفي نقل آخر عن علي بن ابراهيم فقالت لها عائشة قبحك الله ما انهمك للرجال فقال لها رسول (صلى الله عليه وآله وسلم) صه يا عائشة فانها رغب في رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) اذ زهدتن فيه . . . وح ١٨٦ في كتاب الخصال عن ابي عبد الله في حديث كانت خولة بنت حكيم السلمى وفي المجمع قيل انها لما وهبت نفسها للنبي قالت عائشة ما بال النساء يبذلن انفسهن بلا مهر فتزلت الآية فقالت عائشة : ما ارى الله تعالى إلا يسارع في هواك فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : وانك ان اطعت الله سارع في هواك وفيه عن علي بن الحسين هي امرأة من بني اسد يقال لها شريك بنت جابر لك به حاجة قال : ما عندك تعطيها ؟ قال : ما عندي الا ازاري ، قال : ان اعطيته ازارك جلست لا ازار لك فالتمس شيئاً قال : ما اجد شيئاً فقال : التمس ولو خاتماً من حديد فلم يجد فقال : هل معك من القرآن شيء ؟ قال نعم سورة كذا وسورة كذا لسور سماها فقال : قد زوجناكها بما معك من القرآن .

(١) الدر المنثور ٥ : ٢٠٩ - اخرج مالك وعبد الرزاق واحمد والبخاري ومسلم وابو داود والترمذي والنسائي وابن المنذر وابن مردويه عن سهل بن سهل الساعدي ان امرأة جاءت الى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فوهبت نفسها له فصمت فقال رجل يا رسول وجنيها ان لم يكن واخرج في الدر المنثور اربع نساء وهبن انفسهن للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) هما ميمونة بنت الحارث وليلى بنت الحطيم .

فقد حملت هذه الآية مربع الاحلال له (صلى الله عليه وآله وسلم) من مختلف النساء دونما حدٍّ إلا ما رآه الله إذ قال : « لا يحل لك النساء من بعد . . » وقد خصه بايتان اجورهن قبل استحلالهن ، وخصت به إماء الفقىء لاختصاص الفقىء به ايأ كان ، واحلت له الاربع للقرابة والهجرة كأن سواهن لا تحل له ، وخصت به التي وهبت نفسها إن اراد استنكاحها ولماذا ؟ اذ « قد علمنا ما فرضنا عليهم في ازواجهم وما ملكت ايمانهم » و « لكيلا يكون عليك حرج وكان الله غفوراً رحيماً » (٥١)

فيكفيهم زواجاً ما فرضنا عليهم في ازواجهم : : « مثنى وثلاث ورباع » « وما ملكت ايمانهم » من اسرى الحرب وما يشترون او يوهب لهم ، فزواجات الامة تنحصر في الحقل العائلي وحظوة لجنس والانسال ، واما زواجات النبي فتزيد عليهم ضرورة النبوة حقولاً اخرى يتوجب عليه فيها المزيد « لكيلا يكون عليك حرج . . » .

فهو الذي يجب عليه كحامل الرسالة أن يتزوج بحليلة دعيه إبطالاً لسنة جاهلية ، ويتوجب عليه التزويج بأراامل الجهاد تشجيعاً للجهاد وترفعاً من شئون الأراامل ، ويتوجب عليه زواجات اخرى من مختلف الأقسام ربطاً بينها ، وتخفيفاً لما كان يتربص عليه من الدوائر ، فلو لا ذلك الإحلال في مختلف المجال لكان عليه حرج :

« ترجي من تشاء منهم وتؤوي اليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك ذلك أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزنن ويرضين بما آتيتهن كلهن والله يعلم ما في قلوبكم وكان الله عليماً حليماً » (٥١)

خيارات له (صلى الله عليه وآله وسلم) في نساءه قبل تزويجهن وبعده ، قبل تطليقهن او بعده ، ف - « « منهم » تعني فيما تعني « امرأة مؤمنة وهبت نفسها للنبي » فله إرجاءها تاخيراً لنكاحها كما فعل في

الأنصارية^(١) ، او تبعيداً لها إنكاحاً لغيره كما في أخرى . ، وله ايوائها عاجلاً او آجلاً باستنكاحها ، ثم التي عزلها فلم يردّها له ابتغاءها بعد عزلها و « ذلك أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزن » أن تؤوي إليك الواهبة نفسها فور هبتها ، او بتبغيها بعد إرجاءها او عزلها .

و « منهن » نساءه بعد زواجهن « ترجى من تشاء منهن » تطليقاً « وتؤوي إليك من تشاء » ابقاءً « ومن ابتغيت ممن عزلت » ابتغاء الرجوع إليها أو نكاحها من جديد « فلا جناح عليك » كساديب لها أولاً ثم غفراناً « ذلك أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزن » .

وإرجاء ثالث تاخيرهن عن قسمهن او تقديمهن ام قسماً سويماً « ومن ابتغيت » قسمها « ممن عزلت » عن قسمها « فلا جناح عليك . . » ولكننا القسم في المضاجعة واجب عليه كما في الأمة ، فيخص سماح ارجاءه فيه في الواقعة .

وهل إن « ذلك أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزن » ويرضين بما آتيتهن كلهن ؟ راجع الى ابتغاء . من عزلها وكلا الإرجاء والإيواء في معانيهما الثلاثة ؟ وليس ارجاء التي وهبت نفسها تركاً لنكاحها قرير عينها ! ولا إرجاء الطلاق ، وتاخير القسم قرير عين لمن أرجئنا ! وإن ذلك ابتاء لما آتاهن كلهن ، وهذه وتلك شلب بعد الايتاء او عدم الايتاء ! .

ام إنه استنكاح التي وهبت نفسها عاجلاً ، ام آجلاً بعد الإرجاء التأخير فانه راجع الى ايواء ، و « من آوى فقد نكح ومن أرجى فلم ينكح »^(١) . . ثم الايواء الإبقاء لمن تزوجها دون طلاق ف- « من آوى فقد

(١) نور الثقلين ٤ : ح ١٩٠ في الكافي بإسناده عن الحلبي عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال قلت أرايت قوله «ترجى من تشاء . . ؟» =

نكح ومن أرجى فقد طلق»^(١) ثم الإيواء الرجوع بعد إرجاء الطلاق ،
 أو تجديد العقد بعد العدة فإنه أيضاً من الإيواء أو أخرى حيث الإيواء
 تلمح باضطراب سابق « ومن ابتغيت من عزلت فلا جناح » مودته
 المنصوص قبل « ذلك » ! ثم الإيواء القسم بعد إرجاءه ، إيوانات ست
 بعد إرجاء أم دونه قد تعنيها « ذلك » ويناسبها « أدنى أن تقر أعينهن ولا
 يحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن » دون إبلاس ولا إياس ، وهو الأنسب
 للمقام أدبيا ومعنوياً ، وقد آواهن كلهن فلم يطلق ولم يرد الواهبة نفسها
 وإن بإنكاحها غيره فتوفي عن التسع اللاتي كن معه ، على ما كان منهن من
 مظاهرة جامعة جامع فنزلت ما نزلت^(٢) ومن تظاهرة عائشة وحفصة
 فنزلت ما نزلت^(٣) تصبراً على كل ذلك حيث إن « ذلك أدنى أن تقر
 أعينهن ولا يحزن ... » !

هنا يؤمر نبي الله أن يقر عيونهن ولا يحزنهن مهما كلف الأمر ، وطبعاً
 ما لم يخالف شرعة الله ورضاه ، تقديماً لهواهن على هواه ورضاهن على
 رضاه ما لم يخالف رضى الله ، وقد بلغ في ذلك مبلغاً ما الله ينهيه :

أقال : ... ورواه في المجمع عن أبي جعفر وأبي عبد الله (عليه السلام) وفي الدر
 المنثور ٥ : ٢١٠ - أخرج ابن مردويه عن سعيد بن المسيب عن خولة بنت الحكم قال
 كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) تزوجها فأرجاها فيمن أرجا من نساءه .

(١) المصدر ٢٩٤ ح ١٩١ القمي في تفسيره قال الصادق (عليه السلام) : ...

(٢) « يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتم ترون الحياة الدنيا وزينتها فتعالين امتنعن
 واسرحكن سراحاً جميلاً » (٣٨) .

(٣) « إن تتوبا إلى الله فقد صنت قلوبكما وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل
 وصالح والملائكة بعد ذلك ظهير عسى ربه أن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منك
 مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات يشات وإبكاراً » .

يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك تبتغي مرضات ازواجك والله غفور رحيم » (٦٦ : ١) تبيناً لما خالفت رضاءهن رضى الله .

« لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن إلا ما ملكت يمينك وكان الله على كل شيء رقيباً » (٥٢)

من قبل لحد الآن أحلت له النساء المسلمات المذكورات وما ملكت يمينه مما أفاء الله عليه وأحل له أن يبدل بهن من أزواج : « ترجي من تشاء منهن وتؤوي اليك من تشاء » إحلال الزواج دون حد ، وإحلال التبديل بهن دون حد ، ومن الآن « لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج . . » فهل يعني من النساء كل النساء ، ومن بعد الآن « لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج . . » فهل يعني النساء كل النساء ، ومن بعد الآن ، فلا يحل له أي زواج جديد ولا التبديل بازواجه من أزواج ؟ فلتكن هذه الآية نازلة بعد فترة من الزمن بإمكانه أن يستنكح فيها التي وهبت له نفسها ، وإن يتزوج من قريباته الأربع ، فصلاً هكذا في نزولها دون وصل ، حيث الوصل بقضي على حكم الاصل !

فلا يحل لك النساء من بعد هذه التسع اللاتي عندك الآن ولا التبديل بهن من أزواج ، اللهم الا طلاقاً دون تبديل ، وقد مات عن هذه التسع لم يزد عليهن ولم ينقص عنهن ولا استبدل بهن !

أوبعني النساء من بعد هذه الاوصاف منذ الإحلال وحتى متى ؟ ولكنه يتطلب اضافة تبين هذا الموقف الخاص لبعد د - « من بعدهن - او - من بعد هذه الصفات » ومن البعيد أن يُعنى من البعد المجرد مقيداً هكذا أو ذاك !

ثم التبديل بهن من أزواج قسم من الزواج الجديد يستأصل أي

زواج مثلهن وسواهن ، وهذه مرحلة ثانية من تحريم الأزواج من بعد ، بعد الأولى المطلقة التي قد يفل منها التبذل ، فليصرح به استئصالاً لأي زواج بعد حتى وإن طلقهن كلهن ويبقى بلا أزواج !

أو يعني النساء المحرمات في آية النساء « حرمت عليكم أمهاتكم . . » ^(١) ولم تذكر هنا من قبل حتى تعنيهن « من بعد » ! ولا أن حرمتهن « لك » كحكم يخصه دون الأمة ! ثم لا معنى صالحاً إذاً لـ « ولا أن تبدل بهن من أزواج » حيث المحرمات في آية النساء لم يكن محلات في أي زمن في نكاح جديد أو استبدال ، والروايات الواردة هنا مما تحير العقول ولا تصلح محولة لـ « لا يحل . . » عن نصها وظاهرها مهما بلغت ما بلغت من كثرة ! ^(٢) كالتفسير « أن تبدل بهن من أزواج » بمبادلة الأزواج فوضى دون زواج ، فإنها كانت سنة جاهلية قضى عليها الإسلام منذ بزوجه بسنة الزواج على شروطه ، فهل كان النبي يبادل هكذا أزواج

مركز تحقيق كتب علوم الدين

(١) نور الثقلين ٤ : ٢٩٤ ح ١٩٣ في الكافي بإسناده عن أبي بكر الحضرمي عن أبي جعفر (عليه السلام) في قول الله عز وجل : « ولا يحل لك من النساء من بعد » فقال (عليه السلام) : إنما عني به لا يحل النساء التي حرم الله عليك في هذه الآية « حرمت عليكم أمهاتكم . . » ولو كان الأمر كما يقولون كان قد أحل لكم ما لم يحل له لأن أحدكم يستبدل كلما أرادوا ولكن الأمر ليس كما يقولون إن الله أحل لنبيه (صل الله عليه وآله وسلم) أن ينكح من النساء ما أراد إلا ما حرم في هذه الآية في سورة النساء .

أقول وروى ما في معناه عن الحلبي عن أبي عبد الله (عليه السلام) وعن أبي بصير عنه (عليه السلام) بنفس الدليل ، ولكنه تعالى قد أحل للأمة ألا يصلوا صلاة الليل ، ولم يحل له تركها إلى غير ذلك من مفارقات في محلات ومحرمات فلا مورد لاستنكاره ، ثم تحويل « من بعد » هنا إلى ما بعد آية النساء كاللغز ولا يقبل على كتاب الله وإن تواترت به الرواية .

قبل التحريم حتى يرد نصه له خاصاً دون المسلمين : « ولا ان تبدل بهن من ازواج » سبحانه اللهم هذا بهتان عظيم !

وترى كيف يعجب الرسول حسن نساء قبل أن يتزوج بهن او ان يراهن وليس ليرى غير ذوات محرم ؟ انها رؤية لارادة التزويج ، محللة قدر الحاجة من معرفة الزوج من جملها ، وبطبيعة الحال يعجبه حسنها ان كانت جميلة ، قضية تميز الجميلة عن القبيحة لكل انسان وله (صلى الله عليه وآله وسلم) اخرى فيما يحل .

فكما لم يكن عدد النساء اللاتي يحل له زواجهن غير محدد ، لسياسة رسالية وحكمة تخصه ، كذلك تحرم عليه النساء من ذلك التحليل الواسع لنفس الحكمة والسياسة ، « إلا ما ملكت يمينك وكان الله على كل شيء رقيباً » .

مركز تحقيق كتاب توير علوم اسلامی

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا

لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ
غَيْرِ نَظَرٍ إِنَّهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ
فَانْشُرُوا وَلَا مُسْتَفْسِدِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ

وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا
 فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ﴿٥٨﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ
 لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ
 جَلْبِيزَةٍ ۚ ذَلِكَ أَذْنِي أَنْ يَعْرِفْنَ فَلََّا يُؤْذِينَ ۚ وَكَانَ اللَّهُ
 غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٥٩﴾ * لَّيْنٌ لَهُ يَنْتَهِيَ الْمُنْفِقُونَ وَالَّذِينَ
 فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِبَنَّكَ بِهِمْ
 ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثَقِفُوا
 أَخَذُوا وَقَتْلُوا تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ
 وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾

تتمة من اختصاصات النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ألا يدخل
 بيته حتى باستئذان «إلا أن يؤذن لكم إلى طعام» رعاية لأوقاته الشريفة أن
 تهذر بلقاءات وزيارات لا تعني عناية جماهيرية لصالح المسلمين وكما عتته آية
 النجوى ، وحفاظاً زائداً على أهل بيته .

يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِيهِ مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِيهِ مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ إِنْ تَبَدُّوا شَيْعًا أَوْ تُخَفُّوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٤﴾ لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءَ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءَ أَخَوَاتِهِنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ وَاتَّقِينَ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿٥٥﴾ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا ﴿٥٧﴾

على الأمة له (صلى الله عليه وآله وسلم) أدب الحضور في الصلاة صلاة عليه وسلاماً ، وواجب التسليم له وكما يأتي في آية الصلاة والتسليم ، وعليهم كذلك له أدب الحضور في الخلإ إلا يؤذوه بالدخول إلا باذنه بدائياً دونما استئذان ، وباطالة الجلوس إذا دُعوا :

« يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا ان يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إياه ولكن إذا دُعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحي منكم والله لا يستحي من الحق وإذا سألتموهن متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً إن ذلكم كان عند الله عظيماً ﴿٥٣﴾ » .

هذه الآية تتضمن آداباً كانت الجاهلية تخالفها ، «دخولاً في البيوت دونما استئذان ولا سيما بيت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إذ كان مهبط الوحي ومنزل الرحمة ، يعتبرونه مأواهم في كل وقت ، ويسوتهم للأكل ، ويطلبون الجلوس والإستئناس لحديث بعد الأكل ، مما كان يؤذي النبي ويستحيي منهم إن صارحهم بنهيه عن بيته ، وعادة العرب احترام واستقبال الضيوف حتى إذا كانوا أعداء ، ولكنما النبي لمكانته من رسالته يختلف عن سائر الناس في كيفية عشرته وصرف أوقاته ، فمنزله الكريمة من ناحية ، وعبه في بلاغه من أخرى ، يتطلبان له فراغاً لتطبيق واجبه الرسالي أكثر ممن سواه ،

ف - « لا تدخلوا بيوت النبي إلا ان يؤذن لكم إلى طعام ، إذن

بدائي دوغما استئذان فانه يتخرج ويستحي اذا استأذن ألا يأذن ! « ان ذلكم كان يؤذي النبي فيستحي منكم والله لا يستحي من الحق » ! وقد تلمح « غير ناظرين اناء » عدم السماح لانتظار وقت الإذن والسماح ، حتى يكون هو الذي يأذن دوغما انتظار ولا استئذان لطعام وسواه .

وترى الإذن يخص اذنه (صلى الله عليه وآله وسلم) - وبطبيعة الحال - فانه صاحب البيت واهله ؟ فلماذا « حتى يؤذن لكم » دون أن « يأذن » ! عله ليشمل موارد الضرورة ، فانها إذن من الله قدر الضرورة ويبقى واجب الاستئذان لاجل النظر وتهيؤ الاستقبال فهنا يجوز الاستئذان فضلاً عن نظرة الإذن ، لا أن يدخل دون صريح الإذن ، فانه محظور في سائر البيوت ولبيت النبي فضله عليها ! وعمل « الى طعام » ليس تخصيصاً بطعام ، فاذا أذن لغير طعام ، لأمرهم أماذا ؟ فلا دخول ! وانما تضييقاً لدائرة الدخول الى بيوت النبي بدءاً بأقله « الطعام » واشارة الى ما فوقه . وقليل من هم الذين يدخلون لحاجة معرفية ، والرسول في متناولهم في اوقات الصلاة الخمسة ،

اللهم إلا لنجوى وقد حددته آيتها - وكانوا « اذا نهض الى بيته بادروه فاخذوا المجلس فلا يعرف بذلك في وجه رسول الله ولا ييسط يده الى طعام مستحيين منهم فعوتبوا في ذلك »^(١) .

تدخلون بيوته باذنه الى طعام ولكن « غير ناظرين اناء » فالنظر الى هو

(١) الدر المنثور ٥ : ٢١٤ - اخرج ابن سعد عن محمد بن كعب قال كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) اذا نهض ...

الإبصار أو التفكير ، وهو متعدياً بنفسه كما هنا الانتظار ^(١) .

والإنسى هو الوقت والساعة والحين ، وهو النضج والإدراك ، فهو إني
أذنه (صلى الله عليه وآله وسلم) وقتاً وهو إني طعامه وقتاً ونضجاً ، فليس
لكم الانتظار لوقت أذنه ، تربصاً أن يأذن لكم إلى طعام وسواه ، إلا أن
يأذن لكم « غير ناظرين إنا » : نضج طعامه أم وقت إطعامه ، ولا لكم
إذا دخلتم بيوته بأذنه لا إلى طعام أن تنظروا « إنا » : إدراك طعامه
ونضجه وقد لا يتهىء لأطعامكم ، ولا لكم إذا دعاكم إلى طعام أن
تدخلوا إلا وقت الطعام ، لا قبله ناظرين إني طعامه وقتاً ونضجاً وإدراكاً
« ولكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا » دخولاً لطعام قدر وقته لا
سابقاً ناظرين إنا « ولا لاحقاً جالسين بعد الطعام » أن ذلكم كان يوذى
النبي فيستحي منكم والله لا يستحي من الحق ^(٢) .

مركز تحقيق كتب أمير علوم اسلامی

(١) « هل ينظرون إلا تأويله » (٧ : ٥٣) « هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من
الغمام والملائكة » (٢ : ٢١٠) « فهل ينظرون إلا سنة الأولين » (٣٥ : ٤٣) « وما
ينظرون إلا صيحة واحدة » (٣٦ : ٤٩) « هل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم » (٤٣ :
٦٦) كل ذلك يعني الانتظار .

(٢) في الدر المنثور ٥ : ٢١٣ عن انس (رضي الله عنه) قال لما تزوج رسول الله (صلى
الله عليه وآله وسلم) زينب بنت جحش دعا القوم فطعموا ثم جلسوا يتحدثون وإذا هو
كانه يتهىء للقيام فلم يقوموا فلما رأى ذلك قام فلما قام منهم من قام وقعد ثلاثة نفر
فجاء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ليدخل فإذا القوم جلوس ثم انهم قاموا
فانطلقت فجئت فاخبرت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) انهم قد انطلقوا فجاء حتى
دخل فذهبت ادخل فالقى الحجاب بيني وبينه فانزل الله « يا ايها الذين آمنوا لا
تدخلوا ... » .

«ولا متسأنسين لحديث» قبل الطعام او بعده ام فيها ليس طعام ،
احديث بينكم انفسكم ؟ فله مجال في غير بيوته ! فلا تتخذوها مقهى او
نادياً تستأنسون فيه بحديث .

او حديث بينكم وبين نساءه فأرذل وأنكى ، فما لكم والإستئناس
بحديث نساءه ؟!

او حديث بينكم وبينه (صلى الله عليه وآله وسلم) ، تحدثونه وهو
يسمع ، او يجيب عما لا يعينكم من سؤال وان ذلكم كان يؤذي النبي
فيستحي منكم والله لا يستحي من الحق « اللهم إلا سؤالاً مفروضاً ام
راجحاً في شريعة الله ، وباحرى حديثاً من رسول الله (صلى الله عليه وآله
وسلم) ام سؤال متاع تحتاجونه من نساءه لكن : «واذا سألتموهن متاعاً
فاسألوهن من وراء حجاب» دونما استئناس لحديث ، ولا سؤال راجح
دون حجاب فوق حجابهن .

فآيات الحجاب للنساء تخص حجاب النساء انفسهن عن الرجال
الاغارب ، وهذه تختص نساء النبي بحجاب فوق الحجاب ، كرامة لبيت
الرسالة وأمومة لنساءه (صلى الله عليه وآله وسلم) فلا يواجهوهن في سؤال
ام غير سؤال إلا من وراء حجاب وستر يفصل بينهم وبينهن .

«ذلكم اطهر لقلوبكم» تجنباً عن جاذبية الجنس وهن
امهاتكم « وقلوبهن» تجنباً عن مواجهة الرجال في غير حاجة راجحة ودون
حجاب ، ففي المواجهات القلبية اتجاهات قلبية ، وهي في الجنس محرمه
ولا سيما بالنسبة لامهات المؤمنين ! .

وترى اذا لم يكن الاستحياء من الحق حقاً لأن الله لا يستحي منه ،
فهل النبي يستحي باطلاً ؟ الحق المستحي منه هنا هو حقه (صلى الله عليه

وآله وسلم) الخاص القابل للسماح عنه على اذى ، وهذا من كرم اخلاقه ، ثم الله يحق حقه بكلماته ويقطع دابر المبطلين ، واما حق الله في عباده وعبادته ، وحق الخلق فيما لهم وعليهم ، فهما من حاق رسالته ، ليس ليشرك شيئاً منهما استحياء ، مهما رجع بالضرر اليه ، وكما في زينب بنت جحش ! كما ولا يحق له ان يستحي عن ضياع حقه في رسالته ، ام في عرضه وماله وسائر نوااميسه الواجبة الحفظ .

وكضابطة عامة لا تستثنى على اية حال «وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله ، باي اذى معتمد» ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابداً » من بعد طلاقه او موته وكلاهما معنيان في «من بعده» اطلاقاً لـ «من بعده» لكلا البعدين في كلا البعدين : الطلاق والموت ، ولأنهما يؤذيان (صلى الله عليه وآله وسلم) على سواء ، فلم يقل بعد طلاقهن او بعد موته ، وانما «من بعده» منذ اصبح زوجاً لهن .

مركز تحقيق كامبوتر علوم إسلامي

فلا يحل لكم نكاح ازواجه «ابداً» في اي وقت وعلى اية حال وبأي نكاح «ان ذلكم كان عند الله عظيماً» مدى عظمة رسول الله ورسالة الله ، فاذا عظم عند الله ! وذنب كبير قد لا يغفره الله !^(١) .

(١) الدر المنثور ٥ : ٢١٤ - اخرج ابن ابي جاتم وابن مردويه عن ابن عباس في قوله «وما كان لكم ..» قال : نزلت في رجل هم ان يتزوج بعض نساء النبي (ص) وعنه قال رجل لئن مات محمد لاتزوجن عائشة فانزل الله الآية ... وعن عبد الرحمن بن زيد بن اسلم قال بلغ النبي (ص) ان رجلاً يقول : ان توفي رسول الله (ص) تزوجت فلانة من بعده فكان ذلك يؤذي النبي (ص) فنزلت واخرج ابن ابي حاتم عن السدي قال : بلغنا ان طلحة بن عبيد الله قال : ايجبنا محمد عن بنات عمنا ويتزوج نساءنا من بعدنا لئن حدث به حدث لتزوجن نساءه من بعده فنزلت ...

﴿إِنْ تَبَدُّوا شَيْئاً أَوْ تَخْفَوْهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً﴾ (٥٤) .

ان تبدوا شيئاً مما يؤذيه من نكاح ازواجه أَمَازَا من ايذاء «فان الله كان» قبل نية الإبداء وبعدها ، قبل الإبداء وبعده «بكل شيء» من هذه وتلك «عليماً» فَعَمَّنْ تخفونه ما تخفونه ؟

ومهما جاز دخول بيوت الأمة باستئذان لطعام وسواه فلا يجوز دخول بيوت النبي «إلا أن يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين إناه ولا مستأنسين لحديث» حيث المتطلبات الرسالية تضيق عليه اوقاته الشريفة فلا يسطع ان يضيفكم او يطيل الجلوس في مجلسكم .

وهكذا تكون السنة فيمن يحذو حذو النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) «إلا أن يؤذن لكم» اذ يجوز دخول سائر البيوت باستئذان ، ولكن بشرط ظاهر الرضا ، واما الأذن عن استحياء ، او الأكل او طول المكوث ، فلا يسمح باي تصرف فانه دون رضى مهمل فقط بساذن ، وعلينا ان نعيش واقعيين ، بعيدين عن عشرة التخجيل والاستحياء ، فلا نستحي في الحق ولا نجعل الناس في استحياء ، فشر الإخوان من تُكَلِّفْ له .

آية السؤال من وراء حجاب هي اولى آيات الحجاب ، ابتداءً بيت النبي كما في روايات ولكن :

﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا أَخَوَاتِهِنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ وَاتَّقِينَ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيداً﴾ (٥٥) .

اترى لماذا هنا يستثنى عن عموم فرض الحجاب - فقط - هؤلاء المذكورون ، ويترك الاعمام والاخوال كأنهم ليسوا من المحارم ؟ ليس هنا

فرض الحجاب الأصل ، والاعمام والاختوال ابعده من سائر المحارم فليظلوا هناك في عموم الحظر .

ام لعل آية النور متأخرة النزول عن آية الأحزاب كما تقتضيه طبيعة التكليف ، فهي تعم الاستثناء بعد اختصاصه .

ثم «نسائهن» هنا «وما ملكت ايمانهن» هن كما في النور ، نساء مؤمنات ، واماء مؤمنات .

﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً﴾ (٥٦) .

آية منقطعة النظير ، تحمل للبشير النذير هدية الصلوات الثلاث برحمات ، من الله إنزالاً ، ومن الملائكة والذين آمنوا استنزالاً ، ثم «وسلموا تسليماً» له مطلقاً دون شرط ، كما الصلاة عليه مطلقة دون شرط ! وابن تذهب صلاتنا والملائكة بعد صلاة الله ؟ فانما يريد الله تشريفنا قرناً لصلاتنا الى صلاته ، لتكون صلات بيننا وبينه (صلى الله عليه وآله وسلم) كما بينه وبين ربه فيرحمنا بهذه الصلاة الصلوات ! .

ومثلت الصلاة هذه عليه في الملاء الأعلى والأدنى تعني أن مقامه ارفع المقامات بين ملاء العالمين من الملائكة والجنة والناس اجمعين .

اجل «هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات الى النور» وابن صلاة من صلاة ، حيث هذه تخرجنا من الظلمات الى النور ولكننا النبي هو نور في حالات وهالات من النور : «قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين» (٥ : ١٥) فالنبي هو النور ومعه الكتاب النور ، ولأن الكتاب متجسد في روحه حيث كان خلق القرآن فهو اذاً نور على نور !

فلا تعني صلوات الله عليه إلا دوام تسديده بعصمة فائقة ، واتمام نوره

معرفة وعملاً وعلماً وكما امره «وقل رب زدني علماً» يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله نوره متم ولو كره الكافرون» (٦١ : ٨) «افمن شرح الله صدره فهو على نور من ربه . . .» (٣٩ : ٢٢).

رحمات الله ليست لها نهايات ، فلتواصل على افضل البريات وغاية الغايات ، وقد تكفيه صلوات الله سلباً لما يتربصه من دوائر السوء ، وإيجاباً لما يليقه من مقامات الخير ، فما هي حاجته الى صلوات ملائكة الله وصلواتنا ، إلا حاجاتهم وحاجتنا ، لهم ترفيعاً لمقاماتهم ، ولنا غفراناً لذنوبنا واستجابة لدعواتنا بشفاعة النبي المختار ، فـ «بالصلاة تنالون الرحمة»^(١) مهما زادت (صلى الله عليه وآله وسلم) رحمة على رحمة - ولكنها لنا عون ونجاح الطلبة : فـ «صل على محمد وآله صلاة دائمة نامية لا انقطاع لأبدها ولا منتهى لأمدّها واجعل ذلك عوناً لي وسبباً لنجاح طلبتي إنك واسع كريم»^(٢) فـ «قد كان في الله وملائكته كفاية ولكن خص المؤمنين بذلك ليشيهم عليه»^(٣)

ومهما ردت دعوات منا حيث لا نأهل اجابة ، لقصوراتنا وتقصيراتنا ، فليست لتُرد صلواتنا على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إذ يأهل ، كما الله يصلي عليه ابتداءً دون دعاءٍ ، وهل يقبل الله دعائنا فيه ثم يرد دعائنا

(١) نور الثقلين ٤ : ٣٠٢ ح ٢٢٤ في كتاب التوحيد من خطب علي (عليه السلام) وفيها : بالشهادتين تدخلون الجنة وبالصلاة تنالون الرحمة فاكثروا من الصلاة على نبيكم وآله ان الله وملائكته يصلون على النبي . . .

(٢) في الصحيفة السجادية في دعائه (عليه السلام) في طلب الخوائج . . .

(٣) الدر المنثور اخرج الاصبهاني في الترغيب والديلمي عن انس (رضي الله عنه) قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : ان انجاكم يوم القيامة من اهلها وموطنها اكثركم على في دار الدنيا صلاة انه قد كان . . .

فينا؟ كلا، يا كريم! ولكن شرط «وسلموا تسليماً» وكما سلم لربه تسليماً، فاستحق تلك المنزلة الرفيعة.

فمن آداب الدعاء وشرائط استجابة الدعاء ان تتوسط الصلاة على النبي وآله وكما نراه في صحيفة الامام السجاد (عليه السلام) : وعن الامام علي (عليه السلام) « ما من دعاء إلا وبينه وبين السماء حجاب الى ان يدعو لمحمد وآل محمد »^(١).

عرفنا الصلاة عليه، فهل التسليم كما الصلاة ايضاً عليه، ان نقول : السلام عليك؟ ام التسليم له، استسلاماً لأمره ومطاوعة لإمرته؟ لا فقط في لفظة القول؟^(٢)

علّه يعنيهما ولا سيما التسليم له وهو الأهم الاثم، «وسلموا تسليماً» لا تحمل لا «له» ولا «عليه» فلتحمل التسليمين معاً، والتسليم له هو الشرط الاصيل للايمان، وشرط اجابة الدعاء، فلو عني التسليم عليه فقط كما الصلاة لقال «صلوا وسلموا عليه تسليماً»!

ومن التسليم له ان نصلي عليه كما امر : «اللهم صل على محمد وآل محمد...» لا الصلاة البتراء كما نهى : لا تصلوا علي الصلاة البتراء : اللهم صل على محمد! ولقد تواترت الرواية عنه (صلى الله على محمد وآله محمد) ما لا تحصى بزيادة الآل، والاكثرية الساحقة من المسلمين تعودوا ان يصلوا عليه الصلاة البتراء، ام إذا زادوا الآل ردفوا بهم ازواج النبي

(١) الديلمي في كتاب الفردوس رواه بسنده عنه (عليه السلام) ورواه مثله السمعاني في مناقب الصحابة بسنده عن الحارث وعاصم بن حمزة (عليه السلام)

(٢) نور الثقلين ٤ : ٣٠٥ ح ٢٣٥ في محاسن البرقي عن محمد بن سنان عن ذكره عن ابي عبد الله (عليه السلام) في الآية : اثنوا عليه وسلموا له .

وأصحابه ، فهم بين نقيصة براء وزيادة براء والله منهما والرسول براء !

لقد اخرج الحفاظ والمصنفون والمحدثون والمفسرون ما يصعب احصائه^(١) عن عدد من الصحابة كالامام علي (عليه السلام)^(٢) وابن

(١) وعن اورده محمد بن ادريس الشافعي في مسنده والبخاري في صحيحه باب كيف نصلي عليه وكذا في تاريخه الكبير ج ١٢ القسم الاول ص ٣٥١ والحاكم في مستدركه ٣ : ١٤٨ وفي معرفة علوم الحديث ص ٣٢ وابو نعيم الاصفهاني في اخبار اصفهان ١ : ١٣١ ويوسف بن عبد البر الاندلسي في تجريد التمهيد ص ١٨٥ والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ٦ : ٢١٦ والواحدي النيسابوري في اسباب النزول ص ٢٧١ والبغوي في معالم التنزيل والتعلي في تفسيره والحموي في فرائده وابو نعيم في الحلية والديلمي في الفردوس والسماعي في مناقب الصحابة وابن العربي الاندلسي في احكام القرآن ١ : ١٨٤ والرازي في تفسيره الكبير ٢٥ : ٢٢٦ والذهبي في تلخيص المستدرك والقرطبي في تفسيره ١٤ : ٢٣٣ - ٢٣٤ ومحب الدين الطبري في ذخائر العقبى ص ١٩ وعبي الدين يحيى بن شرف النووي في رياض الصالحين ص ٤٥٥ والطبري في تفسيره ٢٢ : ٢٧ وابن كثير في تفسيره وابو حيان الاندلسي في البحر المحيط ٧ : ٢٤٨ والدشتكي الشيرازي الهروي في روضة الاحباب في باب الصلاة على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ومحمد بن ادريس الهندي الكاظمي في التعليق الصحيح في شرح المصاييح ١ : ٤٠١ والمحدث السيد ابراهيم نقيب مصر في البيان والتعريف ٣ : ١٣٤ والغازي في تفسيره ٥ : ٣٢٦ وجلال الدين السيوطي الشافعي في بغية الدعاة ص ٤٤٢ وفي الدر المنثور حيث نقلنا الإخراجات عدد المروى عنه عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والهيتمي في الصواعق المحرقة ص ١٤٤ والمولى محمد بن بزر علي افندي البركوتي في الأربعين حديثاً ص ٢٦٤ والمير محمد صالح الكشفي الترمذي في مناقب مرتضوي ص ٤٥ والشوكاني في فتح الغدير ٤ : ٢٩٣ والالوسي في روح المعاني ٢٢ : ٧٣ وابو بكر العلوي الحضرمي في رشفة الصادي ص ٣٤ و ٢٩ والجاوي في القول الفصل ٣ : ٣٧٢ (ملحقات احقاق الحق ٣ : ٢٥٢ - ٢٧١) .

(٢) اخرجه عنه ابن ابي شيبة واحمد وعبد بن حميد والنسائي وابن ماجة وابن مردويه .

عباس^(١) وأبي سعيد الخدري^(٢) وأبي طالب^(٣) وابن أبي مسعود^(٤) وأنس بن مالك^(٥) وكعب بن عجرة^(٦) وطلحة^(٧) وعبد الله بن طلحة^(٨) وإبراهيم^(٩) وأبي هريرة^(١٠) وبشير بن سعد^(١١) وأبي مسعود الانصاري^(١٢)

(١) أخرجه عنه ابن جرير عن يونس بن خباب قال خطبنا بفارس فقال : ان الله وملائكته الآية قال : أنبأني من سمع ابن عباس يقول هكذا أنزل فقالوا يا رسول الله قد علمنا الصلاة السلام عليك فكيف الصلاة فقال قولوا : ...

(٢) أخرجه عنه عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن ماجه وابن مردويه .

(٣) أخرجه عنه ابن مردويه .

(٤) أخرجه عنه - فيمن أخرجه - ابن جرير .

(٥) ممن أخرجه عنه ابن جرير وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن أبي حاتم وابن مردويه عن كعب بن عجرة قال لما نزلت ان الله وملائكته ... قلنا يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قد علمنا السلام عليك فكيف الصلاة عليك ؟ قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم انك حميد مجيد وبارك وأخرج مثله عنه عبد الرزاق وابن شيبه وأحمد والبخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه .

(٦) أخرجه عنه ابن أبي شيبه وعبد بن حميد والنسائي وابن أبي عاصم والهيثم بن كليب الشاشي وابن مردويه وابن جرير .

(٧) أخرجه عنه أبو داود وابن مردويه والبيهقي في سننه وعبد بن حميد والنسائي والبخاري في الادب المفرد .

(٨) أخرجه عنه ابن سعد وأحمد والنسائي وابن مردويه .

(٩) أخرجه عنه ابن جرير .

(١٠) أخرجه عنه فيمن أخرج ابن جرير عن عبد الرحمن بن كثير عنه ومثله مالك وعبد الرزاق وابن أبي شيبه وعبد بن حميد وأبو داود والترمذي والنسائي وابن مردويه وابن خزيمة والحاكم وصححه والبيهقي في سننه .

(١١) أخرجه عنه أحمد وعبد بن حميد وابن مردويه .

(١٢) أخرجه عنه مالك وأحمد وعبد بن حميد والبخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وابن =

وابي حمية الساعدي^(١) وام سلمة^(٢) وائمة اهل البيت (عليه السلام) كافة عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قوله : «تقولون : اللهم صل على محمد وآل محمد كما صليت على ابراهيم وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على ابراهيم وآل ابراهيم ثم تسلمون علي» وقد تختلف فيها صيغة النقل مع الحفاظ على الأصل : ان الصلاة على آل محمد لزما الصلاة عليه (صلى الله عليه وآله وسلم) .

وقد يلمح وصف الخطاب «يا ايها الذين آمنوا» ان الصلاة عليه والتسليم له من لوازم الايمان ، اجل وكما الصلاة لله مهما اختلفت صلاة عن صلاة اختلاف الأحد عن احمد ! .

ان التسليم له (صلى الله عليه وآله وسلم) مما يجب ان يعيشه المؤمن في حياته الايمانية ، ثم الصلاة عليه وآله من واجبات التشهد ، والتسليم عليه من سنن السلام المندوبة ، فلولاً الصلاة عليه فلا صلاة ، مهما كان التسليم عليه ندباً دون فرض .

وهل تجب الصلاة عليه دائماً دونما انقطاع؟ وهو حرج قاص على كافة الواجبات اللفظية حتى الصلاة ! وكيف تربوا الصلاة عليه الصلاة لله ! فلتكن لاكثر تقدير مع كل صلاة ! ام وكلما ذكر كما في متظافر

= ماجة وابن مردويه .

(١) اخرجه عنه مالك واحمد وعبد بن حميد والبخاري ومسلم وابو داود والنسائي وابن

ماجة وابن مردويه .

(٢) محمد بن ادريس الشافعي في مسنده اخبرنا ابراهيم بن محمد اخبرنا صفوان بن

سليم عن ابي سلمة بن عبد الرحمن عن ابي هريرة انه قال : يا رسول الله (صلى الله

عليه وآله وسلم) كيف نصلي عليك؟ فقال : تقولون ...

الروايات^(١) وكلما تدعوا استجابة لدعائك^(٢) وكلما تذكر ربك^(٣) فلتعش

(١) المصدر اخرج الطبراني وابن مردويه وابن النجار عن الحسن بن علي رضي الله عنه قال: قالوا يا رسول الله أرأيت قول الله: إن الله وملائكته يصلون على النبي؟ قال: إن هذا لمن المكتوم ولولا انكم سألتُموني عنه ما أخبرتكم أن الله وكل بي ملكين لا أذكر عند عبد مسلم فيصلي علي إلا قال ذاك الملكان غفر الله لك وقال الله وملائكته جواباً لدينك الملكين آمين ولا أذكر عند عبد مسلم فلا يصلي علي إلا قال ذلك الملكان لا غفر الله لك وقال الله وملائكته لدينك الملكين آمين « أقول: آمين من الله أخبر عن الاستجابة لدعائها وفيه اخرج احمد والترمذي عن الحسين بن علي (ع) أن رسول الله (ص) قال: البخيل من ذكرت عنده فلم يصل علي واخرج ابن ماجه عن ابن عباس والبيهقي في الشعب عن أبي هريرة قال قال رسول الله (ص) من نسي الصلاة علي أخطأ طريق الجنة أقول: يعني به التناسي والتساهل .

واخرج البيهقي في الشعب عن انس (رض) قال قال رسول الله (ص) اتاني جبرئيل فقال: رغم انف امرئ ذكرت عنده فلم يصل عليك واخرج القاضي اسماعيل عن الحسن (رض) قال قال رسول الله (ص) كفى به شحاً أن يذكرني قوم فلا يصلون علي .

وفي نور الثقلين ٤ : ٣٠٢ ح ٢٢٠ في من لا يحضره الفقيه روى زرارة عن أبي جعفر (ع) أنه قال: وصل على النبي (ص) كلما ذكرته أو ذكره ذاكر عندك في اذان أو غيره .

(٢) المصدر اخرج عبد الرزاق عن ابن عينية قال اخبرني يعقوب بن زيد التيمي قال قال رسول الله (صل الله عليه وآله وسلم) اتاني آت من ربي فقال: لا يصلي عليك عبد الا صلى الله عليه عشراً فقال رجل يا رسول الله (صل الله عليه وآله وسلم)! ألا اجعل نصف دعائي لك؟ قال: ان شئت قال: الا اجعل كل دعائي لك؟ قال (صل الله عليه وآله وسلم): اذن يكفيك الله هم الدنيا والآخرة .

(٣) المصدر اخرج الترمذي وحسنه عن أبي هريرة عن النبي (صل الله عليه وآله وسلم) =

ذكر الله «اذكروا الله ذكراً كثيراً» وتعيش على ضوئه الصلاة على رسول الله^(١) وكما ندرس ذلك القرن الدائب من الشهادتين !

انما الواجب من الصلاة عليه ما في تشهد الصلاة ، ويليه على أشرف الواجب كلما ذكر ، ثم وسائر الصلاة عليه سنة ، فصلوات الله عليه وعلى آله ما طلعت الشمس وغربت^(٢) وواجب التسليم له (صلى الله عليه وآله وسلم) يشمل كل حياة التكليف في حياته (صلى الله عليه وآله وسلم) وبعد مماته (صلى الله عليه وآله وسلم) وكذلك سنة التسليم عليه فانه

= (وسلم) قال : ما جلس قوم مجلساً لم يذكروا الله فيه ولم يصلوا على نبيهم الا كان عليهم ترة فان شاء عذبهم وان شاء غفر لهم وفيه اخرج البيهقي في شعب الايمان عن جابر (رضي الله عنه) قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ما اجتمع قوم ثم تفرقوا عن غير ذكر الله وصلاة على النبي الا قاموا عن انتن جيفة .

(١) المصدر اخرج الترمذي وحسنه وابن حبان عن ابن مسعود (رضي الله عنه) ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : اول الناس بي يوم القيامة اكثرهم علي صلاة .

(٢) نور الثقلين ٤ : ٣٠١ في عيون الاخبار باب ما كتبه الرضا (عليه السلام) للمؤمنين عن محض الاسلام وشرائع الدين «والصلاة على النبي واجبة في كل موطن وعند العطاس والذبائح وغير ذلك وفي الحصال عن الاعمش عن جعفر بن محمد (عليه السلام) قال : هذه شرائع الدين - الى ان قال : - واصلاة على النبي واجبة في كل الموطن وعند العطاس والرياح وغير ذلك اقول عليه يعني من واجبة ثابتة مهما اختلفت الثبوتات فرضاً وندباً ، وفي ثواب الاعمال عن ابي المعز قال سمعت ابا الحسن (ع) يقول : من قال في دبر صلاة الصبح وصلاة المغرب قبل ان يثني رجله او يكلم احداً «ان الله وملائكته يصلون على النبي يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً اللهم صل على محمد وذريته قضى الله له مائة حاجة سبعين في الدنيا وثلاثين في الآخرة قال قلت ما معنى صلاة الله وصلاة ملائكته وصلاة المؤمن ؟ قال : صلاة الله رحمة من الله وصلاة =

المجيب ميتاً كما يجيب حياً^(١) ثم الصلاة عليه في صلاة وسواها فإنه يسمع سلامنا وصلاتنا دون أن تهذب بلا جواب وصواب أو ثواب^(٢) .

ولأن الصلاة عليه أحسن هدية إليه وهو أحق من يُهدى إليه فقولوا :
«اللهم اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين وإمام المتقين
وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك إمام الخير وقائد الخير ورسول الرحمة ،
اللهم ابعثه مقاماً محموداً يغبطه به الأولون والآخرين ، اللهم صل على
محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم انك حميد
مجيد»^(٣) وكما قال (صلى الله عليه وآله وسلم) اللهم صل على محمد وإبلاغه
درجة الوسيلة من الجنة اللهم اجعل في المصطفين محبته ، وفي المقربين
مودته ، وفي عليين ذكره وداره ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته اللهم
صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم

الملائكة تزكية منهم له وصلاة المؤمنين دعاء منهم له .

(١) المصدر أخرجه البيهقي في الشعب والخطيب وابن عساكر عن أبي هريرة قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : من صلى علي عند قبوري سمعته ومن صلى علي نائياً كفي أمر دنياه وآخرته وكنت له شهيداً وشفيعاً يوم القيامة وعنه قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : أكثروا الصلاة علي يوم الجمعة فإنها معروضة علي .

(٢) المصدر أخرجه البيهقي في شعب الإيمان وابن عساكر وابن المنذر في تاريخه عن أنس بن مالك (رض) قال قال رسول الله (ص) : إن أقربكم مني يوم القيامة في كل موطن أكثركم علي صلاة في الدنيا من صلى علي يوم الجمعة وليلة الجمعة مائة مرة قضى الله له مائة حاجة سبعين من حوائج الآخرة وثلاثين من حوائج الدنيا ثم يوكل الله بذلك ملكاً يدخله في قبوري كما يدخل عليكم الهدايا فنجبرني بمن صلى علي باسمه ونسبه إلى عشرة فائتته عندي في صحيفة بيضاء .

(٣) الدر المنثور ٥ : ٢١٩ - أخرجه عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن ماجه وابن مردويه عن ابن مسعود قال : إذا صليتم على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فاحسنوا الصلاة عليه فانكم لا تدرؤن لعل ذلك يعرض عليه قالوا : فعلمنا قال : قولوا ...

انك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد^(١).

وأخصر صلاة عليه «اللهم صل على محمد وآله» يكتفى بها حال الدعاء كما في الصحيفة السجادية ، ثم «وآل محمد» كلما ذكر ، ثم احسنوا الصلاة عليه حسب المستطاع في سائر الحالات والمجالات وكما في صلاة الجمعة والميت .

ومن اللامحات اللاحقة في هذه الآية فرض الصلاة على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لما مات ، وكما صلى عليه اهل المدينة واهل العوالي^(٢) فصلوات الله عليه حياً وصلوات الله عليه حين مات وصلوات الله عليه مدى الدهر ، كما ومن التسليم له التسليم لمن وصاه بأمر الله^(٣) .

(١) المصدر اخرج ابن مردويه عن ابن مسعود قال قلنا يارسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ! قد عرفنا كيف السلام عليك فكيف نصلي عليك قال : ...

(٢) نور الثقلين ٤ : ٣٠٣ ح ٢٢٨ في اصول الكافي عن ابي مريم الانصاري عن ابي جعفر (عليه السلام) قال قلت له كيف كانت الصلاة على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ؟ قال : لما غسله امير المؤمنين (عليه السلام) وكفنه وسجاه ثم ادخل عليه عشرة فداروا حوله ثم وقف امير المؤمنين (عليه السلام) في وسطهم وقال : « ان الله وملائكته .. » فيقوم القوم كما يقول حتى صلى عليه اهل المدينة واهل العوالي وفيه عن جابر عن ابي جعفر (عليه السلام) قال : لما قبض النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) صلت عليه الملائكة والمهاجرون والانصار فوجاً فوجاً قال وقال امير المؤمنين (عليه السلام) سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول في صحته وسلامته : انما نزلت هذه الآية علي بعد قبض الله لي «ان الله وملائكته .. » اقول : يعني انها تعني فيما تعني الصلاة علي بعد موتي .

(٣) المصدر ٣٠٥ : ٢٣٤ في كتاب الاحتجاج عن امير المؤمنين (عليه السلام) فاما ما علمه الجاهل والعالم من فضل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من كتاب الله فهو قول الله سبحانه « ان الله وملائكته .. » وهذه الآية ظاهر وباطن ، فالظاهر قوله « صلوا عليه » والباطن قوله « وسلموا تسليماً » اي سلموا لمن وصاه واستخلفه عليكم فضله وما عهد به اليه تسليماً وهذا مما اخبرتك انه لا يعلم تأويله الا من لطف حسه وصفى ذهنه وصح تمييزه .

﴿ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة واعد لهم عذاباً مهيناً﴾ (٥٧).

ايذاء الله ورسوله لا تحمله إلا هذه الآية ، وقرن الرسول في ايذاءه بالله مما يؤذون ان في ايذاء الرسول ايذاء الله ، فانه يحمل رسالة الله ، فايذاءه كرسول ايذاء للمرسل ، واين ايذاء من ايذاء ؟

الذين يؤذون رسول الله ينالون منه ويظلمونه ، انتقاصاً من ساحته وتكديراً لقلبه ، وتكويراً لنوره ، فهو يتغير بما يغيرون ويتأثر بما يتقولون ويفتعلون : «ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو اذن قل اذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ورحمة للذين آمنوا منكم والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم» (٩ : ٦١).

ف « يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيهاً » (٣٣ : ٦٩) مركز تحقيق كتاب توير علوم إسلامي

اترى الوقعة في اهل بيت الرسول (عليهم افضل الصلوات) وشكمتهم لا تؤذيه ؟

او ان سن السباب على اخيه وخليقته علي امير المؤمنين (عليه السلام) لا يؤذيه ؟

ام ان تحريض المؤمنين في حرب الجمل من صاحبة الجمل لا يؤذيه ؟

سلوا خال المؤمنين وامهم آمن هم من هؤلاء الذين نكلوا بأفلاذ كبده وركلوهم ، هل ان هذه تُفرحه ام تؤذيه ف «لعنهم الله في الدنيا والآخرة واعد لهم عذاباً مهيناً» !

ثم الله ليس ليتأذى كخلقه سواء ، اذ لا يتغير بانغيار المخلوقين ، فايذاءه أماذا من هذه المتشابهات يجرّد عما للخلق من تأثر وتغير ، ويستخلص كما يناسب ساحة الربوبية في تحرير خلّو عن اي تعيير ، فكما ان

غضب الله عذابه ، كذلك ايذاءه من موجبات عذابه .

وما اشنعة وأبشعه وهم يحاولون اذى ربهم وما هم ببالغيه ولو بشق الانفس ، وانما ذلك تعبير يصور حساسية مرهفة بايذاء الرسول ، وكأنما هو ايذاء الله ، كما وإجاعة المؤمن كأنها إجاعة الله ، أماذا من تعابير تصور فضاضة الفعل وهزازته في ميزان الله ، وكأنها واصلة الى الله ! ثم ومن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) يستطرد الى المؤمنين :

«والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً» (٥٨) .

قد يكتسب المؤمن ذنباً بحق الله او الخلق فيؤذى حداً او تعزيراً كما حدد في شرعة الله ، او يعتدى عليه كما اعتدى ، وأما أذاهم بغير ما اكتسبوا في براءة متأكدة ، ام جريمة غير ثابتة فإنها احتمال لحملين اثنين .

١ - «فقد احتملوا بهتاناً» حيث الأذى من مؤمن الى مؤمن تنادي في ظاهر الحال انه اكتسب إثماً به يؤذى ، فرية عملية وبهتة فعلية .

٢ - «وإثماً مبيناً» في اصل الإيذاء شكيمة له وتحسباً منه ، قد يخلف ما لا تُحمد عقباه ، وهكذا تكون الأذى قولياً بقالة السوء عنهم ، وإشاعة التهم ضدهم ، ثم ويلاه الجمع بين قالة وفعله مؤذية ، وكما افتعلوها باهل بيت الرسالة القدسية ومن نحى نحوهم من الكتلة الايمانية^(١) .

(١) نور الثقلين ٤ : ٣٠٦ ح ٢٤١ عن الفضل بن عمر قال قال ابو عبدالله (عليه السلام) اذا كان يوم القيامة نادى مناد اين الصدود لاوليائي فيقوم قوم ليس على =

قضية الايمان هي الرحمة الى اهله ، وقضية اللأ ايمان الشرس ايذاء الله ، وبينهما عوان لا رحمة ولا اذى هو من ضعفاء الايمان ، غير الملتزمين بقضايا الايمان ولزاماته .

﴿يا ايها النبي قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيهن ذلك ادنى ان يعرفن فلا يودين وكان الله غفوراً رحيماً﴾ (٥٩) .

كما تحرم اذى المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا ، كذلك يحرم التعرض للأذى بتهيئة اسبابها ، وذلك في بُعديه بالنسبة للمؤمنات اشد وانكى ، فعلى نساء المؤمنين إماء وحرائر^(١) ما دمن مؤمنات ان يدنين عليهن من جلابيهن : الملابس الشاملة قرن ذيل ، فلا يرسلنها مبسوطة تُرى زينهن من خلالها ، فهنالك حجاب لرئوسهن هي الخُمُر : «وليضربن بخمرهن على جيوبهن» سترأ للصدر والشدي الثغور ، وهنا حجاب لسائر ابدانهن هي الجلابيب : «يدنين عليهن من جلابيهن» وكما الباء في «بخمرهن» تلمح بتبعض الحجاب في رئوسهن فلا يشمل وجوههن ، كذلك «من» في «من جلابيهن» والوجوه هي اقل تقدير من الخارج عن فرض حجابهن ، ثم اليدان والرجلان وكما في متظافر الأحاديث .

= وجوههم لحم فيقال : هؤلاء الذين آذوا المؤمنين ونصبوا لهم وعاندوهم وعنفوهم في دينهم ثم يؤمر بهم الى جهنم و ٢٤٢ في الخصال عن ابي جعفر (عليه السلام) قال : الناس رجلان مؤمن وجاهل فلا تؤذي المؤمن ولا تجهل على الجاهل فتكون مثله والقمي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : من بهت مؤمناً او مؤمنة اقيم في طينة خبال او يخرج مما قال .

(١) هنا روايات وردت في الدر المنثور ان هذا الفرض يخص الحرائر ، فهل ان الاماء المؤمنات لابس في ابدانهن والتعرض للإيذاء ؟ هذه خرافة طبقية قومية تجنب عنها ساحة الاسلام .

«ذلك» الإدناء دون ارسال ، «أدنى ان يُعرفن» بالعفاف «فلا يؤذین» فالمرأة المكشوفة ، المسترسلة المتذلة تؤذى زعم انها من اهل التونس ، فلتظهر العفيفة بمظاهر العفاف كيلا تؤذى ، زعم الباطل بحقها .

إن أذى القالة فيهن ومن ثم متابعتهن الى الفعلة فيهن من قبل الفساق واضرابهم ، هي من مخلفات عدم حجابهن كما يجب ، إذ لا يُعرفن بالعفاف حيث لا ظاهرة له ، فكما يفرض عليهن عفاف الباطن كيلا ينجذبن بجواذب من سراق الجنس ، كذلك عليهن آياته الظاهرة من حجاب وسائر الملامح كيلا ينجذب فيهن عدم العفاف .

فاذا تحجبت بكاملها ولكنها تغنّت وأبرزت حركات وقولات تدل على سخافتها فقد عُرفت بعدم العفاف ، فلم ينفعها الحجاب - اذاً - إلا هزة بكل حجاب ، وهي اشر من لا تحتجب وليست عليها ملامح عدم العفاف إلا عدم الحجاب ، وخير منها غير المحتجبة التي تلمح بعفافها قولة وفعلة وفي حركات وتصرفات ، ولكنها الواجب على المؤمنة الجمع بين العفافين منعاً لإثارة الجنس واستثارته ، فمهما عُرفت بالعفاف فلا يؤذيها الفساق ، ففي تبرُّجها او عدم الحجاب تأذي المؤمنين وتبذل المؤمنات !

وقد يبدو من ملامح آية الجلابيب - وكما تؤيده الروايات - انها اولى آيات الحجاب ، حيث تكتفي بـ «أدنى» ان يعرفن فلا يؤذین «كحكمة اولى هي اقوى الحکم لفرض الحجاب ، ومن ثم آية النور «قل للمؤمنين يغضوا ... وليضربن بخمرهن على جيوبهن ... ولا يضربن بارجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن ...» تفرض حجاباً فوق الحجاب ، وبصورة مطلقة تحلّق على «ان يعرفن» او لا يعرفن ، او ذین ام لا يؤذین ، حيث الحجاب الإسلامي على النساء تتبناه حکم عدة اولاهها واولاهها «ان يعرفن فلا يؤذین» .

﴿ لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلاً ﴾ (٦٠).

تهديد شديد يعم المنافقين والذين في قلوبهم مرض ، منهم كأنحسهم ومن سواهم من المشركين أم ضعفاء الإيمان المستغلين ، كذلك والمرجفون في المدينة أية رجفة ضد الطمأنينة الإسلامية .

لئن لم ينتهوا « لنغرينك بهم » : نحرصنك عليهم « ثم لا يجاورونك » فيها بعد ذلك التحريض « إلا قليلاً » من الوقت ، أو قليلاً منهم هم أقل إرجافاً وإرهاقاً ، ومن ذلك التحريض الحكم الصارم :

﴿ ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلاً ﴾ (٦١).

« ملعونين » في حساب الله إذ لعنهم الله و« ملعونين » بين المؤمنين بالله إذ عليهم طردتهم وعزلهم عن جو الإيمان كيلا يكذروه ويقذروه .

« ملعونين أينما ثقفوا » و« أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلاً » فأخر الدواء الكي حين لا يكفي طردهم بأسهم .

﴿ سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً ﴾ (٦٢).

سنة دائمة إلهية « في الذين خلوا من قبل » مؤمنين وسواهم ، طرداً وقتلاً للمرجفين ضد الرسل والرسالات الإلهية ، وواجباً جماهيرياً للكتلة المؤمنة أن يطهروا الأجواء حسب المستطاع من المرجفين « ولن تجد لسنة الله تبديلاً » .

وليست التقية في ظروفها تبديلاً لهذه السنة السنية ، حيث التكليف مرفوع عندها ، وإنما تطبق هذه السنة عند الإستطاعة حسب المستطاع .

يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ

السَّاعَةِ ^ط قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ ^ع وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ
تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾ إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ
سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ^ط لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا
نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تَقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يٰلَيْتَنَّا
أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا
سَادَتَنَا وَكِبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَ ^ط رَبَّنَا آتِهِمْ
ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَهُمُ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٧﴾ يٰأَيُّهَا
الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَاذُوا مُوسَىٰ فَهَرَّاهُ اللَّهُ
مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٨﴾ يٰأَيُّهَا الَّذِينَ
ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٦٩﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ
أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ^ط وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ

فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٦١﴾ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ
مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٦٢﴾
لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ
وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ
وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٦٣﴾

مركز تحقيق كالمبيوتر علوم إسلامي

﴿ يسألك الناس عن الساعة قل إنما علمها عند الله وما يدريك لعل
الساعة تكون قريباً ﴾ (٦٣).

سؤال عن وقت الساعة تعنتاً لها ونكراناً ، كانها حين لا جواب عنه فلا
حقيقة لها ، والجواب الحاسم « قل إنما علمها عند الله » ولا جواب سواه إلا
ترجي قريبها « عسى ان تكون قريباً » عل البداية هي خلق هذا الانسان
حيث السائلون هم من هذا النسل فلا يعرفون مدى قريبها إلا بمعرفة
البداية ، ام هي بداية خلق المكلفين قبل هذا الانسان ، فقربهايطمئنتنا ان
الاكثر اياً كان لقد مضى ، وعلى اية حال :

﴿ان الله لعن الكافرين واعد لهم سعيراً﴾^(٦٤) خالدين فيها لا يجدون ولياً ولا نصيراً ﴿٦٥﴾.

السعير نارٌ شديدة الحرارة والزبانية ، وهي من مظاهر اللعنة الاخروية ، «خالدين فيها» اللعنة بمطلق الخلود الذي فيه خروج ، او الخلود المطلق الذي ليس فيه خروج ، والخلود - ايأ كان - يخص الكافرين ، واما سواهم ممن يستحق العذاب ، فعذاب البرزخ ، ثم الشفاعة في القيامة ، ثم مس سقر دون خلود ، اللهم الا من هو كالكفار المعاندين ، كما ومن الكفار من لا يخلد او لا يعذب وهم القاصرون .

﴿يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسول﴾^(٦٦).

«تقلب وجوههم» عما كانت يوم الدنيا الى حقائقها النحسة الكالحة ، و«تقلب» حال بعد حال في سيئات الأحوال ، و«تقلب» من جهة على النار كاللحم يشوى ، والى سائر التقلبات السوء هناك حسب سوء التقلبات هنا جزاءً وفاقاً .

ثم «يا ليتنا» التحسر الدائب عذاب فوق العذاب ، كما :

﴿وقالوا ربنا اطعنا سادتنا وكرائنا فاضلونا السيلا﴾^(٦٧).

وهي مقالة الأتباع ، حيث الكافرين يعمهم والمتبوعين وللكل خلود ، مهما اختلف خلود عن خلود وهذه القيلة لهم حيلة كانها لهم عاذرة عن كفرهم ، ام مخفقة عن عذابهم ، واما مضاعفة العذاب لمضليلهم فهو لا محالة واقع :

﴿ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعناً كبيراً﴾^(٦٨).

مهما لا يستجابون ككل ، فقد يضاعف لهم العذاب ، واخرى لكل ضعف ولكن لا تعلمون » (٧ : ٣٨) مهما اختلف ضعف عن ضعف ، فضعف المضللين لضلالهم واضلالهم ، وضعف المضللين لضلالهم وتخاذلهم في اتباعهم ! .

﴿يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيهاً﴾ (٦٩) .

هذه اذية خاصة فيها فرية و تهمة لمكان « برأه الله » مهما كانت مطلق الأذية محرمة : «ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والاخرة . . » ولكن اذية الفرية هي العن وانكى .

ولـ «ان الله يدافع عن الذين آمنوا » (٣٢ : ٣٨) فضلاً عن الرسل ، فلا تبقى فرية على رسول إلا مبرئة بما وعد الله ، مهما طالّت المدة ام قصرت ، ومهما مضت على الفرية ربح فالحق هو الوجهة عند الله «وكان عند الله وجيهاً» .

مركز تحقيق كتاب توير علوم إسلامي

ومما آذوا النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) هي قصة الإفك ، وقصة حليلة زيد ، وقد برأه الله في اذاعة قرآنية خالدة ، كما برء موسى مما نسبوا اليه من فاحشة «فبرأه الله مما قالوا» .

﴿يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً﴾ (٧٠) يصلح لكم اعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً﴾ (٧٠) .

القول السديد هو شديد السداد حيث يسد عنه تخلفه عن العقيدة فانه نفاق ، ام تخلفه عن الواقع فهو كذب ، ام تخلفه عما يعنيه فهو لغو ، فليسد عن اقوال المؤمنين كافة الثغرات والنوافذ الى باطل ، وهذا من مخلفات تقوى الله ، إذ تشمل القول الى العمل الى الاعتقاد .

والقول السديد يصلح الأعمال ، وهو ذريعة لغفر الذنوب ، ثم القول السديد وصالح العمل هما طاعة الله الرسول ، وهي الفوز العظيم .

﴿إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها واشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً﴾^(٧٢) ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفوراً رحيماً ﴿٧٣﴾.

آية الأمانة هذه منقطة النظير في عرض الأمانة على الكون كله فإبائها عن حملها والاشفاق منها وإن الإنسان حملها وأنه كان ظلوماً جهولاً ، فما هي تلك الأمانة وما هو عرضها وحملها والاباء عن حملها ؟

الأمانة - بوجه عام - هي كل ما يؤمن عليه ويُطمئن به مالأ أو حالاً أو عملاً أماذا من واجب الاداء الى اهلها كما اوتمنت وحيث وأن وكيفها ، ولا تصدق الأمانة إلا فيما قبلت طوعاً أو كرهاً فاداء لها ام خيانة فيها ، واما التي لم تقبل حتى يؤمن عليها فتؤدى او تخان ، فلا تحمل اسم الأمانة مهما وجب قبولها أو لم يجب ، وكما وهي مستحيلة بالنسبة للامور التي ليست لتنفصل عن المؤمن حتى يأتمن غيره فيها .

ثم المقبولة طوعاً كسائر الامانات او كرهاً كامانة السماوات والأرض والجبال ومن ضمنها الإنسان ، هي بين محمولة دون رد وبين مؤداة ، فمن طبع الأمانة اداءها لا حملها إلا لأدائها ، فمن حملها فقد خانها : «فان أمن بعضكم بعضاً فليؤذ الذي أوتمن أمانته وليتق الله ربه» (٣ : ٢٨٣) إن الله يأمركم بالعدل « (٤ : ٥٨) كشرية من شروط اسلام التكليف ، وبأحرى إيمانه : «يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم» (٨ : ٢٧) والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون « (٢٣ : ٨) .

وقد تختلف الامانات وجاء متقبليها في عرضها ، فلا تُعرض امانة العقل على من ليس يعقل ، ولا امانة الشعور على من ليس يشعر ، ولا اية امانة على ما ليس ليحملها ، وهنا « الامانة » معروضة على الكون كله فكائنة كامة في الكون كله ، المعبر عنه هنا وفي سائر القرآن بـ « السماوات والارض » وتخصيص الجبال من زمرة غير العقلاء يعني مثلاً لأصلب كائن وأصلده ، كما تخصص الانسان من زمرة العقلاء يعني اعقل كائن ، فهذه الامانة من الرحمة الرحمانية بعد الخلق كالهداية العامة « ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى » ومن الهدى لكل شيء هدى التسبيح « وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم » وتجمعها الولاية وكما في رواية .

إذا فليست هي فقط - امانة العقل اذ تخص العقلاء ، ولا امانة الشعور اذ تخص الدواب ، ولا اية امانة تخص كائناً دون سواه ، فهي اذاً امانة تعم كل كائن هي مخلوقة معه مقطوعة فيه ، خلقت مع الخلق كله وعرضت على الخلق كله فانقسم في هذا العرض العريض الى من «ابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوماً جهولاً» فهي - اذاً - الولاية ، شعور التسبيح بحمد الله وواقعه .

ولانها امانة فقد تحملها الكون كله كرهاً في تكوينه ، اذ لا تسمى امانة وجاء من لم يتقبلها ، ثم ولا موقف لها امانة إلا اداءها او خيانتها : «فابين» . وحملها الانسان « بعد تحملها في كره التكوين فحمل الامانة هو خيانتها ، والانسان هو رأس الزاوية في خيانة الامانة ثم الجن ثم سائر المكلفين ، فهو من هذه الناحية - ككل ومجموعة - في اسف سافلين ، ومن حيث السابقين والمقربين واصحاب اليمين هو رأس الزاوية في اداء الامانة سليمة فهو في اعلى عليين ، حيث الرسالات الالهية في الأصل ليست الا في

قبيل الانسان . ولو ان حمل الامانة يعني - فقط - تحملها ، لم يكن للإباء عنها مجال لأي كائن ، حيث العرض الرباني لها بجميع الصفات «انا عرضنا» ليس الا لصالح الكائنات ، فالتخلف عن قبولها تخلف عن ارادة الله ، ولو كان بالامكان لكان من العصيان ، فقبولها طاعة ، فكيف يعزل «وحملها الانسان» اذاً بـ «انه كان ظلوماً جهولاً» ، ومن ثم «ليعذب...» فهل ان مطاوعة الرب في تقبل الامانة المعروضة ظلم وجهل يستبعان العذاب؟!؟

اذاً فهي بُعد ثانٍ من تكوين كل شيء وكنونته ، لكل حسب مستواه ومستطاعه ووهبته دون زائد ولا ناقص ، فهي لمن يعقل تكليف العقل قدره ، ولن يشعر تكليف الشعور قدره في حيوان ام نبات ام جماد : «تسبح له السماوات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليماً غفوراً» (١٧ : ٤٤) .

ان امانة التكليف بصيغة اخرى هي «الولاية»^(١) ولاية الله في تسبيح دائب كما لسائر الكون ، وسائر الولايات في درجاتها لكل كتلة كما تناسبها كولاية الرسل لسائر المكلفين وولاية الرسول والأئمة^(٢) في خاتمة الرسالات

(١) نور الثقلين ٤ : ٣٠٩ ح ٢٥٨ في عيون اخبار الرضا باسناده الى الحسين بن خالد قال : سألت ابا الحسن علي بن موسى الرضا (عليه السلام) عن قول الله عز وجل «انا عرضنا الامانة...» فقال : امانة الولاية من ادعاها بغير حق كفر وفي معاني الاخبار ح ٢٦٠ مثله وفي ح ٢٦٧ بصائر الدرجات عن ابي جعفر (عليه السلام) في الآية قال الولاية ابين ان يحملنها كفرأ وحملها الانسان والانسان الذي حملها ابو فلان أقول حملها كفرأ هو خيانتها كما خانها ابو فلان .

(٢) المصدر ح ٢٦١ في اصول الكافي عن اسحاق بن عمار عن رجل عن ابي عبد الله (عليه السلام) في الآية قال : هي ولاية امير المؤمنين (عليه السلام) اقول انه من =

للمخلق اجمعين ، والتكليف صفة عامة في الولايات بدرجاتها ومن اهم الامانات العملية الصلاة^(١).

اجل ! انها بوجه يعم ويظم هي امانة التكليف طوعاً او كرهاً حيث كُلفها كل وسعته ، وتسبيح الله بحمده واقع لا ريب فيه في كل شيء ، اللهم الا الانسان واضرا به «انه كان ظلوماً جهولاً»!

وعرض الأمانة هذه بذلك العرض العريض ليس ليعني عرض التخيير التردد ، بل هو عرضها على كل كائن بفرضها في ذات تكوينه ، عرض يعني عرض الحال للبعد الثاني في كل كائن ، حال واقعة لا مناص عنها في كينونته ، فـ «انا عرضنا . . .» ليس إلا عرض واقع الحال للانسان الظلوم الجهول ، انه المتخلف الوحيد في الكون كله بمن معه من اضرا به الجن أمن ذا ، وكما الاسماء عرضت على الملائكة لبيان حالهم وجاء العلم بها «وعلم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة» (٢ : ٣١) وكما الصافنات الجياد عرضت على سليمان (٣٨ : ٣١) كما «وعرضوا على ربك صفاً» (١٨ : ٤٨) كعرض الخير على أهله ، وبماثله في اصل العرض الشر لأهله : «وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضاً» (١٨ : ١٠٠) «ويوم يعرض الذين كفروا على النار اذهبتم طياتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها» (٤٦ : ٤٠) «النار يعرضون عليها غدواً وعشياً» (٤٠ : ٤٦) .

= باب الجري والتطبيق على بعض المصاديق قبلها ولاية الرسول وقبلها ولاية الله ، والاخيرة هي العامة للكون كله .

(١) المصدر ح ٢٦٥ في عوالي الكتالي في الحديث ان علياً (عليه السلام) اذا حضر وقت الصلاة يتملأ ويتزلزل ويتلون فيقال له ما لك يا امير المؤمنين (عليك السلام) فيقول : جاء وقت الصلاة وقت امانة عرضها الله على السماوات والأرض والجبال فايين ان يحملنها واشفقن منها اقول صلاة كل شيء بحسبه فهي لهذه الثلاث التسبيح كما في آياته .

فكما الجنة والرحمة هما البعد الثاني لاهلهما لزاماً لها عطاء من ربك جزاءً وفاقاً ، وكما النار هي البعد الثاني لاهلها جزاءً حساباً يوم الاخرى ، كذلك الامانة المعروضة على الكون كله هي البعد الثاني في الاولى ، المتبني حياة الاخرى الى سجين ام الى عليين !

«انا» في جمعية الصفات لا الذات وسبحانه «عرضنا» كذلك الامر «الامانة» : مطلق التكليف لا التكليف المطلق الخاص بذوي العقول ، فسائر الكون مكلف بمعداته ان يعيش سائراً الى ما خلق لأجله ، امام الخالق مسبحاً وامام الخلق عدلاً سائراً «فاين ان يحملنها» دون رد وبإداء كما تحملن ، فان حمل الامانة مطلقاً دون اداء خيانة لها مطلقاً ، وفي اداء غير سليم خيانة نسبية ، فابين ان يخونها وكل يعمل كما حمل «واشفقن منها» خوفاً خليطاً بتعظيم ، خوفاً من الله وتعظيماً لجلال الله : «ولله يسجد من في السماوات والأرض طوعاً وكرهاً وظلالهم بالغدو والآصال» (١٣) : (١٥) «ألم تر ان الله يسجد له من في السماوات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب ومن يهن الله فما له من مكرم ان الله يفعل ما يشاء» (٢٢) : (١٨).

فهناك في الكون كله تسبيح وسجود لله والكل مسخر بأمره ... والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره الاله الحق والامر تبارك الله رب العالمين « (٧ : ٥٤) » «الم يروا الى الطير مسخرات في جو السماء» (١٦) : (٧٩) «الم تر ان الله يسبح له من في السماوات والأرض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه ...» (٢٤ : ٤١) . هولاء وهولاء من حيوان ونبات وجماد «ابين ان يحملنها وحملها الانسان انه كان ظلوماً جهولاً» .

اترى بعد ان في حمل الامانة تحملاً لها ظلماً وجهلاً حتى يؤنب قبيل

الانسان بذلك الحمل ، وفي تحملها واداءها كما حمل عدل وعلم ! فليكن حملها خيانة لها ناشئة عن ظلمه بها وجهله بمن حملها اياه «وأتاكم من كل ما سألتموه وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الانسان لظلوم كفار» (١٤ : ٣٤).

«فقد خاب من ليس من اهلها انها عرضت على السماوات المبنية والأرض المدحوة والجبال ذات الطول المنصوبة فلا اطول ولا اعرض ولا اعلى ولا اعظم منها ولو امتنع شيء بطول او عرض او قوة او عز لا تمتنع ولكن اشفقن من العقوبة وعقلن ما جهل من هو اضعف منهن وهو الانسان انه كان ظلوماً جهولاً»^(١).

انه لا أظلم من الإنسان ولا اجهل وجاه الامانة العامة إلا القليل ممن وفي لرعاية الحق فيها فمؤديها كما حمل ، فهو في احسن تقويم اذا وعى ورعى ، وهو في اسفل سافلين اذا اودع وغوى ، فلا مثيل له في سائر الكون في حمل الامانة خيانة واداءها صيانة .

«انه كان» فيما كان ايأ كان وايمان ، في كينونة الخلقة فان النفس لامارة بالسوء ، مهما خلقت له الفطرة والعقل ، ولكنه بالفعل في الاكثرية الساحقة تتغلب هواه عقله وطبعه فطرته .

«انه كان ظلوماً» فيما يؤتمن من امانة وما لا يؤتمن ، ظلوماً بنفسه وغيره وامانتته ، ظلوماً بحقه وكل حق وحقوق الآخرين .. «جهولاً»

(١) نهج البلاغة للسيد الشريف الرضي عن الإمام أمير المؤمنين (ع) وأخرجه عنه (ع) في الكافي مثله .

بحق الله وامانة الله ورعاية الحق في خلق الله !

ومن مخلفات حمل الامانة في دركات الخيانة «ليعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات» ومن ذلك في عدم تحملها كما تحمل قصوراً او تقصيراً في اداء الامانة كما يجب : «ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفوراً رحيماً» ويبقى الرعيل الاعلى من المقربين ومن ثم اصحاب اليمين الذين ادوها كما حملوها في واجب التحمل والاداء ، هولاء لا عذاب لهم اذ لم يحملوها حيث ادوها سليمة ، ولا توبة اذ لم يقصروا فيها ولا هم قاصرون وجاهها .

فالتقسيم الثلاثي هنا راجع الى مقسم حملها خيانة كما في المنافقين والمشركين ، وتقصيراً او قصوراً كما في المؤمنين ، دون من لم يحملها على اية حال كالمعصومين .

و «المشركين» هنا يعم الكافرين ، وثنيين وكتابين امن ذا ممن اشرك في توحيد الله او شرعته وامره ، او في طاعته ، فهو يشمل كافة دركات الاشراك بالله في مختلف دركات العذاب ، كما «المؤمنين» يعم كتلة الايمان بدرجاته ، الذين يعيشون حياة الايمان مهما تفلتت عنهم صغيرة او كبيرة حيث تكفر بتوبة او شفاعاة او رجاحة الحسنات او ترك الكبائر اماذا من معدات التوبة من الله : «ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفوراً رحيماً» .

فيا للانسان من ظلوم بحق الامانة ما اظلمه وجهول بها ما اجهله وهو اعقل من في الوجود ، وقد منح ما لم يمنح غيره من معدات التكامل !



(۳۴) سُوْرَةُ مَائِدَةِ مَكِّيَّةٌ

وَأَنشَأْنَاهَا الْفُجْرَ وَخَمْسُونَ

مَرْكَزُ حَقِيقَةِ كَامْپِيُوْتَرِ عُلُوْمِ اِسْلَامِي



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ
 وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ^١ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١﴾ يَعْلَمُ
 مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ
 وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا^٢ وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ
 كَفَرُوا لَا تَأْتِنَا السَّاعَةُ^٣ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عِلْمُ
 الْغَيْبِ^٤ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا
 فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ
 مُبِينٍ ﴿٣﴾ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
 أُولَئِكَ هُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ سَعَوْا
 فِي ءَايَاتِنَا مُعْجِرِينَ أُولَئِكَ هُمْ عَذَابٌ مِّنْ
 رَّجْزٍ أَلِيمٍ ﴿٥﴾ وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ

إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ
 الْحَمِيدِ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ
 يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُرِقْتُمْ كُلٌّ مُمْرِقٌ أَنْفُسِهِمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٦٧﴾
 أَفَتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
 بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ ﴿٦٨﴾ أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى
 مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنْ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنْ نَسُوا
 نَحْسِفُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطُ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ
 إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٦٩﴾ *

آيات سبع من هذه السورة تختص بسببها طياً لدورهم الحائر الى
 كورهم البائر ، في حياة جهنمية كانوا يحسبونها جنة بجنّتهم ، ترمز هذه
 السبع لدركاتهم السبع ، وتختص بهم اسم السورة فانهم هم فيها المسرح
 لنوازل البلاء بعد منازل الترح والخيلاء اذ بدلوا نعمة الله كفوراً وأحلوا
 قومهم دار البوار . جهنم يصلونها وبش الفرار !

موضوعات هذه السورة هي موضوعات العقيدة الرئيسية : الأصول

الثلاثة : المبدأ والمعاد وما بين المبدأ والمعاد ، طالما التركيز الاكثر فيها على المعاد ، تبجيلاً بمن يعتقدونها فتواباً ، وتخجيلاً بمن ينكرونها فتباباً ، ياخذهم يوم الدنيا قبل الآخرة : « لقد كان لسبأ آية ... » .

يبدأ فيها بالمبدء « الحمد لله .. » ويختم بالمعاد : « وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل بأشنياعهم من قبل إنهم كانوا في شك مريب » وفيما بينهما عرض لما بينهما من الوحي والنبوة وصنوبها ومصديقها وناكرها وبمسائرهم ومصائرهم والله من وراء القصد .

وانها رابعة السور المفتحة بالحمد له ، اذ تسبقها الانعام والكهف والفاحة وتلحقها الملائكة اطلما هي في الفاتحة معللة بخمس : « الله - رب العالمين - الرحمن - الرحيم - مالك يوم الدين » ثم هي في الانعام معللة - فقط - بالرحمة الرحمانية : « الذي خلق السماوات والارض » وفي الكهف بالرحيمية « أنزل على عبده الكتاب » وكما في الملائكة رحمانية ورحيمية « فاطر السماوات والارض تجادل الملائكة رسلاً » وهي هنا تجمع بين رحمة الدنيا والآخرة :

« الحمد لله الذي له ما في السماوات وما في الارض وله الحمد في الآخرة وهو الحكيم الخبير »^(١) .

« الحمد » كله ومن كل حامد « لله » لا سواه فانه « الذي له » : ملكاً ومُلكاً « ما في السماوات وما في الارض » وهي صيغة أخرى عن الكون كله ، وطالما يُحمد هنا غير الله مع الله شركاً ، ام يلحد في حمده ف - « وله الحمد في الآخرة » لا سواه ، فلا حامد هناك إلا له ، ف - « الحمد لله » هنا استحقاقاً مهما تخلف عن الواقع « وله الحمد » هناك واقعاً دون تخلف حتى ممن كانوا يمجّدونه في الدنيا او يشركون به سواه فيتمحض له الحمد في اخراه :

« لمن الملك اليوم لله الواحد القهار » (٤٠ : ١٦) ؟ ثم « وهو الحكيم » في خلقه تكويناً وتشريعاً « الخبير » بعباده علماً ومن سعة علمه بحكمته :

﴿ يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو الرحيم الغفور ﴾ (٢) .

« . . يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير » (٥٧ : ٤)

فالوالج والخارج ، والنازل والعارج هي صيغة أخرى عن كل حركة هي لزام كل كائن ، محسوسة ملموسة ، أم مغموسة مطروسة فهو خبرة شاملة وعلم كامل بكل شيء ، ولا شيء مخلوقاً إلا في حراك دائم ولوجاً وخروجاً ، أم نزولاً وعروجاً « وهو معكم أينما كنتم » معية القدرة النافذة ، والحيطة العلمية « وهو الرحيم » بعبادة على أية حال « الغفور » على أية حال ، اللهم إلا إذا كان الغفر ظلياً ، فانه ارحم الراحمين في موضع العفو والرحمة واشد المعاقبين في موضع النكال والنقمة !

و « ما » هنا لا يعزب عنها عازب ولا يغرب عنها غارب ، من والج الماء والهواء والبذر والدفناء من حيوان وانسان ومن خارج النبات ام اي خارج ، كما نازل السماء يعم - فيما يعنيه - نازل الماء والملائكة بالوحي ومن كل امر ، والعارج اليها من ارواح واعمال وأبخرة أماهيم !

نقف هنا أمام هذه الصفحة المعروضة العريضة في كلمات قليلة غير طويلة ، فاذا نحن أمام حشد هائل وجمع طائل من اشياء بحركاتها وتحولاتها في كل مجالاتها باحجامها وصورها واشكالها ومعانيها ، لحد لا يصمد لها الخيال ولا يخطر في هيمتها ببال !

ولو ان العالمين اجمع وقفوا وقفة واحدة لاحصاء ما يحصل في لحظة واحدة من بليارات اللحظات والحركات التي تظمها هذه الآية لرجعوا حاسرين .

أتري « الارض » هنا ارضنا هذه ؟ ثم « السماء » هي المحيطة بها لا سواها ، والقائل هو خالق السماوات والارضين ! . إنه كل ارض وكل سماء ، فكل والج وخارج ، وكل نازل وعارج ، من اي ارض فيها والى سماء ومن كل سماء فيها والى كل ارض او سماء ، تشمله هذه الآية دون تحديد .

فكم من حبة تختبي او تُخبي في جنبات الارضين ، ام اية دودة او حشرة ، ام هامة وزاحفة تلج فيهن ، وكم من ذرات غازات واشعاعات كهربائيات تندس في هذه البسيطة ورفاقها ، وكم وكم مما لا نعرفها ولن ... وعين الله يرعاها ساهرة معها !

وكم تخرج منها من نبتة فوارة ، ام بركانة ثوارة ، او غازه متصاعدة اماهيه ، لم يخلد بخلد ؟ !

وكم من نازل من السماوات وعارج فيها من مجاهيل عندنا ، ومهما عرفنا طرفاً منها نجعل اقدارها واعمارها وأسرارها ؟ !

فيا لآية قصيرة واحدة من إحاطة لحركات الكائنات في لمسة واحدة تتجلى فيها مملكة الوجود فوق مد البصائر والأبصار وحد العلوم والأفكار !
أبعد هذه القدرة الجامعة والحیطة اللامعة يعني ربنا عن إعادتنا نحن الهز الى الصغار الصغار ؟ :

وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربي لتأتينكم عالم الغيب والشهادة لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض ولا

اصغر من ذلك ولا اكبر إلا في كتاب مبین ﴿٣﴾ .

قالة من « الذين كفروا » بالساعة « لا تأتينا الساعة » وحتى لو اتت
غيرنا حيث السلب يخصهم فيما قالوا ! .

والجواب بصورة ادعاء دون برهان وفي سيرة أقوى برهان « قل بلى »
لتأتينكم الساعة كما تأتي غيركم « وربي » فملاحح التربية الإلهية الخاصة في
دليل نبوي ، وإتيان الساعة اصل من اصولها ، فـ « وربي » هنا كما في
قالة المرسلين في يس « قالوا ربنا يعلم انا اليكم المرسلون » فلان النبوة
المحمدية تفوق النبوات ، محلقة على كافة النبيين ، ففائقة التربية الإلهية فيه
ناصعة ، فهو بنفسه دليل للمبدء والمعاد عبر الوحي بواقعة وظاهره .

« قل بلى وربي لتأتينكم » ومن هو ربي ؟ « عالم الغيب والشهادة »
فكل شيء عنده شهادة « لا يعزب عن علمه مثقال ذرة . . . » ولا
يغرب . . وقضية الخيطة العلمية هي العلم الشامل بكل ما يحصل من
تقوى وطفوى ابعده علمه وقدرته وحكمته سوف لا يجازي التفات
والطغات ، وهو جهل ام عجز ام ظلم ، وما الله بظلام للعبيد !

ام لان الاجساد بأرواحها تفضل في الأرض فلا يمكن جمعها فلا جمع
ولا يوم جمع ؟ « وقالوا إذا ضللنا في الأرض أئنا لفي خلق جديد . . . قل
يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم . . . » (٣٢ : ١١) ! « قل بلى وربي
عالم الغيب والشهادة لا يعزب عن علمه . . . » مهما عزب عن علمكم ،
فلا عزب عن قدرته ولا عن علمه ولا عن حكمته « لا يغادر صغيرة ولا
كبيرة إلا احصاها .

وليس فقط : لا يعزب عن علمه « كبيرة » بل ولا « مثقال ذرة في
السموات ولا في الأرض ولا اصغر من ذلك ولا اكبر إلا في كتاب مبین . .

ولأن آية المثقال تخلق على كل كائن أياً كان سوى ذاته تعالى وتقدس
اذ ليس مثقالاً ولا ذرة ولا هو في السماوات ولا في الأرض ، فليكن لكل
كائن مثقال وهو وزن يقتضي حجماً من مادة ومادي ، وهو الطاقة المنبثقة
عن المادة ، فلا مجرد - اذاً - سوى الله !

ثم « ذرة » واصغر منها واكبر ، ليست لتعني - فيما تعنيه - الخارج عن
حدود المادة ، حيث المحور في مثلث « ذرة - اصغر منها - واكبر منها » هو
المادة ، فلا كائن - اذاً - سوى الله إلا في نطاق هذا المثلث دون ابقاء !

ومهما كانت الذرة معروفة قبل ربح من الزمن انها اصغر الأجسام
المرئية ، فقد كشفت البشرية عن ذرات هي اصغر منها بكثير ، ومن ثم بعد
تخطيم الذرة تعرفت الى اصغر من ذرة وهو جزيئاتها الإلكترونية والبروتونية
والنيوترونية والبوزيترونية أماهيه ، ولما يصل العلم - ولن ، - الى المادة الأم ،
التي منها الذرات والجزيئات والعناصر كلها - ثم لا اجزاء لنفسها تتجزأ إلا
تجزئة عن كونها الى فناء مطلق وانعدام مطلق^(١).

آية الذرة هذه لا نظيرة لها إلا ما في يونس « وما تكون في شأن وما
تتلوا منه من قرآن وما تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهوداً اذ تفيضون
فيه وما يعذب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا اصغر
من ذلك ولا اكبر إلا في كتاب مبين »^(٢) وعلها أكد شمولاً لمكان « من »
الضاربة الى اعماق الكائنات بذراتها واصغر منها دون ان يفلت منها
فالت ، كما ولد - « ربك » موقعها من ذلك التأكيد الأكيد !

و « كتاب مبين » أهو القرآن : « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين »؟

(١) راجع تفسير الآية « ومن كل شئ خلقنا زوجين » في الجزء (٢٦ : ٢٣٧) من
الفرقان و « حوار بين الإلهيين والمادييين » .

(٥ : ١٥) ولكنه البعض من علم ربك الممكن تعليمه لعباده لا كله . ولكن ذلك العلم يختص بكل الكائنات ، لا وحتى الذات المقدسة ، فليكن ذلك دونها : « ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين » (٦ : ٥٩) حيث الرطب واليابس كناية عن كائنات الممكنات ككل دونها استثناء ! : « .. يعلم ما يسرون وما يعلنون انه عليم بذات الصدور ، وما من دابة في الارض الا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين » (١١ : ٦) .

فالكائنات كلها « في كتاب مبين » كتاب العلم المطلق والقدرة المطلقة ، الصادر منه كل رطب ويابس ! :

﴿ ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك لهم مغفرة ورزق كريم ﴾^(٤) والذين سعوا في آيتنا معاجزين اولئك لهم عذاب من رجز اليم^(٥) .

تري ولماذا « بلى ورتي لتأتينكم » ؟ « ليجزي .. » قضية العدل ، و« عالم الغيب .. » « ليجزي » قضية العلم ! فالعدل - فقط - لا يكفي لضرورة الجزاء لولا العلم بالصالحين والطالحين ، والعلم - فقط - لا يكفي لولا العدل ، إذا فـ « ليجزي .. » هي حصيلة العلم المطلق والعدل المطبق على كل الكائنات ، فلو لا الجزاء فلما ظلم أم جهل ، أم هما معاً فأسوء وأنكى !

ولئن شك الجاهلون المتجاهلون في ذلك الذكر الحكيم ونبيه الرسول الكريم ، فهناك العالمون يصدقون ويوقنون :

﴿ ويرى الذين اوتوا العلم الذي انزل اليك من ربك هو الحق ويهدي الى صراط العزيز الحميد ﴾^(٦) .

أترى « الذين اوتوا العلم » هم - فقط - علماء اهل الكتاب كما يقال ؟

فغيرهم حين لا يرون « الذي انزل اليك من ربك الحق » . . . ليس الا قصوراً في العلم اذ لم يؤتوا ، فهم - اذاً - لا حجة عليهم حين يكفرون ، كما لا حجة لهم حين يؤمنون ، فلا قيمة لآيمانهم دون علم ولا سئوال عن كفرهم دون علم !

« اوتوا العلم » ليست إلا وسيلة للتفتح الى ذلك الكتاب الخالد المفتوح بمصارعه للافجيال طول الزمان وعرض المكان ، وللعلم درجات عدة يرى صاحبه « الذي انزل اليك من ربك هو الحق » حسب درجاته ومحاولاته ، فقد يكون من علماء الكتاب عارفاً بالبشارات المودوعة في كتابات الوحي بحق القرآن ونبيه ثم يجحد متجاهلاً قاحلاً ! .

وقد يكون من جهال المشركين ، فلانه يحاول الحصول على الحق المرام يتحراه فيجد بغيته في ذلك الكتاب لانه مسرح فصيح بليغ فسيح عن تجوال آيات الله البينات ، والله يشهد بكلامه لحقه !

ف - « الذين اوتوا العلم » هم بوجه عام كافة المكلفين غير القصر والمجانين ، مهما كان اهل الكتاب وعلمائهم ، وسائر اهل العلم أقوى حجة من غيرهم تدليلاً على حق القرآن ، ولكنه لا يمانع اصل التكليف بحجة العلم ، واقله علم الفطرة - مهما كان اصله - ثم العقل ثم علم الكتاب تقليدياً ثم باجتهاد وكذا سائر العلوم البشرية ، والجامع بينها كلها معرفة الله ، فالعارف ربه يعرف كلامه قدر ما عرفه .

فما من عاقل يفتح عينه الى هذه الآيات البينات ، ام أذنه وسمعه لسماعها ، متدبراً فيها ، إلا وسوف يحصل على علم : « ان الذي أنزل اليك من ربك هو الحق » فانه افضل الآيات وأخلد المعجزات « اولم يكفهم اننا انزلنا اليك الكتاب يتلى عليهم . . . » مهما كان الأوفر علماً هو اوفر ثقلأ حيث الحجة عنده اكثر ، فنكرانه لحق القرآن انكى وانكر .

هنا لا بد من علم ما يعزف به الحق من الباطل ، ثم وإعماله كما يصح حتى يحصل على الحق المرام ، والعلم المبدئي حاصل لكافة المكلفين ، ثم عليهم حسب درجاتهم أن يدبروا القول ويتفكروا : « أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها » فلا حجة - إذاً - للأغفال الكفار ما دامت لهم عقول تعقل ، ثم لا حجة على القصر والمجانين .

فالذين أوتوا العلم من أهل الكتاب عندهم علم الوحي الكتابي بحق هذا القرآن إضافة إلى سائر العلم فطرياً وعقلياً ... (١)

والذين أوتوا العلم من سواهم ، بدراسات علمية لمختلف معلومات الكون ، عندهم علم دون الوحي بحق هذا القرآن

والذين أوتوا العلمين ، عندهم علم مضاعف ، حيث العلم اياً كان هو مفتاح للتفتح على حظيرة العلم وخزائنه وإنما يعرف أهل الفضل ذووه .

والذين حرّموا العلمين عندهم علم العقل على ضوء الفطرة ، فعندهم وحي الفطرة ومن ثم العقل ، بها يعقلون حق القرآن ، فإين - إذاً - اختصاص الحجة بعلماء أهل الكتاب أم أي العلماء ؟

ثم « هو الحق » هنا يحصر الحق في القرآن كانه لا حق سواه ، أفلا تكون كتابات الوحي بين يديه حقاً يسندون إليها أهلها بحق القرآن ؟

أجل ! ولكن الحق درجات من ادناها إلى أعلاها ، فالقرآن أعلاها ، كما ولّياته درجات والقرآن أثبتها خلوداً وأعلاها ! ومن ثم هو بين تحريف من المحرفين ، وسليم عن أيدي الدس والتحريف والقرآن سليم في أعلاها .

(١) راجع كتابنا « رسول الإسلام في الكتب السماوية » نجد فيه زهاء ستين بشارة بحق القرآن ورسوله .

إذاً فذلك الحق الأخير هو الأعلى في مثلث الكمال والخلود وسلامة الأصل ، طالما الكتب السماوية الأخرى جامعة لسلبية جمعاً بين النسخ والتحريف ، وانها دون الكمال القمة ! إذاً فـ « هو الحق » لا سواء كما « ويهدي الى صراط العزيز الحميد » : كتاب عزيز حميد : لا يُغلب في معتركات الصدامات ، ولا يذم في مذامٍ بمختلف الجهات ، ثم وهو يهدي الى صراط الله « العزيز الحميد » !

هولاء هم الذين اوتوا العلم حين يستعملونه في الحصول على الحق ، ولكن الذين كفروا :

﴿ وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم إذا مزقتم كل ممزق إنكم لفي خلق جديد ﴾^(٧) أفترى على الله كذباً أم به جنة بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب والضلال البعيد^(٨) .

« الذين كفروا » هنا هم المشركون ، دون الكفار من اهل الكتاب ، اذ ينكرون هنا المعاد وهو اصل من الاصول الكتابية ، فهم اولاء الأغفال يقولون مستهزئين ، لاخوانهم « هل ندلكم على رجل ينبئكم إذا مزقتم كل ممزق ، تمزقاً لأرواحكم عن اجسادكم ، وتمزقاً لأجسادكم الى رفاتكم ، وتمزقاً لرفاتكم ام اجسادكم الى مختلف المكان من أبدان ام أياً كان .

« ينبئكم » . . . « انكم لفي خلق جديد » بعد مثلث من ذلك التمزق البعيد البعيد ؟ وهذا باطل ليس صاحبه إلا أن : « افترى على الله كذباً » حين ينقله عن الله « ام به جنة » حين يقوله ، فانه على أية حال محال لا ينسب الى الله ، ولا الى العقل ، خارج عن وحي الأرض والسماء ، مارج من فرية وجنون !

ولكنه لا ! لا هنالك فرية ولا جنون « بل الذين لا يؤمنون بالآخرة » تغاضياً عن براهينها الظاهرة ، انهم عاثشون « في العذاب والضلال البعيد »

يوم الدنيا قبل يوم الدين ، ف - « العذاب » هو عذاب التغافل عن احكام الفطرة والعقل ، تغاضياً عن ظاهر ادراكاتهم وباطن معرفياتهم ، وذلك هو « الضلال البعيد » حيث الضلال القريب هو المرجو زواله اذ ليس عن عناد ماكن ، واما الذين « جحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلماً وعلواً » فضلاً لهم بعيد وحتى يموتوا ضلّالاً ، ومن ثم العذاب القريب !

﴿أفلم يروا إلى ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء والأرض إن نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفاً من السماء إن في ذلك لآية لكل عبد منيب﴾ (٩) .

أترى « ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء والأرض » هو افق السماء والأرض ؟ وصحيح التعبير عنه « ما تحت ارجلهم من الأرض وما فوقهم من السماء » !

ام « ما بين ايديهم وما خلفهم » من كل من السماء والأرض أماماً وخلفاً ؟ وتبقى الجهتان الأخريتان ميمناً وشمالاً ، حيث الاربع هي الافق المشهود من السماء والأرض !

ام لا هذا ولا ذاك ، وانما هي تلميحة لطيفة عميقة الجذور ، بطيئة الظهور لكروية الأرض ودورية السماء ، ف - « ما بين ايديهم » من الأرض هو الافق المشهود الدائري لكل شاهد في أكناف الأرض ، ثم « وما خلفهم » هو الافق والأفاق غير المشهودة ، فليس « خلفهم » إلا خلف الأرض ، وراء الافق الظاهر ، اذاً فليست الأرض مسطحة ، بل هي مدورة منكورة لها من كل جانب منها ظهر وجاه خلف .

ثم و « ما بين ايديهم » من السماء هو الافق الظاهر منها لكل ناظر اليها في آفاق الأرض ، ف - « وما خلفهم » هو الافق غير الظاهر فليكن

خلف الارض - اياً كان - ارض وسماء ، ارض تحيط بها السماء من كافة
مناكبها ، فهي - اذاً - في السماء معلقة كسائر نجومها ومصايبها !

وترى كيف استفهام الإنكار التنديد بمن كانوا يعيشون الزمن الذي
كانت كروية الارض فيه كفراً وخلافاً للاحساس والعلم ^(١) ؟ ! « اولم
يروا . . » اجل لم يروا ، وأنى لهم أن يروا ، والعلم قاصر ، والجهل
قاهر ، والوحي عنهم به منقطع ؟ ! .

عله لان وحي الكتاب كان يشير الى هذه الملحمة العلمية ، ومهما
كانوا هم مشركين ولكسما الاختلاط بالكتابيين يجعلهم يعرفون امثال هذه
الملاحم التي تهمهم علمياً مهما لا تهمهم عقائدياً ، ثم وهذه تحريضة علمية

(١) في زوايا التاريخ ليست الارض كروية فقد كان اول تصور للانسان في شكل
الارض انها بساط عظيم هائل لانه لا نهاية لعمقه يعتمد عليها قبو السماء كالسقف المرفوع ،
ولما تقدم في الملاحة وقطع البحار الواسعة اخذ يتصور ان الارض سابعة في اوقيانوس
من الماء لا نهاية له وكان ذلك خطوة لتصور ان الارض محوطة بدائرة وترتكز على جذور
طويلة مثل الشجرة ، وساد كذلك اعتقاد قديم بان الارض بساط مستدير يقوم على اثني
عشر عموداً ، ولكن على اي شيء تقوم هذه العمدة ؟ فيجب قساسة في اوربا في
القرون الوسطى بانها تقوم على الضحايا البريئة من اهل الفضيلة والتقوى الذين لولا
وجودهم هنالك لدكت الارض وذهبت هباء في الفضاء ، وقد كان (انا كسيماندر)
الاغريقي في القرن السادس قبل الميلاد يرى ان الارض كالاسطوانة وان قعرها يساوي
ثلاثة اميال ارتفاعها ، وانها سابعة في مركز القبو السماوي وانه لم يسكن منها إلا وجهها
الأعلى ، وتوجد اوربا في النصف الشمالي وليبيا او افريقيا وآسيا الجنوبي ، ثم جاء من
بعده بقليل الفيلسوف افلاطون وقال : ان الارض مكعبة ، لانه كان يعتقد ان المكعب
اكمل الاشكال الهندسية فيجب ان يكون موطننا لافضل الكائنات وهو الانسان ، وانه
قبل ان يقول علماء الغرب بكروية الارض سبقهم الى ذلك من عهد بعيد علماء الشرق
حيث تخيلوا ان الارض كروية وتنتهي شمالاً وجنوباً بجبال عظيمة الارتفاع ، ومنذ
١٥٠٠ سادت في الغرب نظرية تقول : ان الارض بيضاوية وانها سابعة في الاثير .

للأجيال ان يروا رؤية عينية او علمية « ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء والارض » فمثلها كمثل قوله تعالى :

﴿ قل انظروا ماذا في السماوات والارض وما تعني الايات والنذر لقوم لا يؤمنون ﴾ (١٠ : ١٠١) .

ثم وكان لهم قبل وحيه او اكتشافه علمياً ان يروه تاملأ وتعملأ للضرورة الملموسة لهم أن الارض ليست مسطحة دون خلف كظهرها ، لاختلاف الافاق ليلاً ونهاراً !

وهناك آيات اخرى تؤشر الى دوران الأرض وكرويتها ناتي على تفسيراتها بطياتها ، وآيتنا هذه « اولم يروا . . » هي الوحيدة بين رفاقها تدليلاً كالصريح على كروية الارض وقد تزاملتها آية التكوين^(١) .

وقال الادريسي وهو احد الجغرافيين من العرب في القرن الحادي عشر للميلاد : ان نصف هذه الأرض البيضاوية مغمور في الماء وذلك ليحل مشكلة النصف المجهول ، وكان بطليموس في القرن الثاني للميلاد وهو من اشهر الفلكيين يرى ان الأرض مثل كرة مفرطحة من جانبيها كحبة القسوة ، وجاء (ابيا نوس) في ١٥٢٠ فقال : انها تشبه القلب ، وصادفت نظريته ميلاً في قلوب قساوسة الدين في اوروبا فأيدوه قائلين انها قلب الله ، وان هذه الكرة القلبية تشبه لرض المكتشف العظيم (كولبوس) حيث تصورهما مثل الكمثرى ، فالنصف الكروي هو الشرقي والنصف المستطيل هو الغربي ، والتمدد الذي اوجده فيه هو (العلم الجديد) الذي اكتشفه ، واما (دانت) فقد تصورهما قبل ذلك بقرن في مثل هذا الشكل جاعلاً هذا التمدد لحجمه الذي صوره فكانت جبال المطهر تحت خط

(١) ومي « يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل . . » راجع (٣٩ : ٥) .

الاستواء بثلاثين درجة ، بينما جعل (اورشليم) او (ريون) في الجهة المقابلة ليحفظ التوازن .

وظهر في ١٨١٩ في (سنت لويز) بالولايات المتحدة القبطان (جون كليفر سيمس) بنظرية عجيبة تعرف باسمه او بنظرية الكرات المتداخلة وهي أن الارض او اي كوكب يتكون من عدة من الكرات المتسلسلة والمشاركة في مركز واحد وبين كل كرة والتي تليها فاصل مملوء بالهواء ، وعند القطبين فتحة كبيرة في جميع هذه الكرات ، ويرى ان الارض تتركب من خمس طبقات او كرات متداخلة وان فيها فتحتين كبيرتين عند القطبين يبلغ قطر الشمالية اربعة آلاف ميل وقطر الجنوبية ستة آلاف ميل وان سطحي كل كرة او طبقة مسكونان فتوجد سكان في الارض على السطوح المحدوبة والسطوح المقعرة ، وطلب الى المجلس النيابي بالولايات المتحدة ان يجهزه بسفينتين ليسافر إلى احد القطبين ويدخل من الفتحة الموجودة هنالك ليدخل الى سكان السطح المقعر الذي نعيش فوقه ، وطبع المارشال (جاردنر) في ١٩١٣ م كتاباً في الولايات المتحدة عنوانه : سياحة الى داخل الارض - ذهب فيه الى ان الارض مجوفة ويبلغ سمك طبقتها التي نعيش عليها ثمانمائة ميل وانها مفتوحة عند القطبين ويوجد في داخلها شمس ويبلغ قطر كل فتحة قطبية الفا واربعمئة ميل .

وقال (مورية) في كتابه (علم الفلك اليوم) ان الارض على شكل هرم ، وهو يرى ان نظريته تبين اختلاف أنصاف اقطارها وتحل كثيراً من النقط المعضلة في هذا الصدد التي لا يمكن ان تفسرها اية نظرية اخرى ، وهذه النظرية التي نشرها (تيوفيل موريه) العالم الطبيعي الفرنسي إن هي إلا شرح وتأيد لنظرية (لوثيان جرين) العالم الانكليزي التي كانت مثاراً لجدال كبير في سنة ١٨٧٥ وهو يذهب الى ان الارض هرمية الشكل ، وان

البحار تشغل بطوناً في سطوحه الاربعه بينما اركان هذا الهرم عبارة عن القارات الخمس ، وقد بعث (موريه) هذه النظرية الهرمية للوجود بعد رفضها في ذاك العهد ليحللها العلماء من جديد في نورما استكشف من العلم الحديث ، والجدال قائم الآن في كل مكان على قدم وساق .. (تفسير الجواهر ١٦ : ١٣٧ - ١٤٠) .

وبعد ان يروا ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء والارض ، لهم بطبيعة الحال ان تأخذهم روعة من خسف الارض ام سقوط السماء ، حيث الارض المعلقة في جو السماء غير مأمونة من أية حادثة هائلة ، خسفاً في نفسها ، ام سقوطاً لها في اعماق السماء ، ام سقوط السماء كسفاً عليها لولا المسكة الإلهية الرحيمة و « .. إن نشأ نخسف بهم الارض » في نفسها ام عن مكانها « او نسقط عليهم كسفا من السماء ان في ذلك لآية لكل عبد منيب » !

ولقد سبق على مدار الزمن هذه التجربة المرة « ومنهم من خسفنا به الارض ومنهم من اغرقنا .. » (٢٩ : ٤٠) « افامن الذين مكروا السيئات أن يخسف الله بهم الارض او يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون » (١٦ : ٤٥) « ءأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الارض فاذا هي تمور » (١٦ : ٦٧) ؟! سبحانه الخلاق العظيم .

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا

دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَجْبَالُ أَوْبَىٰ مَعَهُ وَالطَّيْرُ وَالنَّارُ

الْحَدِيدَ ۖ أَنْ أَعْمَلْ سَبِغْتِ وَقَدَّرِ فِي السَّرْدِ وَأَعْمَلُوا

صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾ وَلَسْلَيْمَنَ الرِّيحُ
 غَدُوًّا شَهْرًا وَرَوَّاحَهَا شَهْرًا وَأَسْلَنَّا لَهُ عَيْنَ الْقَطْرِ وَمِنَ
 الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ
 عَنْ أَمْرِنَا نَذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُ
 مَا يَشَاءُ مِنْ مَحْرِبٍ وَتَمَثِيلٍ وَجَفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ
 رَاسِيَتٍ أَعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ
 الشَّكُورُ ﴿١٣﴾ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى
 مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَاتَهُ فَمَا خَرَّ تَبَيَّنَتِ
 الْجِنُّ أَن لَّو كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ
 الْمُهِينِ ﴿١٤﴾

مسرح من مسارح النبيين الملكين داود وسليمان (عليهما السلام) بما
 آتاها من فضل يخرق العادة الجارية في الكون هنا لداود « منا فضلاً »
 تخصه بفضل له خاص، فالفضل كله منه ويكفيه : « آتيناه داود منا فضلاً »
 ولكن « منا » تصطفي له خاص الفضل ، وعله هنا النبوة والملك وتأويب
 الجبال والطير معه وتلين الحديد ، وبإله من فضل جامع عقيم النظير
 اللهم الا للأخصين من السابقين وهم اهل بيت الرسالة المحمدية ، ثم

الاربعة الآخرون من اولى العزم الذين دارت عليهم الرحي ، وقد تشهد لمثلث الفضل هذا : « وكلا آتينا حكماً وعلماً وسخرنا مع داود الجبال .. وعلمناه صنعة لبوس لكم .. » (٢١ : ٨٠) .

فقد بلغ فضل الله لداود مبلغاً من التجرد والشفافية في تسابيحہ أن انزاحت الحجب بينه وبين الجبال والطير وحدة الحديد ، فداود الأواب تجاوبه في أوبته الجبال والطير ، ويلان له الحديد ، وهكذا الله يعبد الطريق للآوابين !

هنا « معه » في « اوبي معه » لمحة لامعة انها تؤوب في عالمها ولا تسمع احداً من العالمين ، ثم « معه » تجعله يسمع أوبة الجبال والطير .
والأوبة ضرب من الرجوع . وهنا المقصود صوت الأوبة وصيغتها ، اضافة الى حقيقتها ، فواقع الأوبة لا محالة حاصل للكائنات كلها : « وإن من شئ الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم » (١٧ : ٤٤) ولكن داود المفضل على من سواه فقه تسبيحهم مع تسبيحه وعلى ضوئه كما تشير « معه » وكما في آخر له « واذكر عبدنا داود ذا الأيدانه أواب .. والطير محشورة كل له أواب » (٣٨ : ١٩) فهي معية المصاحبة المتابعة ، وقد نعم علمه بتسبيحهم واصالته فيه حيث كان يؤم في محراب الأوبة ومصرحها جماعة الطيور والجبال في ترنيمة المرجع الرائع كما يؤم سائر المؤمنين في زمنه !

الآتب هو الراجع وقد ينكث ، ولكننا الأواب من التأويب الترجيع كثرة في عدة الرجوع وعدته ، حيث يعيش الأوبة الرجعة الى الله دون نكسة ولا نكسة .

ومن التأويب الترجيع ترجيع الصوت في التأويب وفيه تليين القلب وترجيعة ، فان للصوت الرائع الجميل موقعاً فائقاً في القارئ والمستمع ،

وكما عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) : تغنوا بالقرآن فانه من لم يتغن بالقرآن فليس منا !

فلان كلام الله جميل فليكن بصوت جميل كما صيته جميل ولفظه جميل ومعناه جميل ، والله تعالى جميل يحب الجمال !

تذكر الروايات ان داود (عليه السلام) أوتي صوتاً جميلاً خارقة العادة في الجمال ، كان يرتل به مزاميره وهي تسابيح دينية رائعة من زبوره في العهد العتيق . -

فحينما كان ينطلق صوته في ترتيل المزامير تمجيداً لربه ، كانت ترجع معه الجبال والطيور ، مرددة تلك الترانيم السارية السارة (١) لحظات فائقة التصور لا يتذوقها إلا كل اواب حفيظ : وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطيور وكنا فاعلين ، (٢١ : ٢٩) « إنا سخرنا الجبال معه يسجن بالعشي والإشراق . والطيور محشورة كل له اواب » (٣٨ : ١٩)

ثم و « يا جبال اوبي معه والطيور تكوين خطاب يضرب الى عمق الكائن دون مكنة التخلف كما في اصل التسييح ، وكما في : « يا نار كوني برداً وسلاماً على ابراهيم » (٢١ : ٦٩) واضرابها من خطاب التسخير التكوين .

اترى ذلك الجبال « يا جبال اوبي معه » فما بال الطير وموقعه في تعريفها ونصبها ، فعطفها الى « جبال » يقتضي « وطير » كما « جبال » قضية ضرورة الوفاق في العطف بين الرفاق أدبياً كما هو معنوياً ؟

(١) في كمال الدين باسناده الى هشام بن سالم عن الصادق (عليه السلام) في حديث يذكر فيه قصة داود (عليه السلام) قال : إنه خرج يقرأ الزبور وكان اذا قرأ الزبور لا يبقى جبل ولا حجر ولا طائر إلا أجابه .

قد تكون « والطيير » عطفًا بحساب المعنى من محل المعطوف عليه ، فـ « اوبي » تعني « وسخرناها » كما في آيتي التسخير ، فـ « والطيير » تعني ذلك التسخير ، فقد يفسر نصب الطير امر الجبال انه تسخير وليس امر التشريع ! كما و « يسجن » هناك تفسر هنا « اوبي » أنه التسييح الترجيع !

هذا مسرح من مسارح تليين الجبال والطيير في مصارع التسييح ، ثم الى تليين الحديد :

« والناله الحديد » ؟ اتراه - فقط - تلييناً لحده | وصلابته بعد الحصول عليه من معدنه ؟ وهذا أصعب منه واحدًا ! ام وتليين معدنه ومصدره ، والمقام مقام الفضل الرباني لعبد رباني وافضله ذلك الجمع الرائع المكين من التليين !

ولأن إلانة الحديد لا تحملها في القرآن كله إلا هذه اليتيمة المنقطعة النظير فلننظر فيها نظرة الناقد البصير .

يروى عن امير المؤمنين علي (عليه السلام) انه قال : اوحى الله الى داود انك نعم العبد لولا انك تاكل من بيت المال ولا تعمل بيدك قال : فبكى داود (عليه السلام) اربعين صباحاً فاوحى الله عز وجل الى الحديد ان لن لعبدي داود (عليه السلام) . . . (١) .

« ألنا له » كما « يسبحن معه - اوبي معه » تختص إلانة الحديد بـداود !

(١) تفسير البرهان ٣ : ٣٤٤ عن الكافي باسناده عن احمد بن ابي عبد الله عن شريف ابن سابق عن الفضل بن ابي قرة عن ابي عبد الله (عليه السلام) ان امير المؤمنين صلوات الله عليه قال : . . . فالأن الله عز وجل له الحديد فكان يعمل كل يوم درعاً فيبيعها بالف درهم فعمل ثلاثمائة وستين درعاً فباعها بثلاثمائة وستين ألفاً واستغنى عن بيت المال .

القوة خارقة أوتيها من فضل الله ؟ وتعبيره الصحيح الفصيح « قومناه » !
 أم إلانة لما يحتاجه من حديد لصناعة لبوس ؟ وهذا هو ظاهر الإلانة ، وقد
 تضمن إلانة العلم كما تعني إلانة الحدة : « وعلمناه صناعة لبوس لكم
 لتحصنكم من بأسكم » (٢١ : ٨٠) فلو لا ذلك التعليم لم تكن كثير
 فائدة في هذا التلين ، فانما هو كذريعة لصناعة لبوس ، لا - فقط - نفس
 التلين .

وهنا أيضاً أن اعمل سابغات ، تفسير لمدى ذلك التلين ، فلا تعني
 إلانة الحديد - فقط - عمل السابغات ، إلا أن تعني إلانة ذلك العمل بعد
 إلانة الحديد ! إذا فهناك مثلث من تلين الحديد ، صدوراً من معدنه ،
 وتليينه عملياً ومن ثم تليينه لصناعة لبوس عملياً !

فلم يكن التلين - إذاً - بالتسخين ، فانه لكل من يسخنه وهو هنا « له »
 باختصاص ، بل هو خارقة للعادة تلييناً بلا تسخين ولا أية وسيلة مألوفة
 أخرى ، فجو السياق وظلاله بكل تلميح وتصريح يعني هنا خارقة للعادة !
 من :

« وألنا له الحديد » ولا كمجرد آية خارقة تدل على وحي الرسالة ، بل و :
 « ان اعمل سابغات وقدر في السرد واعملوا صالحاً إني بما تعملون
 بصير » (١١) .

السابغات هي الدروع الواسعات ، والسرد هو نسجها ، وتقديره لها
 هو ان يعمل كلاً على قدره السائغ للسابغ وقد يروى انها كانت تعمل قبل
 داود صفائح الدرع صفيحة واحدة فكانت تصلب الجسم وتثقله فاهم الله
 داود ان يصنعها رقائق متداخلة متموجة لينة يسهل تشكيلها وتحريكها
 بحركة الجسم وامر بتضييق تداخل هذه الرقائق لتكون محكمة لا تنفذ
 منها الرماح ، وهو التقدير في السرد اهذا ولتكون السابغات سائغات

لائقات ، ومن ثم « واعمَلُوا صالحاً » في عمل الدروع واستعمالها في سبيل الله واي عمل من اي عامل في فسيح الكون ، لـ « اني بما تعملون » من صنع ومن استعمال لمصنوع « خير » !

وعَلَّ في « اعمل » بديل « اصنع » تلميح لما تلمحنه انه ثالث ثلاثة من اضلاع « والنا له الحديد » وكما في أخرى : « وعلمناه صنعة لبوس لكم لنحصنكم من بأسكم فهل انتم شاكرون » (٢١ : ٨٠) اذاً فـ « واعمَلُوا صالحاً » شكراً لما انعمت « اني بما تعملون بصير » ! .

فاللبوس مبالغة من اللباس ، حيث السابغة الدرع تبالغ في الاحصان عن بأس الحرب ، فقد كان ذلك خارقة إلهية تتخطى عائدة اثبات الرسالة وتحصيل المال للرسول ، الى « صنعة لبوس لكم » عائدة ثالثة لصالحكم ، حيث الحروب آنذاك كانت تتطلب صنعة سريعة لللبوس السابغة .

﴿ ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر وأسلنا له عين القطر ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير ﴾ (١٢) .

« و » فضلاً « لسليمان » كما فضلاً لداود ، كلاً حسبه وبحسابه ، وفقاً في سيرة الخارقة مهما اختلفت الصورة ، فقد آتينا « لسليمان الريح » كما « آتينا داود منا فضلاً . . . » فضلاً كفضل ! .

« ولسليمان الريح » لا كما هي لسواه كعادة جارية المفعول في فاعلياتها ، وانما تسخيراً له يتخطى العادة : « فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاءً حيث اصاب » (٣٨ : ٣٦) !

فلقد كانت له الريح - بما سخرها الله - مركبة فضائية « غدوها شهر

ورواحها شهر « - » تجري بامرہ رخاء « كل يوم مسيرة شهرين » حيث اصاب « من هذه المعمورة ام سواها بأجواءها! .

وترى انها ریح كسائر الريح ، ام هي سائر الريح دون اختصاص ، كلاً ! فالنص « الريح » دون « الريح » فلتكن خاصة معروفة لديه ، مجهولة لدى غيره ، ام واذا كانت معلومة لغيره فغير مسخرة إلا له ، وانها كانت ريحاً عاصفة وكما في آية ثالثة : « ولسليمان الريح عاصفة تجري بامرہ إلى الأرض التي باركنا فيها وكنا بكل شيء عالمين » (٢١ : ٨١) .

ثم « غدوها » هو الغداة لحد الزوال ام هو ادنى ، والرواح هو الوقت الذي يراح فيه الانسان من نصف النهار الى الغروب او هو ادنى ، فلم يك سليمان يغدو ويروح في يوم واحد دون مكثه في « الأرض المقدسة التي باركنا فيها » فليكن الغدو رديحاً مما بين طلوع الشمس وزوالها ، وكذلك الرواح رديحاً بين زوالها وغروبها ، مهما كانت السفرة في يوم واحد ، ام بمكثه يوم أو أيام ^(١) .

مركبة فضائية ما اغداها واروحها ، واريحها في غدوها ورواحها ، حيث « تجري بامرہ رخاء حيث يشاء » الى « الأرض المقدسة » ام سواها ، مهما كانت هي الاصل في سفراته ، ولذلك خصت بالذكر في آية الانبياء .

وقد تكاثرت الروايات حول تسخير الريح لسليمان ، تبدو ظلال الاسرائيليات المختلفات والمختلفات فيها واضحة ، فالتغاضي عنها الى بينات الآيات أخرى ، وترك الخوض فيها احجى ! فانما هي ریح عاصفة مسخرة لسليمان غدوها شهر ورواحها شهر ١ .

(١) في تفسير القمي في آية الريح قال : كانت الريح تحمل كرسي سليمان فتسير به في الغداة سيره شهر وبالعشي مسيرة شهر .

« ... واسلنا له عين القطر ، لا نجد القطر إلا هنا عيناً سائلة وفي الكهف مفرغاً بحامية النار على زبر الحديد بين الصدفين (١٨ : ٩٦) وهو الرصاص ، و « عين القطر » في اصلها غير سائلة ولا تسمى عيناً إلا معدناً ، فبإسالتها بخارقة إلهية خرجت عن أصلاتها الجامدة الى عين سائلة يستثمرها سليمان كما يشاء في محاويج ومحاويج شعبه دون سغب ولا تعب ، وكما ألان الله الحديد لأبيه داود (عليه السلام) !

« .. ومن الجن من يعمل بين يديه » أهم - فقط - شياطين الجن : « ومن الشياطين من يغوصون له ويعملون عملاً دون ذلك وكنا لهم حافظين » (٢١ : ٨٢) ؟ « ومن الجن » « دون » الشياطين ، تعميم دون اختصاص ! ثم « وحشر لسليمان جنوده من الجن والانس فهم يوزعون » (٢٧ : ١٨) قد تحيل الإختصاص ، حيث الجن المؤمنون احرى ان يكونوا من جنوده ، وتجنيد الشياطين ليس الا تذليلاً لهم وقضاءً على شيطاناتهم لردح الخدمة ، و « قال عفريت من الجن انا آتيك به قبل ان تقوم من مقامك » (٢٧ : ٣٩) هي كالنص أنه كان من مؤمني الجن واتقاهم فاقواهم على هذه الخارقة الإلهية !

إذا ف - « من الجن » يعم قبيلي المؤمنين منهم والشياطين ، وكما جنوده الإنس دون اختصاص .

و « يعمل بين يديه » تعني في سلطته وعلى رعايته ، لا في حضرته فحسب ، اذ كان شياطين الجن يغوصون له وهو بعيد عن حضرته مهما كان في سلطته .

« .. يعمل بين يديه باذن ربه » تسخيراً لهم لأمره ، حيث الجن لا يسخرون دون ذلك ، إلا سخرية لمن يسخرهم دون ذلك ! ومن خلفيات « باذن ربه » :

« .. ومن يزغ منهم عن امرنا نذقه من عذاب السعير » وليس « امرنا » إلا عملاً لسليمان بين يديه بإذن ربه ، فقد كان الاذن - اذاً - اذن الامر ، لا - فقط - اذن السماح ، حيث السماح لخدمة سليمان النبي حاصل بطبيعة الحال لكل بالغ مبلغ التكليف !

وترى ان « عذاب السعير » هنا خاص بالأخرى ؟ وهو كذلك فانها هي دار الجزاء دون الاولى ! ولم يأت السعير في القرآن فيما اتت (١٨) مرة إلا للأخرى ! فلا يختص - اذاً - بالاولى ، وقد يعمها على هامشها دون تحتم فإن الآخرة هي دار الجزاء دون الاولى ، اللهم إلا لمن تخطى حد الطغوى ، وقد تلمح « نذقه » دون « ندخله » لشموله عذاب الاولى ، فكل عذاب في الدنيا او البرزخ يعبر عنه بذوق العذاب وليس هو العذاب ! وقد يدل عليه « وآخرين مقرنين في الأصفاد » (٣٨ : ٣٨) .

« يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات اعملوا آل داود شكراً وقليل من عبادي الشكور » (١٣) .

أعمال اربعة هنا تذكر كنماذج هامة مما يشاء سليمان من الجن ، فـ « محاريب » جمع محراب من امكان العبادة الخاصة كالمعروف المتداول عندنا ، و « تماثيل » هي الصور المجسمة من شجر وسواها ، وعموم اللفظ يشمل تماثيل ذوات الارواح اياً كانوا ، وكما النباتات وسواها ، ولكنها المتعود طول التاريخ منها هي ذوات الارواح (١) ولان سليمان النبي كان

(١) وسائل الشيعة ١٢ : ٢١٩ في الصحيح عن ابي عبد الله (عليه السلام) في قول الله عز وجل : يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل .. فقال : والله ما هي تماثيل الرجال والنساء ولكنها تماثيل الشجر وشبهه والصحيح عن محمد بن مسلم قال سألت ابا عبد الله (عليه السلام) عن تماثيل الشجر والشمس والقمر فقال : لا بأس ما لم يكن

يشاءها من الجن فهو اذاً من المسموحات لا الممنوعات ، وما دام لم يرد نص في القرآن لنسخه ليس الحديث لينسخه حيث القرآن لا ينسخ إلا بالقرآن لا سواء ، اذاً فعل الصور المجسمة لا محظور فيه ، بل وعله محبور حيث يشاءه سليمان .

اجل ان التماثيل المعبودة ، المعمولة لعكوف العبادة ، هي محرمة بنص القرآن وضرورة الاديان : « اذ قال لايه ما هذه التماثيل التي انتم لها عاكفون » (٢١ : ٥٢) .

وعلى غرارها التماثيل التي تصنع لاجل تخليد اصحابها بعد موتهم احتراماً زائداً عما يرام ، فانها مكروهة على اشراف الحرمة ، ولكن التماثيل ككل تمثال ليست محرمة ، ولأن اصل الحرمة في اتخاذها ليس إلا شائبة

= شيئاً من الحيوان وعن الصادق عن آبائه (عليه السلام) في حديث المناهي قال : نهى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عن التصاوير وقال : من صور صورة كلفه الله تعالى يوم القيامة ان ينفخ فيها وليس بنافخ .. ونهى ان ينقش شيء من الحيوان على الخاتم وعنه (عليه السلام) ثلاثة يعذبون يوم القيامة من صور صورة من الحيوان يعذب حتى ينفخ فيها وليس بنافخ .. ورواه ابن عباس عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مثله الا « من الحيوان » وعن موسى بن جعفر (عليه السلام) عن التماثيل هل يصلح ان يلعب بها قال : لا وفي تحف العقول وصنعة صنوف لتصاوير ما لم يكن فيه مثال الروحاني لحلال تعلمه وتعليمه ... ، هذه ولكن التمثال لغوياً هو الصورة المصورة او ما تصنعه وتصوره مشبهاً بخلق الله من ذوات الروح والصورة ، ولو كان المعنى من « تماثيل » في الآية غير ذوات الأرواح لكان حق التعبير الصحيح والفصيح « نقوش » ولم يكن من المتعود ان يعمل الصور المجسمة من غير ذوات الأرواح إلا حديثاً ، فالآية ظاهرة كالنص في جواز عمل التماثيل للوحي الأرواح ، وليس الحديث لينسخ القرآن لياً كان ، فالأحرى ما فصلناه في المتن من تفصيل لراجع منه ومرجوح ومحرم والله اعلم .

العبادة ام آتبتها، فحكمها واحد عبر الشرائع دونما تناسخ فانه لزام التوحيد ، وسليمان كان من اكمل الموحدين فكيف يبغى محرماً او مكروها في حظيرة التوحيد وبحضرة ربه الكريم المجيد !

فحين تتخذ تمائيل من الطغات عن حالتهم البئسة التي قضت عليهم إنذاراً للأخلاف ، ام تتخذ تمائيل من التفات عن حالتهم العزيزة تبشيراً لهم ، فما هي - اذاً - إلا تمائيل التبشير والانذار ، دون عكوف لها كاصنام .

ام حين تتخذ تمائيل للعبة الأطفال ، بلا عكوف ولا تبشير او انذار ، فما هي محرمة محظورة ، مهما لم تكن محبورة .

وهنا احاديث تروى بحق تحريم عمل الصور المجسمة والتماثيل ذوات الارواح خاصة نخصصها بموارد المحظور لظاهر كالنص من آية التماثيل^(١) .

ثم « وجفان كالجواب » هي الجفان العظيمة كالحياض حيث الجاية هي حوض يرد فيه الماء فهي « وإن عظيمة للاطعمة ، ومن اين تملاً ؟ » و« قدر راسيات » ضخمة في ثقلها وسعتها ، راسية ثابتة في محلها لصعوبة حملها .

« .. اعملوا آل داود شكراً وقليل من عبادي الشكور » .

« اعملوا شكراً » لا - فقط - ان تقولوا شكراً ، فالشكر في أصله من مقولة الأعمال ، وليست الاقوال إلا حاكية عنها « وقليل من عبادي الشكور » عملاً ، في الكثير من القلة المؤمنة الشاكرة قولاً ، والشكور مبالغة الشاكر فلتكن بالغ الشكر . ثم وهنا « الشكور » وليس « شكور » حيث التعريف يعني شكراً عملياً ، فـ « الشكور » هنا مبتدأ موخر لتعريفه

(١) مضت هذه الاحاديث .

و « قليل » خبر مقدم لتكثيره ، إذا فـ - « الشكور » عملاً « قليل من عبادي » .

ام ان « الشكور » كمطلق الشكر وحق قولاً « قليل من عبادي » ثم من هذه القلة « الشكور » كشكر مطلق يعم العمل « قليل من عبادي » فهم - إذا - قلة من قلة فهمها كان الشكور قولياً ثلة امام هذه القلة ، ولكنهم قلة امام « عبادي » الثلة ، فاين قلة من قلة وثلة من ثلة ؟ (١) .

ثم « الشكور » ايأ كان تلمح لكثرة عِدَّة وَعُدَّة ، ولحد يبلغ الشاكر شكراً بكل أبعاده في حياته اومن ثم نرى ذلك العظيم العظيم ، الكريم الكريم ، القويم القويم ، سليمان النبي الملك ، الذي سخر له الانس والجن وصُلب الكون ولكنه على عظمه وملكه الذي لا ينبغي لأحد (٣٨) : (٣٥)

(١) الدر المنثور ٥ : ٢٢٩ - قال داود (عليه السلام) يا رب هل بات احد من خلقك الليلة اطول ذكراً لك مني ؟ فأوحى الله اليه نعم الضفدع وانزل الله تعالى على داود (عليه السلام) : اصملوا آل داود شكراً وقليل من عبادي الشكور فقال داود (عليه السلام) : يا رب كيف اطيق شكرك وانت الذي تنعم علي ثم ترزقني على النعمة الشكر فالنعمه منك والشكر منك فكيف اطيق شكرك ؟ قال : يا داود الآن عرفتني حق معرفتي وفيه اخرج ابن المنذر عن عطاء بن يسار قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو يخاطب الناس على المنبر وقرأ هذه الآية قال : ثلاث من اوتيهن فقد اوتي ما اوتي آل داود قيل : وما هن يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) العدل في الغضب والرضا والقصد في الفقر والغنى وذكر الله في السر والعلانية وفيه عن ابراهيم التيمي قال قال رجل عند عمر : اللهم اجعلني من القليل فقال عمر : ما هذا الدعاء الذي تدعوه به ؟ قال : اني سمعت الله يقول : وقليل من عبادي الشكور فانا ادعوا الله ان يجعلني من ذلك القليل فقال عمر : كل الناس اعلم من عمر !

« فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته إلا دابة الأرض تاكل منسأته فلما خُرّ تبينت الجن ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين » (١٤) .

وتلك من هبة سليمان وهيمته ان لم يجرء أحدٌ من جنوده من الجن والإنس ان يدنوه فيسألوه ما ذلك المكث الطائل ، الذي تمضي فيه أوقات صلوات « فلما قضينا عليه الموت » فوق الموت « ما دلهم على موته » سؤال خاطرٍ ام اي خاطر سائل « إلا دابة الأرض » تلك الصغيرة الهزيلة التي تاكل الأخشاب « تاكل منسأته » التي كان متكئاً عليها

وترى كيف النساء - فقط - تجعله واقعاً قائماً كما هو ، وليست مُسكتها إلا جانبية وعلى شرط المسكة من صاحبها ، حيث يمسكها سناداً فتمسكه عماداً ؟ .

علّه لأنه كان جالساً على عرشه ، متكئاً على منسأته ، محفوفاً بما يسنده من جوانبه ، فلما أكلت منسأته وارتخت - بطبيعة الحال - خر أمامه ، إذ فقد سنده أمامه !

داية الأرض - هنا - هي الأرضة التي تتغذى بالأخشاب ، وهي تلتهم سقوف المنازل الخشبية وابوابها وقوائمها بشرابة وشراسة خطيفة ، فلا تبقي عليها قائمة ولا تذر .

« .. فلما خُرّ تبينت الجن ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين » اذا فالجن لا هم أبناء الله حتى يُعبدوا حيث سُخروا لسليمان ، ولا هم يعلمون الغيب حتى يستعملوه ، قصة تقص عنهم ما خيل الى اوليائهم .

وترى ذلك العمل بين يدي سليمان كان عذاباً مهيناً وهو خدمة تقدم

للنبي الملك ؟ اجل كان عذاباً مهيناً لشياطين الجن جزاءً بما كانوا يشيطنون ، ذوقاً قليلاً من عذاب السعير ، واما مؤمنوا الجن والانس المستخدمين فلم يكونوا ليكلفوا لديه تبلك الاعمال الشاقة المبرهة ، إلا قدر المستطاع ، فلم يكن العذاب المهين الا لشياطينهم .

ثم « ما لبثوا في العذاب الاليم » تلمح بطول مكوث سليمان ميتاً متكثراً على منسأته ، فليست قضية سويغات ، لا سيما وان ارضه الارض لا تسطع ان تاكل المنسأة ليوم واحد ، إلا اياماً طائلة ، ام سنة كما يروى وان كانت بعيدة (١)



(١) الدر المنثور ٥ : ٢٣٠ - اخرج جماعة عن ابن عباس عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : كان سليمان (عليه السلام) اذا صلى رأى شجرة ثابتة بين يديه فيقول لها ما اسمك فتقول : كذا و كذا ، فان كانت لغرس غرست وان كانت لدواء نبتت فصل ذات يوم فاذا شجرة ثابتة بين يديه فقال لها ما اسمك قالت : : الحرنوب ، قال : لاي شيء أنت قال لخراب هذا البيت فقال سليمان اللهم عم عن الجن موتي حتى يعلم الانس ان الجن لا يعلمون الغيب فاخذ عصا فتوكل عليها وقبضه الله وهو متكئ فمكث حيناً ميتاً والجن تعمل فاكلتها الارضة فسقطت فعلموا عند ذلك بموته فتبينت الانس ان الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا حولاً في العذاب المهين اقول تبين الانس انما حصل بما رأوا الجن طول هذه المدة في العذاب المهين فلم يكونوا ليعلموا الغيب .

لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ
عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُّوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلَدَةٌ
طَيِّبَةٌ وَرَبُّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ
الْعَرِيمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِىْ أَكْثِدٍ تَحْمِلُ وَأَثَلٍ
وَشَيْءٍ عَمِّنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا
وَهَلْ نُجْزِي إِلَّا الْكَافِرَ ﴿١٧﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ
الْقُرَى الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظُهُورًا وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ
سِيرُوا فِيهَا لِيُبَيِّنَ لِآيَامِنَا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنِ
أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ
كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾
وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ
الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ

مَنْ يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيفٌ ﴿٢١﴾

آيات سبع تعرض سبأ في مسرح من حياة الفرح والترح ، اعراضاً عن الرب الغفور وطيبة البلدة ، فابتلاء بسبل العرم ، عرامة بعرامة « ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي الا الكفور » .

و « سبأ » اسم رجل ولد عشرة من العرب فتيا من منهم ستة . . (١) فهم آباء قوم كانوا يسكنون جنوبي اليمن بارض خصبة وبلدة طيبة ما تزال الى اليوم . منها بقية ، وقد ارتقوا في سلم الحضارة ونضارة الحياة المادية . لحد لا قبل له ، وقد تحكموا في مياه الامطار الغزيرة التي كانت تأتيهم من البحر في الجنوب والشرق ، فأقاموا خزاناً طبيعياً يتألف جانباه من جبلين ، وجعلوا على فم الوادي بينهما سداً ، فاخترنوا كميات هائلة من الماء وراء السد ، سداً لحاجاتهم المرحة ، وقد عرف باسم « سد مأرب »

و « جنتان عن يمين وشمال » قد تغيان ذلك الخصب والوفرة جانبي ذلك السد ، وهما آية من آيات النعمة الربانية كأنها خارقة العادة بين القرى المجاورة لها ، او منقطعة النظير ! .

« كلوا من رزق ربكم » حيث رزقكم اياه « واشكروا له » قالاً وحالاً واعمالاً ولا تطفوا فيه فيحل عليكم غضبي - « بلدة طيبة » في وفر النعم « ورب غفور » . بوفر الغفر والكرم ، على ما انتم عليه من تقصير .

(١) الدر المنثور ٥ : ٢٣١ - اخرج جماعة عن فروة بن مسيك المرادي قال اتيت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) . . . فقال رجل يا رسول الله (صلى الله عليه وآله) =

« فاعرضوا » عن ربهم وشكره حيث اخذتهم العزة بالاثم ، وبدلوا
 نعمة الله كفوراً « فارسلنا عليهم سيل العرم » عرماً بعزم ا يجرف ويعرم في
 طريقه كل صغيرة وكبيرة ، وكل حجارة صخرة صلبة ، فحطم سدهم
 وانساحت مياههم سيلاً على سيل فلم يعد الماء يخزن حيث جفت كما
 جفوا ، واحترقت الجنتان كما أحرقوا ، فتبدلت جناتهم ويلات ، صحراء
 قاحلة تتناثر فيها الاشجار الخشنة البرية :

« وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي اكل خط وائل وشيء من سدر
 قليل » (١٦) افاالجنت التي كانت تأتيهم بكل نعمة غزيرة اشكالاً والواناً ،
 أصبحت لا تأتيهم إلا خطاً : شجر الاراك ام كل ذي شوك ، وأثلاً يشبه
 الطرفاء ، وشيئاً قليلاً من سدر ، فليأكلوا شائكاً ، وطرفاء لا ثمر لها ،
 وسدراً قليلاً ! .

فتلك اصابة لهم في ماكلهم ومن هنا الى مسكنهم الطريف :

« وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها
 السير سيروا فيها ليالي واياماً آمنين » (١٨) .

« ... قوم كانت لهم قرى متصلة ينظر بعضهم الى بعض ، وانهار
 جارية واموال ظاهرة فكفروا بانعم الله عز وجل ، وغيروا ما بانفسهم من
 عافية الله ، فغير الله ما بهم من نعمة والله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما
 بانفسهم فارسل الله عليهم سيل العرم ففرق قراهم وخرب ديارهم وذهب

وسلم) وما سبا ؟ ارض او امرأة - قال (صلى الله عليه وآله وسلم) ليس بارض ولا
 امرأة ولكنه رجل ولد عشرة من العرب فتيا من منهم ستة وتشاء منهم اربعة فاما الذين
 تشاءموا فلخم وجذم وغسان وعاملة واما الذين تيامنوا فالأزد والاشعريون وحير وكننة
 ومدحج والنمارة فقال رجل يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وما النمارة ؟ قال :
 الذين منهم خثعم وبجيلة .

بأموالهم وأبدلهم مكان جنتيهم ..»^(١)

« القرى التي باركنا فيها » هي القرى الشامية ، و « قرى ظاهرة » هي الباهرة في عمرهم ، الزاهرة ببركاتهما ، قرية المنازل ، متقاربة المحطات ، مقدرة السير ، محدودة المسافات « وقدرنا فيها السير » تقديراً متناسباً متناسقاً لا يخرج المسافر من قرية إلا ويدخل في أخرى مثلها ، فلا تختص أمة السير فيها بالنهار ، بل « سيروا فيها ليالي وإياماً آمنين » !

وما الطفها مسافات في تلكم السفرات السافرات ، قراها الظاهرة هي لصق بعض ، لا يخلد بخلد المسافر انه ناء عن منزله إلا نزهة ولذة .
ويبدو انها كانت لهم نعمة سابغة لاحقة للسابقة ، وكان الله أبدلهم اياها بجنتيهم امتحان الامتحان فكفروا ثانية :

﴿ فقالوا ربنا باعد بين اسفارنا وظلموا انفسهم فجعلناهم احاديث ومزقناهم كل ممزق ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور ﴾^(١٩).

فقد غلبت عليهم الشقوة ولم ينتفعوا من الندارة الاولى ، فانما دعوا الله دعوة حمقاء « فقالوا ربنا باعد بين اسفارنا » كانوا يرفضون النعمة بعد النعمة ، ام يستاثون من رحمة بعد رحمة ، فما دائهم وما دوائهم إلا اجابة الدعوة « وظلموا انفسهم » في هذه الدعوة « وظلموا انفسهم » قبل هذه الدعوة بما بغوا وطفغوا ، فاستجيبت دعوتهم البتراء الخواء اذ كانت بطراء حمقاء « فجعلناهم احاديث » يتحدث عنهم في كل نادٍ كامثولات لكل حق في عمق كيف يدعى الرب لازالة النعمة الى نقمة ؟ « ومزقناهم كل ممزق »

(١) في الكافي بإسناده عن سدير قال سأل رجل ابا عبد الله (عليه السلام) عن الآية ...

عن كل رباط وملصق فلم يبق لهم وصل إلا إلى فصل ، في أوطانهم
واسفارهم ، حيث بطروا النعمة ولم يصبروا على المحنة .

لقد فرق سبا ومزق أيادي سبا في انحاء الجزيرة مبدئي الشمل ،
وعادوا أحاديث الهزء على الألسنة بعد أن كانوا أمة حضارية غالية المصدر ،
عالية المورد ، ذات وجود في الحياة « أن في ذلك لآيات لكل صبار شكور »
صبراً في البأساء وشكراً في النعماء ، بل وصبراً في النعماء والبأساء وشكراً في
النعماء والبأساء .

« ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقاً من المؤمنين » (٣٠) وما
كان له عليهم من سلطان إلا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك
وربك على كل شيء حفيظ » (٣١) .

« لقد » تأكيدان اثنان أن « صدق عليهم إبليس ظنه » في أبعاد
إبعاد ، حيث أراهم ظنه صادق اليقين ، أم وجدته صادقاً عليهم كأنهم لا
يشكون في صدقه فيعاملونه ^{عمل} اليقين ، بما صدق قالته عند الله :
« فبِعزتك لاغوينهم اجمعين . إلا عبادك منهم المخلصين » (٣٨ : ٨٣)
وقالته الأخرى « أنا خير منه » حيث المتبوع خير من التابع ، ومن التابعين
من هو أكفر من إبليس ! فقد وقع العباد في مربع من فخ إبليس دون نجاة
إلا بصادق الإيمان ! وهم في « عليهم » كل العباد لمكان الاستثناء إذ لم
يكن في سبا فريق من المؤمنين ، مهما كان المحور لذلك التصديق هم سبا
واضراً بهم فانهم التجواله العليا لرحلات الشيطان ، ثم و « عليهم » تدلنا
على أن مربع التصديق كان « عليهم » . ومن ثم لم ينبج المؤمنون كلهم
« إلا فريقاً من المؤمنين » وهم صادقوا الإيمان ، وأما البسطاء ، وأما اتباع
الشهوات ، فهم سيقه الشيطان مهما كانوا مؤمنين : « وما يؤمن أكثرهم
بالله إلا وهم مشركون » فالقلة القليلة من المؤمنين مخلصين ومخلصين
هم الذين لا يتبعون إبليس في أحلك الظروف وأهلكها ، وليس

ذلك التصديق الكاذب اللعين بسلطان له عليهم : « ان كيد الشيطان كان ضعيفاً » وكما يصدق هو اذ قضى الامر : « وقال الشيطان لما قضى الامر ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا انفسكم ما أنا بمصرخكم ولا أنتم بمصرخي إني كفرت بما أشركتمون من قبل ان الظالمين لهم عذاب اليم » (١٤ : ٢٢) .

انه لا سلطان له على اي انس او جان ، لا حجة تقبلها العقول ، ولا قوة تسير ذوي العقول ، وانما مكرراً وخداعاً وكذباً ، ولماذا الله جعل له سلطان المكر والخداع ؟ « وما كان له عليهم من سلطان الا لنعلم... »

و « نعلم » هذا كما في اشباهه هو من العلم العلامة السمة ، لا العلم المعرفة ، فلكي يسم الله « من يؤمن بالآخرة » بسمة الايمان ، ويعم « من هو منها في شك » بوضمة اللا ايمان ، لم يكن الله ليصد عنهم سبيل الشيطان .

هذا ! ولكي يقضى على فوضى الإدعائات الجوفاء ، ويقف ويوقف كل مدع عند عمله في تجربة من سلطان الشيطان ! « وربك على كل شيء حفيظ » لا يفوت منه فائت ولا يفلت منه فالت ، فليس اتباع الشيطان فلتة خارجة عن حيطة الحفيظ ، فان حرите في تصديق ظنه حفيظ على صدق المؤمنين وكذب الكافرين ، حفيظ على كافة الموازين في كل تقوى وطغوى !

وانما يختص من بين شعب الايمان واللا ايمان هنا الآخرة ، لان الايمان بها هو الرادع الاصيل عن اتباع الشيطان ، فرب مؤمن بالله ويزسله لا يؤمن بالآخرة لا يردعه ذلك الايمان كما تردعه الآخرة !

قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ^ط
 لَا يَمْلِكُونَ مِنْ ثِقَالٍ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ
 وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكَ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾
 وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّىٰ إِذَا
 فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ^ط قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ
 الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾ * قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ
 وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ
 مُبِينٍ ﴿٢٤﴾ قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أُجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا
 نَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ
 وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾ قُلْ أُرُونِي الَّذِينَ أُحْفَظْتُمْ بِهِ
 شُرَكَاءَ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ
 إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ

لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ
صَادِقِينَ ﴿٢٩﴾ قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَعِجِرُونَ عَنْهُ
سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ

« قل ادعوا . . » امر تعجيز بصيغته ، ناحية منحى ابلغ نهي واكده ، وهو بالنسبة للعاكفين على دروب الضلالة ، المصرين فيها « قل ادعوا . . » ما لكم نفس او نفس ، ولستوف تعلمون انهم « لا يملكون مثقال ذرة في السماوات ولا في الارض » من تحويل او تحوير في ملك الله كآلهة ، إذ « ما لهم من شرك » في شيء منها ، ثم « وما له منهم من ظهير » يعاون الله في قضمير ا فلا هم شركاء الله ، ولا هم معاونوه ! فالله ظهير لمن سواه على اية حال ، اللهم إلا في ظلمهم ، وما له منهم من ظهير ! ثم الشفاعة فيما تموز « لا تنفع » مهما حاولوها « إلا لمن اذن له » بشروطها للشافعين والمشفع لهم .

وعلى الشفاعة المنفية هنا هي ليوم الدنيا حيث هم ناكرون يوم الدين فضلاً عن شفاعته ، ثم وهي في تكوين وتشريع هنا كما يدعونها « هولاء شفعوا عند الله » شفاعة التقريب الى الله زلفى : « ما نعبدهم الا ليقربونا

سورة سبا / آية ٢٢ - ٢٣ ٢٦١

الى الله زلفى » وليست الا باذنه ولم ياذن لهم ، واما شفاعة التشريع فلا اذن فيها حتى لا فضل النبيين ، وقد تشمل الشفاعة لما بعد الموت ، حيث المتكلم عنها هنا هو الله دونهم .

ثم و « فزع عن قلوبهم » دون « فزعت قلوبهم » دليل زوال الفزع عن قلوبهم بعد واقعه ، واذا كان « هم » هنا هم الشافعون باذنه ففيما - اذا - الفزع حتى يفزع ؟ .

علمهم لانهم قبل اذنه تعالى فزعون حيث يترصدون أمره ، فان في انتظار الأمر فزع الدهشة لموقف المأمور ولما يؤمر ، وفزع الخوف حيث « يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون » (١٦ : ٥٠) والفزع هو التأثير والانقباض من الخوف « حتى اذا فزع عن قلوبهم » حين ياذن لهم بشفاعة في تكوين حيث هم عمال رب العالمين ، ثم يفعلون ما يؤمرون ، فهناك « فزع عن قلوبهم » لواقع الأمر وتطبيقه ، وكما هم فيما بينهم يتساءلون مستبشرين « قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير » !

ذلك ! ولا نحتمل ان « هم » هم المشركون ، حيث لا يفزع عن قلوبهم على أية حال ، وهم فزعون في ضيق قلوبهم ويوم القيامة هم من المفضوحين .

فالشافعون بحق ، الراصدون اذن ربهم ، هم فزعون ، فكيف اذا لم يؤذن لهم أم لم يكونوا بحق ؟ ، فإين - اذا - « هولاء شفعائنا عند الله » وإين هم من « يقربونا الى الله زلفى » وليس لهم من الامر شيء ؟

ثم وبوجه عام كان ملائكة الوحي عمالاً وغير عمال فزعين من انقطاع الوحي في الفترة بين المسيح (عليه السلام) ومحمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ، ناظرين وحي الشريعة بما سبقت لهم بشارة بذلك الوحي

الأصيل ، ولم تكن لهم شفاعة وتدخل فيها ، فصبروا طويلاً « حتى اذا فزع عن قلوبهم » حين بزغ وحي القرآن على قلب نبي القرآن ، فاستغرقوا فرحاً مستبشرين متسائلين بعضهم البعض : « ماذا قال ربكم » وبعد ذلك الرشح العظيم ، فما وحي العمالة عندنا امام وحي القرآن بشيء « قالوا الحق » الذي لا حول عنه ولا تحويل ولا تجديد ولا تدجيل ، حق ثابت لا حول عنه ، ولا تحريف ولا نسخ ولا تبديل « وهو العلي الكبير » ! . ام ان ذلك هو طبيعة الوحي وماهيته ، حيث يفزع قبل حصوله انتظاراً له ، ويفزع حين حصوله قرعاً على اهله ، ثم يزول الفزع بعد استقرار .. (١) .

« وهو العلي الكبير » دون ان يعلى عليه ويستكبر ، فهو الله لا سواه ، وهو الرب ليس الا اياه ، وهو الرزاق ذو القوة المتين دون شفاعة شفيع إلا

(١) البرهان ٣ : ٣٥١ القمي في رواية ابي الجارود في الآية « وذلك ان اهل السماوات لم يسمعوا وحياً فيها بين عيسى بن مريم (عليه السلام) الى ان بعث الله جبرئيل الى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فسمع اهل السماوات صوت وحي القرآن كوقع الحديد على الصفا فصفق اهل السماوات فلما فرغ من الوحي انحدر جبرئيل كلما مر باهل السماوات فزع عن قلوبهم يقول : كشف عن قلوبهم ، فقال بعضهم لبعض ماذا قال ربكم ؟ قالوا الحق وهو العلي الكبير .

وفي الدر المنثور ٥ : ٢٣٦ - اخرج جماعة عن النّوّاس بن سميان قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : اذا اراد الله ان يوحى بامر تكلم بالوحي فاذا تكلم بالوحي اخذت السماء رجفة شديدة من خوف الله تعالى فاذا سمع بذلك اهل السماوات صعقوا وخرّوا سجداً فيكون اول من يرفع رأسه جبرئيل (عليه السلام) فيكلمه الله من وحيه بما اراد فيمضي به جبرئيل على الملائكة (عليهم السلام) كلما مرّ بسماء سماء سألته ملائكتها ماذا قال ربنا يا جبرئيل فيقول : قال الحق وهو العلي الكبير فيقولون كلهم مثل ما قال جبرئيل (عليه السلام) فينتهي جبرئيل بالوحي حيث امره الله من السماء والارض .

من اذن له ، اذاً فهو هو الشفيح والشافعون عمال لتحقيق الشفاعة حيث الدار دار الاسباب :

« قل من يرزقكم من السماوات والارض قل الله وإنا أو اياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين » (٢٤) .

« قل .. قل .. قل .. » ضربات كأنها مطارق تدفع بالحجة ، وتوضح المحجة ، في جولات تلو بعض حول قضية الشرك والتوحيد ، جولات تطوف بالقلوب في مختلف مجالات الوجود ، بمواقف مرهوبة ترجف فيها الأوصال ، وتتغير الاحوال بغيار الأهوال ، كل ذلك في ايقاعات قوية وادبية تصدع بقاطع البرهان في قوة وسلطان !

« قل » لمن يدعون من دون الله شفعاء وآلة « من يرزقكم من السماوات والارض » ؟ روحياً او مادياً « قل الله » حيث يصدقون الله كإله الاصل وانما الاختلاف في الشبكات ، فلانه رسول الله وهو لسان الناس عن فطرة وعقلية اصيلة فليكن هو المجيب « قل الله » .

ثم وفي نطاق الخلاف بينك وبينهم في اصول وفروع عقائدية وطقوس دينية فمعاملة في الحوار باظهار الحق اليقين بمسرح الشك ، ولكي تجذبهم من الشك الى اليقين دون مفاجئة بصراح القول الحق : « نحن على هدى وانتم في ضلال مبين » بل « وانا أو اياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين » :

لا تخلوا من بيتنا هدى وضلال مبين ، وعلى الشاك في ضلاله وهذا أن يحاول الخروج عن ضلال الشك الى هدى اليقين ! وانها غاية النصفة والاعتدال في ادب الجدل ان ينبري رسول الحق بلا تحتم لضلالهم ولا هداه ليشير فيهم التفكير في هدوء دون إذلال لهم في طرح القول : انهم هم في ضلال ، حيث الجدل بذلك الأسلوب المذهب الموحي الشهى أقرب الى لمس القلوب المقلوبة ، لو ان لها منفذاً الى النور !

ومن ثم الى حلقة ثانية للحوار اعمق ادبياً واعرق في اجتثاث جذور التعنت والاستكبار :

« قل لا تسألون عما اجرمتنا ولا نسأل عما تعملون » (٢٥) .

حيث يسأيرهم في تهمة الاجرام انه ومن معه كأنهم المجرمون ، فلستم انتم - اذاً - مسؤولون ، وانما المجرمون هم انفسهم مسؤولون ، ثم لما ياتي دورهم في نسبة الاجرام لا يفصح عنه بما أفصح لنفسه ، وانما « ولا نسأل عما تعملون » اجراماً وسواء ، ف « كل نفس بما كسبت رهينة » ، ولا تزر وازرة وزر اخرى .

وبهذه اللمسة اللامعة يخطئهم في خرافة الطائر ، ولكي يفكر كل في نفسه لنفسه ، دون محاولة لتخطئة الآخرين ، ومن حال الخاطئين تلطيح المصلحين ليجعلوهم كما هم فيستريحوا منهم ! .

والى حلقة ثالثة لو اننا عيينا عن ان نفتح بيتنا بالحق :

« قل يجمع بيتنا ربنا ثم يفتح بيتنا بالحق وهو الفتاح العليم » (٢٦) .

فذلك الجمع ليوم الجمع ضرورة لا عيب عنها ، ولاقل تقدير فتحاً بيتنا بالحق ، حيث العلم المحيط والعدالة والحكمة تقتضي ذلك الفضل الحكيم من «الفتاح العليم» ! : « ويقولون متى هذا الفتح ان كنتم صادقين؟ قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا ايمانهم ولا هم ينظرون » (٣٢ : ٢٩) .

ان الاقرار بوجود الله العلي القدير ، الفتاح العليم ، لزامة تقرير يوم للفتح بين المتخالفين في توحيد الله والاشراك به ، فاذا لم يفتح هنا فلا بد من فتح في الأخرى وهي هي يوم الحساب ! فليس الفتاح العليم لترك الامور مختلطة إلا الى حين ، ثم وهو لا يجمع بين المحقين والمبطلين إلا ريثما يقوم الحق بدعوته ويبدل طاقته ويجرب تجربته ثم يمضي امره ويفصل

فصله ويفتح فتحه « وهو الفتح العليم » !

« قل اروني الذين الحقتم به شركاء كلا بل هو الله العزيز الحكيم » (٢٧) .

« اروني » هؤلاء الشركاء الملحقين المقحمين ، الذين هما مادة الخلاف - الاصيل - بيتنا ، لكي نقدم فتحاً هنا بيتنا قبل الأخرى ، « اروني » من ربوبياتهم مثقال ذرة ، بل هم المربوبون كسائر الخلق اجمعين « كلا بل هو الله العزيز » على « الذين الحقتم به شركاء » - « الحكيم » في ربوبيته دون حاجة الى شركاء مقحمين !

فعرته تعالى وحكمته هما حجتان قاطعتان كل شركة في الوهيته ، دامغتان كل شريك له ، ولو ان عزته وحكمته غير كافية فباحرى شركائه الفروع هم اذل واوهى ! « كلا بل هو الله العزيز الحكيم » !

« اروني » اياهم رأى البصر والبصيرة ، لزي هل فيهم من بيزات الربوبية شيء ، فاصنامهم ميتة ، وطواغيتهم طاغية من حزب الشيطان ، وكرمائمهم كالملائكة والنبين هم « عباد يكرمون لا يسبقونه بالقول ويفعلون ما يؤمرون » فابن الربوبية في سواه ؟ « كلا بل هو الله العزيز الحكيم » !

وفي « اروني » لمحات من استنكارات واستخفافات : ارونهم ما هم ؟ من هم اين مكانهم ومكانتهم ؟ وكيف استحقوا ذلك الإلحاق ، وإذا هم آلهة كما الله فكيف ما الحقهم هو بنفسه ، ام ما لحقوا هم انفسهم اليه ، حتى كنتم انتم عبدتهم تلحقونهم بالله ؟ « كلا بل هو الله العزيز الحكيم » !

« وما ارسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ولكن اكثر الناس لا يعلمون » (٢٨) .

آية منقطعة النظير بحق البشير النذير ، عن رسالته الكافة للناس ، دلالة صارمة على ان رسالته خاتمة الرسالات حيث تكف الناس كل الناس

هما يجب كفهم عنه من مختلف المحظورات والمحذورات .

فذلك الرسول هو كافة للناس مبالغة بالغة في الكف والكفاف ، مهما كانت الرسائل السابقة كفاً دون كفاف ، فإنما كانت رسائل تحضيرية تعبد الطريق لهذه الكافة للناس .

والكافة من الكف العضو حيث يكف ، ومن الكف مصدرأ ، وهما المعنيان مبالغة فيهما هنا ، فهو كف فيه الكفاية ليكف كل الناس عن كل المحاذير ، فقد تشمل الدعوة كل الناس ولكنها لا تكفهم ، وقد تكفهم كلهم ولكنها لا تشملهم ، وهذه الدعوة الكافة تشملهم كلهم^(١) في كف واحدة وتكفهم ، ف- « يا ايها الناس أدخلوا في السلم كافة » (٢: ٢٠٨) دخولاً للكل وكفاً عن خطوات الشيطان بوحدة جامعة ! .

(١) الدر المنثور ٥ : ٢٣٧ - اخرج ابن المنذر عن أبي هريرة قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : اعطيت خساً لم يعطهن نبي قبلي بعثت الى الناس كافة الى كل ابيض واحمر ... وفي تفسير البرهان ٣ : ٣٥١ القمي باسناده الى حفص الكناسي قال سمعت عبد الله بن بكر الدجاني قال : قال لي الصادق جعفر بن محمد (عليه السلام) اخبرني عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كان ارسل عامة للناس ؟ ليس قد قال الله في محكم كتابه « وما ارسلناك الا كافة للناس » لأهل المشرق والمغرب وأهل السماء والأرض من الجن والأنس هل بلغ رسالته اليهم كلهم ؟ قلت : لا ادري قال يا بن بكير ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يخرج من المدينة فكيف ابليح أهل المشرق والمغرب ؟ قلت : لا ادري ، قال : ان الله تعالى امر جبرئيل فاقتلع الأرض بريشة من جناحه ونصبها لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فكانت بين يديه مثل راحة في كف يده ينظر الى أهل المشرق والمغرب ويخاطب كل قوم بالسنتهم ويدعوهم الى الله والى نبوته بنفسه فما بقيت قرية ولا مدينة الا ودعاهم النبي بنفسه .

اقول « مثل راحة في كف يده » استفادة لطيفة من « كافة للناس » ولكن الكافة لا تستلزم =

انه « كافة للناس » ككل « ولو كان لربك شريك لآتتك رسله » وإذا لشريكه او شركائه رسل فارونيههم ، فاذا لا رسل لمن الحقتم به شركاء فاين الربوبية ؟ .

انه « كافة للناس » في رسالته المبشرة المنذرة ، وحين يحصل الكف للناس كل الناس ، عن كافة المخطورات طول الزمان وعرض المكان فليكف عن ارسال رسول بعده ، فماذا بعد الكافة إلا تحصيلاً لحاصل ام تضييعاً؟ فهذه الآيات من آيات رسالته العالمية ، الخاتمية ، فلا يرسل بعده من رسول ، كما لم يرسل معه ، والذين اتوا قبله كانوا رسلا لتعبيد الطريق لرسالته السامية الخالدة .

« ولكن اكثر الناس لا يعلمون » رسالته وكافته وبشارته ونذارته ، او « لا يعلمون » الرباط العريق بين رسالته الوحيدة والربوبية الوحيدة . كما « لا يعلمون » ان الرسالة الكافة لا تسمح لرسالة اخرى معها او بعدها عن الله الواحد فضلاً عن « الحقتم به شركاء » ! .

و « لا يعلمون » انه وهو رسول ليس له من الأمر شيء إلا « بشيراً ونذيراً » فهم يتظلمون إليه آيات إلهية خارقة العادة كأنه مخول فيها ، ام موكل عليها ، كما ويقترحون عليه علم الساعة :

« ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين » (٢٩) ترى وما هي الرباط

= الدعوة بنفسه ، فان لزم فهل دعاهم بعد موته؟ ايضاً - بنفسه ، ولو انه دعى كلاً بلغته كانت فيها الكفاية عن الكتب التي بعث الى الملوك والرؤساء ، وكفاهم حجة قبل ان يسمموا الى قرآنه ويروا سائر برهانه ، وأظن تنمة الحديث من مقحمات الوضاعين ! . ثم المروي عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) تعارضه الآيات الدالة على عمومية الرسالة لاولى العزم ودواياتها ، إلا ان تعني الكافية في طول الزمن الى يوم القيامة مع المشاركة في عرض المكان لردح من الزمن .

بين حق الوعد والعلم بمتاه؟ وحتى لو اخبرهم بمتاه وهم ناكروه في اصله فما هي - اذا - الفائدة ، إلا نكراناً على نكران ؟ .

اتوى احدهم حين يُسأل متى تموت وهو لا يدريه ، هل له اولك نكران موته وكل يعلم موته ؟

ام حين يسأل متى ولدت وهو لا يدري ؟ هل يحصل هنا شك في انه ولد لوقت ما ؟

ذلك السؤال ، المتعنت الجاهل مكرور مدور على السنة الناكرين ليوم الدين ، معتبرين جهله (صلى الله عليه وآله وسلم) بمتاه ويجهل اصله في مداه ، ولا رباط عقيدياً وعلمياً بين مداه ومتاه؟! .

سؤال ساقط ممن ينكر يوم الدين ام يقر ، وليس الا تعنتاً وزوراً وغروراً من سائل « يسأل ايان يوم الدين » ثم الجواب الحاسم المكبت :

« قل لكم ميعاد يوم لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون » (٣٠) .

ان وعد الله واقع لا ريب فيه ، علمتموه ام لم تعلموا متاه « لكم ميعاد يوم » موتاً ، او هلاكاً ، ام جمعاً « ليوم الجمع لا ريب فيه فريق في الجنة وفريق في السعير » - « لا تستأخرون عنه ساعة » لرغبة عنه « ولا تستقدمون » عنه ساعة لرغبة فيه ، فليس وعد الميعاد فوضى جزاف، يُوخر لرغبة ، او يقدم لأخرى ، فكل شيء مسير ومصير بقدر ، وكل امر منه متصل بالآخر بحكمة مستورة لدى العزيز الحكيم .

﴿٣٠﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ
 بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ
 مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ
 يَقُولُ الَّذِينَ اسْتَضَعُوا لِلَّذِينَ اسْتَكَبرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا
 مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكَبرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضَعُوا
 أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ
 مُجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعُوا لِلَّذِينَ اسْتَكَبرُوا
 بَلْ مَكْرُ الْبَلِّ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ
 وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ
 وَجَعَلْنَا الْأَغْلَلَ فِي آعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُحْزَنُونَ
 إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ
 نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٣٤﴾

وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾
 قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَن ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الْوَضْعِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ ءَامِنُونَ ﴿٢٧﴾ وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي ءَابَتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٢٨﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ وَيَقْدِرُ لَهُ ۖ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ ۖ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٢٩﴾ وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهْتُمُ لَا ءِيَاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيِّنَا مِنْ دُونِهِمْ ۖ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ آلَٰهِنَ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُّؤْمِنُونَ ﴿٣١﴾

فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ
 لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا
 تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِذَا نُتِلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا
 مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَنْ مَا كَانُوا يَعْبُدُ
 ءَابَاءَهُمْ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا إِنْكَارٌ مِمَّا تُفْتَرُونَ وَقَالَ الَّذِينَ
 كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٤٣﴾
 وَمَا ءَاتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ
 قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ ﴿٤٤﴾ وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَّغُوا
 مِعْشَارَ مَا ءَاتَيْنَاهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ
 نَكِيرِ ﴿٤٥﴾ *

« وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه ولو
 قري ... » (٣١) .
 قوله جاهلة قاحلة من « الذين كفروا » في استحالة الايمان بالقرآن وما

بين يديه من كتاب ! فحقى لو تاكدوا - فعلاً - من بطلانه لكانت الإستحالة باطلة ، حيث الحال لا تحكم على الاستقبال ، فرب حال ترى انها من المحال لقصور في العلم او القدرة ، ثم يتحول في الاستقبال من راجحة الأحوال .

اجل في الضروريات العقلية الثابتة لدى كل عاقل قد يصح القول الصامد « لن - او - حتماً » مستحيلًا ام واجباً ، واما غير الضروريات البدائية ، فضلاً عما تدل بنفسها على حقها كما القرآن ، فكيف يصح القول « لن نؤمن بهذا القرآن » اللهم إلا ان يجبروا بمدى لتأمتهم وعنادهم للحق ، دون قصور في القرآن ، ولكنهم على عنادهم قد يتحولون الى حالة اخرى !

ف - « لن » في مثل القرآن ليست لتصدق او تصدق على أية حال ، وهم يرفضون بها حاضِر الايمان ومستقبله بالقرآن ، عناداً .

فالقرآن بنفسه شاهد صدق يفرض على من يتدبره الايمان به ، ويرجع لمن لم يتدبر ، واما إحالة الايمان فليست إلا من إغلاق باب العقل والفطرة لحدّ « وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون » (٤١ : ٢٦) !

و « الذين كفروا » هنا هم المشركون واضرابهم من غير الكتابيين مهما كانوا موحدين ، و « الذي بين يديه » صيغة دائبة في سائر القرآن عن سائر كتابات السماء ، إلا فيما تقرر بقريظة تدل على الحياة الاخرى « .. ثم لا تينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمنهم .. » فانها الحياة الأخرى بعد مستقبل الاولى ، ولكن « بين يديه » تخصه بضميرها المفرد ولا تخصه الاخرى ، اضافة الى قرن « الذي بين يديه » ب - « هذا القرآن » فما بين

يديه قرآن غير هذا من التورات والإنجيل ، مهما كان اطلاق القرآن منصرفاً الى هذا القرآن !

ولما وصل الحوار إلى هذه الحال من التعتة النكراء ، فلا تفيد بعدئذ مواصلة الحوار ، من هنا يستعرض حوار اهل النار ، كجواب لهم عما هنا :

« ... ولو ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم الى بعض القول يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا انتم لكنا مؤمنين » (٣١) .

ترى كيف « لو ترى ... » و « لو » تحيل مدخولها ؟ علها الرؤية يوم الدنيا ، ف - « لو » تلوي للترجي : يا ليت ترى في الحال حوارهم البائس في الاستقبال ؟ وكما في « ولو ترى اذ وقفوا على النار ... » (٢٧ : ٦) « ولو ترى اذ وقفوا على ربهم » (٣٠ : ٦) « ولو ترى اذ الظالمون في غمرات الموت » (٩٣ : ٦) « ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة » (٥٠ : ٨) .

ثم لما يحضر واقع المسرح للأخرى كأنه الحال « وترى المجرمين يومئذ مقرنين في الاصفاد » (١٤ : ٤٩) « وترى الارض بارزه » (١٨ : ٤٧) « ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه » (١٨ : ٤٩) .

« ... اذ الظالمون » في العقائد الرئيسية كالذين ذكروا « موقوفون عند ربهم » زجاً في سجنه وقفة الحائرين الدعيرين نظرة الحكم من رب العالمين « يرجع بعضهم الى بعض القول » الظالم المستضعف الى الظالم المستكبر وعكساً ، حيث يلوم بعضهم بعضاً ، ويؤنب بعضهم بعضاً ، القاء لتبعة ما هم فيه على بعض ، و«القول» هو « يقول الذين استضعفوا » مقصرين لا قاصرين للذين استكبروا « مقصرين لولا انتم لكنا مؤمنين » ! وليست

التبعة إلا عليكم ، إذ كنا نحن قاصرين ، ولو خلدنا وأنفسنا لكنا مؤمنين .

قولة جاهرة اليوم وقد سقطت القيم الزائفة وواجهوا واقع العذاب ، وهم قبل اليوم لم يكن يخلد بخلدهم ان يقولوها ، حيث التخاذل ، والضعف القاصد ، والاستسلام المصلحي ، وبيع الحرية والكرامة بالاركان الأدنى ، كانت تحول دون هذه القولة الجاهرة ، وهنا الجواب الحاسم من الذين استكبروا .

« نحن صددناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم » (٣٢) والهدى تحمل محلها من قلوب صافية ضافية ، فليست لتُصد بعد إذ جاءت « بل كنتم قوماً مجرمين » قبل ان نصدكم ، فقد أجزمت ثمره الحياة تغاضياً عن فطركم وعقولكم ، وتحكيميا لحاضر شهواتكم ، ثم نحن واصلنا في إضلالكم : ظلمات بعضها فوق بعض ، فنحن وإياكم صادون عن الهدى على سواء ، فان كنا نحن مجرمين مستكبرين ، فقد كنتم انتم مجرمين مستضعفين ، وكل اناء بما فيه يرشح !

ثم يرجع المستضعفون بما يخفف عنهم في زعمهم عذابهم ، ويثقل على المستكبرين :

« قال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار إذ تأمرونا أن نكفر بالله ونجعل له انداداً ... » (٣٣) .

لو اننا بقينا على جرمننا دون مكر وأمر منكم لحف الوطء عنا وكنا اقل منكم عذاباً « بل مكر الليل والنهار » من ناحية ونحن ضعاف العقول ، و « إذ تأمرونا .. » من اخرى وانتم اقوياء ، ولكن الذي جائته الهدى على بيته كيف يُمكر ، ام الذي يؤمن بها كيف يكفر حين يؤمر؟ والكفر والايمان من الامور القلبية لا اكراه فيها ...

هناك يدرك الفريقان من الظالمين ان ليس الحوار ليثمر تخفيفاً عن عذاب
أم تأجيلاً ، فلكل جريمته وإثمه ما هو ظالم قدره ، ثم على المستكبرين تبعة
زائدة لإضلال الآخرين ، والمستضعفون عليهم وزرهم باتباعهم مقصرين ،
لا يعفيهم انهم كانوا مستضعفين ، كما لا يعفي المستكبرين ان هولاء كانوا
مجرمين .

فهناك تُختم الحوار برؤية العذاب وحيث لا تفيد الحوار :

«... واسروا الندامة لما رأوا العذاب» كل من المستضعفين
والمستكبرين « وجعلنا الإغلال في اعناق الذين كفروا » وهي في الحق تلکم
الاغلال التي غلوا بها انفسهم ، غل الاستضعاف وغل الاستكبار ، واين
غل من غل ؟ واين عذاب من عذاب ؟ « هل يجزون إلا ما كانوا يعملون »
غلاً بغل : و « لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك
اليوم حديد » ١

« وما أرسلنا في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا بما أرسلتم به
كافرون » (٣٤) .

فلان ماهية الرسائل الإلهية وطبيعتها هي الحفاظ على العدل بين
الناس ، والقضاء على تطاولات المستكبرين والطفات والمترفين في اللذات
والحيونات ، لذلك كانت تعارض منذ بزوغها من قبل المترفين فلم تكن
- اذاً - خلاف ما يزعم - بجانب الرأسمالية وتحديراً للمستضعفين (١) فـ -

(١) الدر المنثور ٥ : ٢٣٨ - اخرج ابن أبي شيبة وابن المنذر وابي حاتم عن ابن
زيد قال كان رجلان شريكان خرج احدهما الى الساحل وبقي الآخر فلما بعث النبي
(صل الله عليه وآله وسلم) كتب الى صاحبه يسأله ما فعل فكتب اليه انه لم يتبعه أحد
من قرىش الا رذالة الناس ومساكينهم فترك تجارتهم واتى صاحبه فقال له دلي عليه وكان =

« انا بما ارسلتم به كافرون » دون تأمل وتحليل ، وتغاضياً عن كل دليل ، هي كلمة المترفين على مر الزمن الرسالية ، معادة مكرورة في كل قرية ، حيث الترف يغلف القلوب ويفقدها كل حساسية عقلية ولمسة فطرية ، لحد يحسبونهم هم الموضوع الرئيسي والمحور الأساسي في الحياة ، وان اموالهم واولادهم هي مانعهم من العذاب في الأخرى كما تمنعهم في الأولى ! :

« وقالوا نحن اكثر اموالاً وأولاداً وما نحن بمعذبين » (٣٥) ولو كان هنالك عذاب فانما هو للمستضعفين فلنا الترف في كل طَرَف من اطراف الحياة : « ولئن اذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لي وما اظن الساعة قائمة ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى » (٤١ : ٥٠) .
وي ! كاغما الاموال والاولاد هي التي تقربهم الى الله زلفى فلا يعذبون ، وليست هي من حسن اعمالهم ، ولا انها منهم حتى ولو كانت حسنة لهم :

« قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ولكن اكثر الناس لا يعلمون » (٣٦) .

إنهم يحسبونهم ان بايدهم بسط الرزق وقدره ، وهم يرون كثيراً ممن يسعى مجداً فلا يجد سعة إلاّ قدراً ، وآخرين لا يسعون كثيراً - ام - ولا قليلاً ولهم بسط في الرزق ، وهذا لا ينافي الضابطة المطردة : « وأن ليس للانسان إلاّ ما سعى » فانما بسط الرزق وقدره في أكثرية ساحقة خارجان عن مدى السعي والبطالة « ولكن اكثر الناس لا يعلمون » حيث يزعمون

= يقرأ الكتب فان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال : إلى مَ تدعو قال (صلى الله عليه وآله وسلم) : الى كذا وكذا قال : اشهد انك رسول الله قال ما علمك بذلك قال : انه لم يبعث نبي الا اتبعه رذالة الناس ومساكينهم فتزلت هذه الآيات .. فارسل اليه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ان الله قد انزل تصديق ما قلت .

بسطه بما هم ييسطون وقدره بما هم يقدرُون ويقدرُون ! فمسألة بسط الرزق وقدره هي من اهم ما تحيك في صدور كثيرة ، فحين تفتح الدنيا بزخارفها على المبطلين ، ويحرم بجنبهم الآخرون ، ينجّل الى الجهال ان الله ليس ليغدق على احد إلا وله عنده زلفى ، ولا يخلق على أحد إلا البعيدين عنها ، وذلك حين ما تختل الموازين والقيم ، وتختلط القيم الروحية والمادية فتخلف فوضويات من الظنون الرديئة ، ولكن :

« وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى إلا من آمن وعمل صالحاً فاولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم في الغرفات آمنون ^(٣٧) » والذين يسمعون في آياتنا معاجزين اولئك في العذاب محضرون ^(٣٨) .

ف - « المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير أملاً » (١٨ : ٤٦) .

فانما تقربكم الى الله زلفى ، « الباقيات الصالحات » الايمان وعمل الصالحات ، فالاموال والاولاد التي تستخدم لمرضات الله هي خير عند ربك ثواباً وخير أملاً « فاولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا » عملاً مضاعفاً فاصل الايمان وعمل الصالحات عمل ، والاموال والاولاد التي تستعملهم في صالحات عمل ثانٍ ^(١) فما بقيت صالحة خيرة فلك منها ثواب ، وكما على الذين يعملون طالحات ، ويستعملون اموالهم واولادهم في طالحات ،

(١) القمي ذكر رجل عند ابي عبد الله (عليه السلام) الاغنياء ووقع فيهم فقال (عليه السلام) اسكت فان الغني اذا كان وصولاً لرحمة باراً باخوانه اضعف الله له الاجر ضعفين لان الله يقول « وما اموالكم ... إلا من آمن وعمل صالحاً فاولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا ... » .

اولئك لهم ضعف العذاب ، فانما الجزاء خيراً وشرأ على قياس العمل ضخامة ووخامة : « والذين يسعون في آياتنا معاجزين » مستعملين اموالهم واولادهم في سعيهم الفاسد الكاسد « اولئك في العذاب محضرون » وكما كانوا في بواعث العذاب محضرين ، حضوراً بحضور ، بل هو هو نفس الحضور ف - « انما تجزون ما كنتم تعملون »

« قل إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر وما انفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين » (٣٩) .

« ما انفقتم من شيء » في سبيل الله اموالاً واولاداً ، واعمالاً واقوالاً واحوالاً ، « فهو يخلفه » : ابدالاً بالحسنى وهو خير الرازقين في الاولى وفي الاخرى ، وليس بسط الرزق لاهل الطغوى إلا امتحان الامتحان « .. انما نخلي لهم ليزدادوا إثماً ولهم عذاب مهين » (١٧٨ : ٣) ! .

« ويوم يحشرهم جميعاً ثم يقول للملائكة أهولاء اياكم كانوا يعبدون » (٤٠) قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن اكثرهم بهم مؤمنون » (٤١) .

خطأ في خطأ لمن كانوا يزعمونهم يعبدون الملائكة ، « بل كانوا يعبدون الجن » ويحسبونهم ملائكة حيث اروههم أنفسهم ملائكة ولكي يُعبدوا ، وليس الملائكة ليروا انفسهم للموحدين ، فضلاً عن المشركين الذين يبغونهم ان يكونوا لهم عابدين . ام « كانوا يعبدون الجن » حيث امرهم ان يعبدونا ، فالمعبود الاصل لهم هم الجن دوننا ، اذ لم تكن هناك صلة بيننا وبينهم حتى يعبدونا دون وسيط .

وهي آية حال « سبحانك » ان يُعبد من دونك « أنت ولينا من دونهم » تلي كل امورنا ، وتعلم ما نخفي وما نعلن ، فتعلم اننا ما كنا نرضى هذه العبادة بوسيط ودون وسيط ، فقد كانت عبادتهم الحمقاء هباءً على هباء

ونحن - كما تعلم - منها براء ! فانها عبادة فاضية فوضاء .

« فالיום لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا ونقول للذين ظلموا فوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون » (٤٢) .

« لا يملك » نفى استغراق في ذلك اليوم ، فالنفع والضرر مسلوبان لكل احد عن كل احد عابداً ومعبوداً إلا الله ثم « للذين ظلموا » فوق العذاب ف - « ان الشرك لظلم عظيم » ! وهنا تختتم الجولة في قضية المبدأ والمعاد ، والى جولة لما بين المبدء والمعاد :

« واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قالوا ما هذا الا رجل يريد ان يصدكم عما كان يعبد اباؤكم وقالوا ما هذا الا افك مفترى وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم ان هذا الا سحر مبين » (٤٣) .

آيات بينات هي في دعواهم افك مفترى وسحر مبين ، مقابلة الحق المبين برواسب غامضة من آثار مضت وتقاليد غيرت دون قوام متماسك على اي اساس !

فأبائنا هم الأصلاء في هذا المسرح وسواء ، و « ما هذا إلا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد اباؤكم » وكفاه كذباً ، ف « ما هذا إلا كذب مفترى » على الله إذ لا يرضى ان نترك آباءنا - .

ومن ثم في مواجهة عامة لآيات الله البينات « وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم إن هذا الا سحر مبين » .

فثالث القول الفاتكة « ما هذا - ما هذا - ان هذا » تنبئ اصالة تقاليد الآباء لا لشيء إلا أنهم آباء ! أولم يكن الآباء الموحدون الابراهيميون هم من ابائهم ؟ فليشكوا على أقل تقدير في دعوة التوحيد فيتحروا ويتخلدوا الاخرى في عقولهم ! .

وليتهم اوتوا من قبل كتباً يدرسونها ام ارسل اليهم من قبلك من نذير ،

حتى يرتكنوا في هذه السليبات على ما اوتوا ! ولكن :

« وما آتيناهم من كتب يدرسونها وما ارسلنا اليهم قبلك من نذير^(١) وكذب الذين من قبلهم وما بلغوا معشار ما آتيناهم فكذبوا رسلي فكيف كان نكير^(٢) »

فلقد عاشوا فترة انقطاع الوحي والرسالة ، فلا كتب يتعاهدون ولا رسل ، فان يكذبون هؤلاء فقد « كذب الذين من قبلهم » وهم اولاء « ما بلغوا معشار ما آتيناهم » هؤلاء الغابرين من علم ومال وقوة « فكيف كان نكير » ي عليهم على قوتهم من إهلاك وتدمير ، فما انتم بشيء تذكرون وجاههم !

وقد كانت قريش تعرف بعض هذه المصارع الغابرة ، وهنا التهديد بتلك الغابرة ، ولكي تنتبه الاجيال الحاضرة « فكيف كان نكير » ؟

كذلك « وما بلغوا » ما ارسلنا من نذير من قبلك - « معشار ما آتيناهم » الحاضرين في مسرح الرسالة المحمدية (صلى الله عليه وآله وسلم) فانه اوى ما اتوا وزيادات خالدات^(١) .

قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا
لِلَّهِ مَشْنَىٰ وَفِرَادَىٰ تُمَنِّفَتُمْ عَنْهُ مَا يَصَاحِبِكُمْ مِنْ جَنَّةٍ

(١) البرهان ٣ : ٣٥٣ - القمي في الآية قال : كذب الذين من قبلهم رسلهم وما بلغ ما آتينا رسلهم معشار ما آتينا محمداً وآل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) .

إِنَّ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾
 قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنَّ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ
 وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٤٧﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ
 بِالْحَقِّ عَلَنُومَ الْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾ قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبَدِّلُ
 الْبَاطِلَ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾ قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَلَيْسَ أَضِلُّ
 عَلَى نَفْسِي وَإِنْ اهْتَدَيْتُ فَمَا يُوحِيَ إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ
 قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾ وَلَوْ تَرَى إِذْ فُزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا
 مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾ وَقَالُوا آمَنَّا بِهِءِ وَأَنْتَ لَهِمْ
 التَّنَاوُسُ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ وَقَدْ كَفَرُوا بِهِءِ مِنْ قَبْلُ
 وَيَقْدِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ
 وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ

كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ ﴿٥٤﴾

﴿ قل انما اعظكم بواحدة ان تقوموا لله مثنى وفردى ثم تفكروا ما بصاحبكم من جنة ان هو الا نذير لكم بين يدي عذاب شديد ﴾ (٤٦).

« انما » دليل الحصر « اعظكم » - موعظة « واحدة » واحدة تتمثل في قومة واحدة متضمنة الاصول الثلاثة ، تحملاً عن أسر الاصر التقليدية للآباء القدامى وآثارها البيسية التي تجعلكم كأنكم لا شيء وهم اولاء كل شيء . كما وهم كانوا يقتفون آثار آبائهم فتسلسلا للأشياء ! فالى قومة صارمة تحللكم عن الكونية الجوفاء والنفسية الفارغة الخواء ، وتجعلكم تفكرون وتديرون اموركم بانفسكم ، خروجاً عن الحياة الهامشية كالماشية !

« قل » للناكرين أولاً وللمصدقين ، فان التصديق بحاجة الى تقدم على ضوء القيام الدائب والتفكير « حتى » بأتيك اليقين !

« انما » ليس إلا كلمة واحدة ونصيحة واحدة ، تضم كافة الكلمات ، وتخلق على كافة الوحدات والكثرات .

« ان تقوموا لله » قياماً فطرياً - عقلياً - فكرياً - علمياً - فردياً - جماعياً ، قيامة عن نومتكم وموتتكم المأسورة المحصورة في التقاليد الجاهلة العمياء ، بعيداً عن الأهواء والمصلحيات والملابسات الأرضية ، وعن المواقف والدوافع والعواطف التقليدية ، التي تشجر في القلب فتشجره وتفجره ، بعيداً عن التيارات السائدة في البيئة الجاهلة القاحلة .

« ان تقوموا لله » في الله والى الله بما منحكم الله من فطرة سليمة وعقلية عليمة ، وكل موهبة إلهية حكيمة ! « وقوموا لله قانتين » (٢ : ٢٣٨) فان الحياة الانسانية وعلى ضوء شرعة الله هي حياة القيام لله !

« ان تقوموا لله مثنى وفردى » : اثنين اثنين متعاونين - و- ، فرداً فرداً ، فما ضم الثاني في ذلك القيام إلا ضمّاً لقيام الى قيام . ولكي يكمل

سورة سبا / آية ٤٦ ٢٨٣

السير الى الله بازدواجية القيام ، فاذا لم يحصل الانضمام ، أم اضر بالقيام
فـ « فرادى » متحللين عن كافة موانع القيام ، عن ثنويات وثانويات
التقاليد الجاهلة العمياء ! .

فـ « ان تقوموا لله » هي فريضة لكل فرد فرد ، قومة في قرارات
النفوس ، وقومة عن نومة الفطر والعقول في كافة الحقول ، فليس « مثنى »
الا ليراجع احدهما الآخر فيأخذ كل ما عند الآخر ، فتصبح اخذة رابية
شورى ، ثم تعاوناً في تطبيق ، دون تأثر بعقلية الجماهير الخاطئة ، ام
الأكثرية التي تتملي منها العيون الظاهرة ، فاذا اضررتكم « مثنى » فقوموا -
إذا - « فرادى » .

« ثم تفكروا » فانه في الأصل قيام فكري على ضوء العقل والفطرة ،
والفكر حركة من المباديء ومن مباديء الى المراد فـ « تفكروا » في ذلك
القيام ، إنما تتبنى آيات انفسية واخرى آفاقية ، مستخدمين لها للوصول الى
الحق المرام . فطالما يرمى « صاحبكم » بالجنون ، والرامون كثيرون مترفون ،
فلا تغرنكم هذه الكثرة المترابكة ، بل :

« ثم تفكروا ما بصاحبكم من جنة » : الذي بصاحبكم من جنة
تُدعى ، فما هي ؟ وما هي آثارها وتبعاتها ؟ وقد صاحبكم ربحاً بعيداً دون
جنة « فقد لبث فيكم عمراً من قبله افلا تعقلون » (١٠ : ١٦) .

افلا تكفى تلك المصاحبة منذ الولادة حتى الاربعين ان ليست به
جنة ؟ وانتم تعتبرونه في هذه الفترة اعقل العقلاء ؟ ثم اذا ما دعاكم الى ما
تقبله الفطر والفكر أصبح ذا جنة ! .

« ثم تفكروا ما بصاحبكم من جنة » ليس بصاحبكم من جنة ، ذاتية
ام خارجية ، فلئن تغاضيتم عن انه اعقل العقلاء ، فلاقل تقدير « ما
بصاحبكم من جنة » يصدر عن عقل ويرد الى عقل فتفكروا ...

« ان هو الا نذير لكم بين يدي عذاب شديد » عذاب بين يديكم اذ يستقبلكم ويأتيكم، وكل آت قريب حاضر، والحائطة في النذارة عقلية حائطة، وحق عن نذارة مجنون، فكيف بعقل فضلا عن عقل العقلاء !

وكيف بمن يملك من بينات آيات الله ما يبين انه رسول من الله، وما اوتي الرسل قبله معشار ما اوتيه !

« ايها الناس أتندرون ما مثلي ومثلكم ؟ الله ورسوله اعلم ! انما مثلي ومثلكم مثل قوم خافوا عدوا يأتيهم فبعثوا رجلاً يتراءى لهم فيبينها هو كذلك أبصر العدو فاقبل لينذرهم وخشي ان يدركه العدو قبل ان ينذر قومه فاهوى بثوبه ايها الناس أتيتم ! ايها الناس أتيتم ! ايها الناس أتيتم ! » (١)

« قل ما سألتكم من أجر فهو لكم ان اجري الا على الله وهو على كل شيء شهيد » (٢)

لقد سبق انه (صلى الله عليه وآله وسلم) سألكم المودة في قرباء بصيغة الأجر « قل لا أسألكم عليه اجراً الا المودة في القربى » (٤٢ : ٢٣) فخيّل الى بعض انه يسأل عليه من اجر، وهنا يوضح انه « لكم » حيث المودة في قربى الرسول تجركم من ابوابهم الى مدينة علمه، ثم الى الله « قل ما أسألكم عليه من اجر الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلاً » (٣٥ : ٥٧) فكانوا هم السبيل اليك والمسلك الى رضوانك .

فلست أسألكم انتم من اجر، مهما كان صيغة الأجر فـ « ان اجري الا على الله وهو على كل شيء شهيد » (٢) .

(١) مسند احمد بن حنبل حدثنا ابو نعيم بشير ابن المهاجر، حدثني عبد الله بن بريرة عن أبيه قال : خرج علينا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يوماً فنادى ثلاث مرات ايها الناس ...

(٢) راجع آية الشورى في سؤال الاجر لمجد تفصيل البحث في قول فصل .

خذوا انتم الاجر الذي سألتكم اياه ، واجعلوه زاداً لتعرف اكثر الى المبدء والمعاد ، وصاحبكم الذي هو بين المبدء والمعاد ، نذيراً لكم بين يدي عذاب شديد .

﴿ قل ان ربي يقذف بالحق علام الغيوب ﴾ (٤٨).

« ان ربي يقذف بالحق » على الباطل ! « بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون » (٢١ : ١٨) فليس الباطل يقذف الحق ، « ان ربي يقذف بالحق » لانه « علام الغيوب » والحق يحمل الغيوب والباطل لا يملك حتى الشهود ، فـ « ما يبدىء الباطل وما يعيد » ؟ وكذلك « ان ربي يقذف بالحق » في قلوب اهليه وهم الذين يتحرون عنه وهم به مؤمنون !

﴿ قل جاء الحق وما يبدىء الباطل وما يعيد ﴾ (٤٩).

لقد جاء حق تلو حق منذ بزوغ الرسالات ، ولكن الحق كل الحق انما جاء جديداً صارماً عتيداً مهيمناً على سائر الحق ، خالداً على مر الزمن بمر الحق !

« وما يبدىء الباطل » ؟ اظهاراً لأمر بدائي بديع لم يسبق ؟ كلا « وما يبدىء » : وليس ليبدىء ! .

« وما يعيد » ؟ من غابر الباطل الدفين ليدحض به الحق « وما يعيد » : ليس بمعيد شيئاً ! (١).

فحين لم يجيء كل الحق ما كان الباطل يبدىء شيئاً او يعيد ، فكيف اذا « جاء الحق » (كله) . فـ « ما يبدىء الباطل وما يعيد » ؟ ثم « وما يبدىء الباطل » في الأولى « وما يعيد » في الاخرى ، فانه زاهق في الأولى وفي الاخرى !

(١) فـ « ما » هنا استفهامية ونافية ، تعنيها مع بعض وتلو بعض وما افصحه وابلغه !

اتقولون بعد انني ضللت وانتم المهتدون ؟

﴿ قل ان ضللت فانما اضل على نفسي وان اهتديت فبما يوحي الي ربي انه سميع قريب ﴾ (٥٠).

اترى حين يصح « فانما اضل على نفسي » فاين تذهب تبعة أتباع الضال وهو ظاهر بمظهر داعية الهدى ؟

« على نفسي » هنا لها واجهتان اثنتان : ان رأس الزاوية في الضلال هو الضال مهما ضل به غيره ، ومن ثم حين يتجرد الضال عن الدعوة الى ما هو فيه مسaire في الحوار ، فهو هو المختص بضلالة ، « وان اهتديت فبما يوحي الي ربي » ويا له ادباً بارعاً في الاعتراف بضلاله لولا هدي الوحي من ربه .

فلو كانت بي جنة فمن نفسي وعليها ، وان اهتديت دون زلة ولا ضلالة « فبما يوحي الي ربي » انه سميع « دعوة الداعين « قريب » اليهم ، وقد تعني ضلال التوحيد دون ضلال في سائر جنبات الرسالة ان لو كنت ضالاً في دعوة التوحيد رغم بيناته فلا ضير لكم ان تعبدوا الهاً واحداً .

وان اهتديت فهنا الضير كل الضير في تكذيبي فإنه تكذيب لربي !

فلا عليكم - إذا - ان ضللت ، ولكم ان اهتديت فلان آثار الهدى في باهرة فعليكم - اذاً - اتباعي !

﴿ ولو ترى إذ فرعوا فلا فوت واخذوا من مكان قريب ﴾ (٥١).

« ولو ترى » : ليتك ترى الآن « اذ فرعوا » هؤلاء المشركون بأثلاث الافراع : فرع الرجعة والموت و « الفرع » الأكبر (٢١ : ١٠٣) وهو المحور وهو الآخر ؟ !

ثم «واخذوا من مكان قريب» تشملها كلها ، وحتى البعيد في قياسهم البعيد البعيد ، هو في تلك الأخذة الشاملة قريب : «واستمع يوم ينادي المناد من مكان قريب» (٥٠ : ٤١) .

وكيف لا يكون قريباً وربك الأخذ منهم قريب قريب ، وعلمه قريب وقدرته قريبة وما ذلك من الله ببعيد غريب !

وحين الرجعة عند قيام القائم بالحق يؤخذ المشركون احياء وامواتاً من مكان قريب ، فكما حيهم في هذه الأخذة قريب ، كذلك ميتهم وما ذلك على الله بعزیز^(١) .

(١) في تفسير القمي في الآية حدثني ابي عن ابن ابي عمير عن منصور بن يونس عن ابي خالد الكابلي قال قال ابو جعفر (عليه السلام) والله لكأني انظر الى القائم (عليه السلام) وقد اسند ظهره الى الحجر ثم ينشد الله حقه ثم يقول : يا ايها الناس من يحاجني في الله فانا اولى بالله ، ايها الناس من يحاجني بآدم فانا اولى بآدم ، ايها الناس من يحاجني في نوح فانا اولى بنوح ايها الناس من يحاجني بابراهيم فانا اولى بابراهيم ايها الناس من يحاجني بعيسى فانا اولى بعيسى ، ايها الناس من يحاجني بمحمد (صلى الله عليه وآله وسلم) فانا اولى بمحمد ، ايها الناس من يحاجني بكتاب الله فانا اولى بكتاب الله .

ثم ينتهي الى المقام فيصلي ركعتين وينشد الله حقه ، ثم قال ابو جعفر (عليه السلام) هو والله المضطر في كتاب الله في قوله : آمن يحيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض .

فيكون أول من يبايعه جبرئيل ثم الثلاث مائة والثلاثة عشر ، فمن كان ابتلي بالمسير وافي ، ومن لم يبتل بالمسير فقد عن فراشه وهو قول امير المؤمنين (عليه السلام) هم المفقودون عن فرشهم وذلك قول الله : فاستبقوا الخيرات اينما تكونوا يأت بكم الله جميعاً . قال : الخيرات الولاية ، وقال في موضع آخر : ولئن أخرنا عنهم العذاب الى امة معدودة . وهم اصحاب القائم (عليه السلام) يجمعون اليه في ساعة واحدة . فاذا جاء الى البداء يخرج اليه جيش السفيناني فيأمر الله عز وجل الارض فيأخذ بأقدامهم وهو قوله عز وجل : ولو ترى اذ فرعوا فلا فوت واخذوا من مكان قريب =

وانه لا فوت، في هذه الأخذة القريبة الغربية ولات حين مناص، اذ فات زمن الخلاص !.

﴿ وقالوا آمنا به وأنى لهم التناوش من مكان بعيد ﴾ (٥٢).

هم في الأخرى « واخذوا من مكان قريب » الينا، ثم لا تناوش لهم ولا تناول للاولى، وقد بعدوا بهذه الأخذة القريبة عنها، ف « انى لهم التناوش من مكان بعيد » هو دار الجزاء، لاستحالة النقلة الى دار العمل !.

﴿ وقد كفروا به من قبل ويقذفون بالغيب من مكان بعيد ﴾ (٥٣).

انى لهم « آمنا به وقد كفروا به من قبل » و « انى لهم التناوش .. وقد كفروا به من قبل » ؟! حال « ويقذفون » من قبل « بالغيب » قذف الإبطال والاستنكار « من مكان بعيد » هو الأولى عن الأخرى، وهو بعد العلم فيها عنها، والآخر غيب عن الدنيا، وهم غيب عنها فكيف « يقذفون بالغيب »

= وقالوا آمنا به [يعني بالقائم من آل محمد (عليهم السلام)] وأنى لهم التناوش من مكان بعيد وحيل بينهم وبين ما يشتهون، يعني ان لا يعذبوا « كما فعل بأشباعهم » يعني من كان قبلهم من المكذبين هلكوا « من قبل إنهم كانوا في شك مريب ».

والروايات مستفيضة من طرقنا وطرق اخواننا كما في الدر المنثور بطرق عدة عن ابن عباس وابن مسعود وحذيفة وابي هريرة وعمر وابن شعيب وأم سلمة وصفية وعائشة وحفصة ونفيرة امرأة القعقاع وسعيد بن جبير عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ومن الفاظه ما أخرجه ابن أبي شيبة والطبراني عن أم سلمة قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : يبايع الرجل من امتي بين الركن والمقام كعدة اهل بدر فيأتيه عصب العراق وأبدال الشام فيأتيهم جيش من الشام حتى إذا كانوا بالبيداء خسف بهم ثم يسير اليه رجل من قريش اخواله كلب فيهزمهم الله .. » .

من مكان بعيد « ١٩ .

انهم يقولون ما لا يعلمون ولا يتحققون ، كالرامي غرضاً وبينه وبينه مسافات متباعدة ، فلا يكون سهمه ابداً إلا قاصراً عن الغرض عادلاً عن السديد .

﴿ أنى لهم اوحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل بأشياءهم من قبل انهم كانوا في شك مريب ﴾ (٥٤) .

وعلى هنا « من قبل » يصدق الشمول ليوم الموت والرجعة ، فان فيها (من قبل ومن بعد) واما الآخرة فهو يوم الجمع « وكل اتوه داخرين » ثم « من قبل » في موقف القيامة على « قبل » رُتبي ، أم إن الحيلولة هي في موقف الحساب والعقاب وله من قبل ومن بعد « كلما دخلت امة لغنت اختها » !

وعلى آية حال فالمحور الرئيسي هنا هو الآخرة ، والأوليان تلحقانها من باب الجري كما استفاضت به الرواية .

و « ما يشتهون » هنا نعم شهوة الضلالة التي كانوا يعيشونها ، فحيل بينهم وبينها ، والهدى التي هنا يرجونها فـ « انهم طلبوا الهدى من حيث لا ينال وقد كان لهم مبدولاً من حيث ينال » (١) وهما في الأولى ، كما وحيل بينهم وبين ما يشتهون « ألا يعذبوا في الآخرة : « وقالوا نحن اكثر اموالاً وأولاداً وما نحن بمعذبين » (٣٥) !

الا وكل « ما يشتهون » عنهم منفية ، وكل ما يكرهون لهم منقضية ، فهم عاشون هناك الحيلولة بينهم وما يشتهون ، كما عاشوا هنا وما

(١) تفسير البرهان ٣ : ٣٥٥ - القمي بسند عن أبي حمزة قال سألت ابا جعفر (عليه السلام) عن قوله : وأنى لهم التناوش من مكان بعيد قال : انهم ..

۲۹۰ الجزء الثاني والعشرون

يشتبهون ، جزاء بما كانوا يعملون « انهم كانوا في شك مريب » يريب
الضعفاء كأنهم على بينة من شكهم فهم بذلك الشك المريب يتشككون ا .



مركز تحقيق كالمبيوتر علوم إسلامی



(۳۵) سُوْرَةُ فَاطِمَةَ كَيْبَرِ
وَأَيْتَانِهَا خَيْرٌ وَأَنْ جَعَلْنَا
مَرْكَزَ تَحْقِيقِ كِتَابِ تَوْحِيدِ عِلْمِ



مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَكِئِكَةِ
 رُسُلًا أُولَى أَجْنَحَةٍ مَّثْنَى وَثُلُثَ وَرُبْعٍ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ
 مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ مَا يَفْتَحُ اللَّهُ
 لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ
 لَهُ مِنْ بَعْدِهِ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ
 أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ
 مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾
 وَإِنْ يَكْذِبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ
 تَرْجِعُ الْأُمُورُ ﴿٤﴾ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا فَلَا
 تَغْنَرُكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغْنَرُكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿٥﴾
 إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُرْءَدُوْ فَاخْذُوْهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ
 لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿٦﴾ الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ

شَدِيدٌ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ
وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ أَفَنَزَّلْنَاهُ سِوَى عَمَلِهِ فَرَأَاهُ حَسَنًا
فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبُ
نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٌ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾

سورة تتسمى باسم من أسماء الله « الفاطر » فانها كسائر السور من
« الفاطر » وهنا تبدأ بـ « فاطر السماوات والأرض » .

ثم واسم لها آخر « سورة الملائكة » قضية البداية بها بعد الفاطر ،
فهي اسم لها بعد الفاطر ، كما وانهم بعد الفاطر .

« الحمد لله فاطر السماوات والأرض جاعل الملائكة رسلاً أولي
أجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد في الخلق ما يشاء إن الله على كل شيء
قدير »

هنا « الحمد لله » مبرهنا بالربوبية المطلقة رحمانية : « فاطر السماوات
والأرض » تعبيراً عن الكون كله ، ورحيمية : « جاعل الملائكة رسلاً ... »
ونجد الرحمتين مع « فاطر السماوات والأرض » في خمسة أخرى بغير يسير
في صيغة التعبير^(١) .

(١) « قل اغفر الله اتخذ ولياً فاطر السماوات والأرض » (٦ : ١٤) « فاطر السماوات
والأرض انت ولي في الدنيا والآخرة » (١٢ : ١٠١) « قالت رسلهم افي الله شك =

ولأن الفطر هو الشق ، إذأ فالسماوات والأرض مشتقتان عن مادة مخلوقة قبلهما ، المعبر عنها في هود بـ الماء ، وكما فصلت فيها وفي آيات من فصلت والأنبياء^(١).

« ... جاعل الملائكة رسلاً .. » وتذكر الملائكة بمختلف صيغها (٨٨) في القرآن كله ، مما يدلنا على مدى أهميتهم في رسالاتهم الروحية وسواها في ميزان الله .

وقد وصفهم امير المؤمنين وقائد الغر المحجلين (عليه السلام) بقوله : « خلقتهم وأسكنتهم سماواتك ، ليس فيهم فترة ، ولا عندهم غفلة ، ولا فيهم معصية ، اعلم خلقتك بك ، واحوف خلقتك منك ، واقرب خلقتك إليك ، وأعملهم بطاعتك ، لا يغشيه نوم العيون ، ولا سهو القلوب ، ولا فترة الأبدان ، لم يسكنوا الأصلاب ، ولم تتضمنهم الأرحام ، ولم تخلقهم من ماء مهين ، أنشأتهم أنشاءً فأسكنتهم سماواتك ، وأكرمتهم بجوارك ، وأتممتهم على وحيك ، ووجبتهم الآفات ، ووقيتهم البليات ، وطهرتهم من الذنوب ، ولولا قوتك لم يقووا ، ولولا تثبيتك لم يثبتوا ، ولولا رحمتك لم يطيعوا ، ولولا انت لم يكونوا .

أما إنهم على مكاناتهم منك ، وطاعتهم اياك ، ومنزلتهم عندك ، وقلة غفلتهم عن امرك ، لو عاينوا ما خفي عنهم لاحتقروا اعمالهم ، ولأزراوا

= فاطر السماوات والأرض يدعوكم ليغفر لكم ذنوبكم ... » (١٤ : ١٠) « قل اللهم فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون » (٣٩ : ٤٦) « فاطر السماوات والأرض جعل لكم من أنفسكم أزواجاً » (٤٢ : ١١) .

(١) الآيات ٩ - ١٢ من فصلت و ٢٩ من الانبياء .

على أنفسهم ، ولعلموا انهم لم يعبدوك حق عبادتك ، سبحانك خالقاً ومعبوداً ما أحسن بلائك عند خلقك ! » (١).

وهنا « لو عاينوا » احالة لمعاينتهم هذه ، وتلميحاً انه (عليه السلام) عاين ما لن يعاينوه ، وعلم ما لم يعلموه ! .

« جاعل » بالنسبة للملائكة بعد « فاطر » لسائر الكون ، تغاضٍ عن لمحة خلقهم كيف هووم هو ؟ فانما جعل الرسالة الملائكية ، وقد يلمح لانهم انما أنشأوا إنشاء من المادة الأم أماهيم ، دون تطور بتطور ، وكما اشار اليه الامام (عليه السلام) : ثم و « اولى اجنحة . . » بيان لكيف هم بعد خلقهم ؟ أن لهم اجنحة هي على الاكثر « مثني وثلاث ورباع » وقد يقل فيهم « يزيد في الخلق ما يشاء » خلقاً لأجنحة لهم زائدة على « رباع » ام لسائر الخلق ، وكما « السماء بنيناها بايد وأنا الموسعون » : نظرية التوسعة .

فلا وقفة في اصل الخلق وطوره وكوره ، مشية مطلقة واسعة شاسعة ، في اصل الخلق وفرعه ! . . ولأن « الملائكة » جمع محلى باللام ، مما يفيد استغراق العام ، فهم - اذاً - كلهم دوغما استثناء ، من ملائكة الوحي الى النبيين ، والعمال في سائر التكوين ، من رسل الإمامة : « حتى اذا جاء احدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون » (٦ : ٦١) والكرام الكاتبين والمصورين في الأرحام والمهلكين : « ولما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى قالوا انا مهلكواهل هذه القرية (٣٠ : ٣١) وسائر عمال رب العالمين .

والأجنحة جمع الجناح آلة الطيران ايأ كان ، ريشاً وسواه كاجنحة

(١) تفسير البرهان عن القمي وقال امير المؤمنين (٣ : ٣٥٧) .

الطائرات فلا تختص بريش وزغب ، بل هي كما تناسب كيانهم ، إن نورانيين أماهيم فأجنحة نورانية أماهيم ؟ .

وعلى أية حال فهم - على كونهم ملائكة - صنوف في أجنحتهم ووظائفهم ودرجاتهم وكما يقول سيد الساجدين وزين العابدين (١) : ولا

(١) في الصحيفة السجادية وكان من دعائه على حملة العرش وكل ملك مقرب : اللهم وحلة عرشك الذين لا يفترون من تسبيحك ، ولا يسأمون من تقديسك ، ولا يستحسرون عن عبادتك ، ولا يؤثرون التقصير على الجهد في امرك ، ولا يفتلون عن الوفاء اليك ، واسرافيل صاحب الصور الشاخص ، الذي ينتظر منك الإذن وحلول الامر ، فينبأ بالنفخة صرعى رهائن القبور ، وميكائيل ذو الجاه عندك والمكان الرفيع من طاعتك ، وجبريل الامين على وحيك ، المطاع في سماواتك ، المكين لديك ، المقرب عندك ، والروح الذي هو على ملائكة الحجب والروح الذي هو من امرك -

اللهم فصل عليهم وعلى الملائكة الذين من دونهم من سكان سماواتك ، واهل الامانة على رسالاتك ، والذين لا يدخلهم سامة من ذوب ، ولا إعياء من لغوب ولا فتور ، ولا تشغلهم عن تسبيحك الشهوات ، ولا يقطعهم عن تعظيمك سهو الغفلات ، الخشع الابصار فلا يرومون النظر اليك ، النواكس الا ذقان الذين قد طالت رغبتهم فيما لديك . المستهترون بذكر الأتك ، والمتواضعون دون عظمتك وجلال كبريائك ، والذين يقولون اذا نظروا الى جهنم تزفر على اهل معصيتك : سبحانك ما عبدناك حق عبادتك !- فصل عليهم وعلى الروحانيين من ملائكتك ، واهل الزلفة عندك ، ومحال الغيبة الى رسلك ، والمؤمنين على وحيك ، وقبائل الملائكة الذين اختصتهم لنفسك ، واغنيتهم عن الطعام والشراب بتقديسك ، واسكنتهم بطون سماواتك ، والذين هم على ارجائها اذ انزل الامر بتمام وعدك -

وخزان المطر وزواجر السحاب ، والذي بصوت زجرة يسمع زجل الرعود ، واذا سبحت به حفيضة السحاب التمعت صواعق البروق ، ومشيمى الثلج والبرد ، والهابطين مع قطر المطر اذا نزل ، والقوام على خزائن الرياح ، والموكلين بالجبال فلا تزول ، والذين =

نجد في القرآن مذكوراً باسمه إلا جبريل وميكال ام والروح ان كان من الملائكة ، اللهم إلا بشغله كالكرام الكاتبين : « وما منا إلا له مقام معلوم » (٣٧ : ١٦٤) مقاماً في كيانه ومقاماً في عمله .

ومهما يكن من شيء في كونهم فليسوا إلا انبثاقاً لطيفاً من المادة الام كسائر المواد ، مهما كانوا من أطفها ، كما تدل على ذلك آيات خلق الكون ككل .

ومهما يكن من امرهم ، فهم باجنتهم عمال امر الله ، دون استقلال لهم بجنب الله ، او استغلال من امر الله ، بل هم اداة لتحقيق امر الله ، لا حاجة له إليها ، بل لان الكون مسرح الاسباب ، وهو تعالى مسبب الاسباب .

انهم - بامر الله - يجمعون كافة الخطوط بخيوطها في نظم بارع ونضد رائع ، في قبضها وبسطها ، وشدها وإرخائها ، اللهم إلا ما لكائن فيه اختيار ، ولكنه - أي كان - ليس اختيار تفويض كما لا إجبار .

= عرفتهم مثاقيل المياه ، وكيل ما يحويه لسواعج الامطار وعواجلها ، ورسلك من الملائكة الى اهل الأرض بمكروه من ينزل من البلاء ، ومحبوب الرخاء -

والسفرة الكرام البررة ، والحفظة الكرام الكاتبين ، وملك الموت واعوانه ، ومنكر ونكير ، ومبشر وبشير ، ورؤمان فتان القبور ، والطائفين بالبيت المعمور ، ومالك والحزنة ، ورضوان وسدنة الجنان ، والذين لا يغصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون ، والذين يقولون : سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار ، والزبانية الذين اذا قيل لهم : خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه - ابتدروا سراعاً ولم ينظروه ، ومن الهما ذكره ولم نعلم مكانه منك ، وبأي امر وكلته ، وسكان الهواء والأرض والماء ، ومن منهم على الخلق - فصل عليهم يوم تأتي كل نفس معها سائق وشهيد ، وصل عليهم صلاة تزيدهم كرامة على كرامتهم وطهارة على طهارتهم ...

﴿ ما يفتح الله من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا أمر سل له من بعده وهو العزيز الحكيم ﴾ (٢).

ان الله تعالى - بملائكته العمال - هو الفاتح لرحمة ، وهو الممسك لها لا سواء ، فلا تجعلوا لله الابدال الأمثال ! وليست خزائن رحمته إلا ملكه في ملكه : « قل لو انتم تملكون خزائن رحمة ربي لأمسكنكم خشية الأنفاق » (١٧ : ١٠٠) « ام عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب » (٣٨ : ٩) اذا فلا فاتح لها إلا هو ، ولا ممسك لها بعد فتحها ام قبله إلا هو !

و « من رحمة » تستغرق كل رحمة مادية وروحية ، تدفقاً على من يشاء ، أو إغاضة عمن يشاء ، « وهو العزيز » في فتحها وامساكها ، اذا لا ممسك لها ولا مرسل « من بعده » ارسالاً وامساكاً « الحكيم » فيهما ، فتحاً بحكمة وامساكاً بحكمة دوغماً فوضى جزاف !

هنالك تنقطع عن شبهة كل حول وكل قوة إلا بالله ، حيث تغلق كل الابواب إلا باب الله ، فلا تدق من الابواب إلا باب الله .

فكل نعمة يمسكها الله تنقلب نقمة ، وكل نقمة تحفها رحمة الله تنقلب نعمة ، فقد تنام على شوك برحمة الله فاذا هو مهاد ، او تنام على حرير وقد امسكت عنك رحمته فاذا هو شوك القتاد !

تري يوسف في غياهب السجن هو في رحمة الله حيث يبتعد هناك عن سخط الله : « رب السجن احب الي مما يدعونني اليه » وهناك العزيز وامراته في نعمة البلاط وهما في نقمة الله ، وكما ظهرت لهما بعد رده من الزمن . هنالك رحمت والطف خفية إلهية لا يدركها إلا اهلها ، خليطة باشواك ، ظاهرة بمظهر الهلاك ، ولكنها باطنها فيها الرحمة وظاهرها من قبلها العذاب !

ليست هنالك - وفي دار المحنة وتناسل الذرية - رحمة خالصة دون تعب وشغب ، فحين تعيش مع الله ، راضياً بمرضاة الله ، ملتزماً طاعة الله ، فلا عليك أن يضيق سائر الرزق ، وتخشن سائر الحياة ، ويشوك المضجع ، فانه حياة الرحمة والراحة ، حيث تعيش أصل الرحمة .

وحين يُعكس الأمر حيث تفقد الزلفى الى الله ، فكل رحمة سواء نقمة وزحمة ، اذ ليست فيها طمأنينة : « ألا بذكر الله تطمئن القلوب » !

من الخلقة من يعيش الرحمتين : ظاهرة وباطنة ، ومنهم من يُحرمهما فواويله ! ومنهم من يعيش الروحية ويحرم الظاهرية ، ومنهم عكسها ، وقد يفضل الثالثة على الأولى حيث الأجر على قدر المشقة « وان ليس للانسان إلا ما سعى » وكما نرى السابقين الأقربين من عباد الله محرومين - في الاكثر - عن النعم الظاهرية ، وقليل من هم ، المجموعة لهم ظاهرها الى باطنها « وهو العزيز الحكيم » !

واذ لا رحمة إلا من الله فتحاً وامساكاً ، فمن ذا نرجو إلا الله ؟ ومن ذا نخاف إلا الله ، « ومن خاف الله اخاف الله منه كل شيء » ومن لم يخف الله اخافه الله من كل شيء » !

ثم « لا ممسك لها » كما « لا مرسل له من بعده » تعني من دون الله ، وحين ان الرحمتين كلها هي من الله ، إرسالاً وامساكاً ، فباحرى ان تكون رحمة الهداية بشرعة سواها ، منحصرة في الله ، منحصرة عن سوى الله ! فما يفتح من هدى فلا ممسك لها إلا هو ، وما يمسك فلا مرسل له الا هو ، وقد ارسل رحمة الشرعة الاخيرة دون امساك فهي باقية حتى القيامة الكبرى ويا لها من آية وحيدة ترسم للحياة صورة جديدة يسيرة مديدة ، لو استقرت في قلب الانسان لصمد للأحداث كالطود الوطيد وتضاءلت امامه الأشخاص

حيث تبسّد ، اللهم إلّا من يهدوننا الى الله زلفى باذنه « وهو العزيز الحكيم » !

وهكذا تصنع آية من القرآن العظيم من يتعاملون مع الحقيقة التي يمثلها ، دون إخلاد الى جمال الألفاظ - فقط - ام كمال المعاني فحسب ، طالما يتذرعون هذه وتلك الى تمثيل القرآن في واقع الحياة بكل جمال وكمال !

وهذه الآية - ومعها سائر القرآن - هي بنفسها تكفي رحمة لا تبقي على رحمة حيث تسكب في القلب رحيقها بحقيقتها المجردة ، فهذا هو نموذج من رحمة الله لا ممسك لها ، الّا عمن اتخذوا هذا القرآن مهجوراً ، اذا فهو فيهم وليس فيهم ، يموتون عطاشاً وهم يعيشون شاطيء بحره ، وخضم قعره ، و « رب تالٍ للقرآن والقرآن يلعنه » ! « وهو العزيز الحكيم » .

ويا ليتنا نذكر نعمة الله المتواصلة ، ورحمته المتأصلة غير المتعاضلة دون غفوة عنها ولا غفلة بوضمة عين وينضة قلب

﴿ يا ايها الناس اذكروا نعمة الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض لا إله إلّا هو فأنّ تؤفكون ﴾ (٣) .

« الناس » هنا كل الناس من ناس ونسناس حسب مختلف الدرجات والدركات « اذكروا » لا بلفظة لسان ، بل بالأعمال والجنان « نعمة الله عليكم » ومنها انه منحنا بخطابه الكريم ، وقرآنه العظيم ، وفطرنا على توحيده ، ورزقنا من آيات آفاقية وانفسية رحيّة ندية ، نتذكر بها نعمة الله : « هل من خالق غير الله » ؟ فان معرفة الخالق بالوحدانية اعظم نعمات الله ورحماته !

ف « هل » سؤال من قرارات النفوس : عن فطرة ساذجة وعقلية

ناضجة غير مازجة ولا مازجة ، فهنا الجواب : كلا يا الله !

« هل من خالق غير الله » و « من » هنا لها موقعها المكين ، والقول إنها زائدة قوله زائدة مايدة ، حيث تبحث هنا كون اي خالق إلا الله ، حتى مَنْ قد يسمى خالقاً في كلام الله : « واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذني فتنفخ فيه فيكون طيراً باذني » فان « اذني » يخرج عن حق الخالقية وحاقها ، فانما هو خلق « باذني » وليس دونه خلق حتى كهيئة الطير دون روح !

ومن شؤون الخالق ان يرزق الخليفة ، فـ « هل من خالق غير الله يرزقكم .. » واذ ليس غيره خالق ، ولا غيره رازق « فاني تؤفكون » صرفاً الى غير الخالق الرازق وهو مخلوق مثلكم مرزوق ؟ ! .

... يرزقكم من السماء والارض : « رزقاً للارواح والأجساء ، فمن سماوات الوحي ترزق ارواحكم ، ومن الارض وسماها الارض ترزق ابدانكم !

« لا اله الا هو » خالقاً ورازقاً « فاني تؤفكون » تصرفون كذباً وخداعاً ، الى من لا يملك خلقاً وهو يُخلق ، ومن لا يملك رزقاً وهو يُرزق ؟ ! « سبحانه وتعالى عما يشركون !

﴿ وان يكذبوك فقد كذب رسل من قبلك والى الله ترجع الأمور ﴾ (٤) :

لا تأسف على تكذيبهم ، فقد كذبوا رفاقك من قبل ، وما انت الا رسول ، : « فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون » ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا واوذوا حتى اتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبي المرسلين ، (٦ : ٣٤) !

سورة فاطر / آية ٥ - ٨ ٣٠٣

ثم « والى الله ترجع الامور » تصديقاً وتكذيباً وجزاء وفاقاً ، دونك
والذين من قبلك !

﴿ يا ايها الناس إن وعد الله حق فلا تفرنكم الحياة الدنيا ولا يفرنكم
بالله الغرور ﴾^(٥).

« وعد الله » ليوم الحساب ، والجزاء الوفاق « حق » ثابت لا حول عنه
ولا تبديل ، الاعجزاً او نسياناً ، ام ظلماً وعدواناً « وان الله ليس بظلام
للعبيد » !

وذلك الوعد الحق لا بد لكم ان تعيشوا ذكره في حياة النسيان ،
وحذار حذار « فلا تفرنكم الحياة الدنيا » عن الوعد الحق « ولا يفرنكم بالله »
في توحيدهِ ووعدهِ الحق « الغرور » الذي يعيش غروراً وتلبساً ، والشيطان
هو رأس زاوية الغرور بذريعة الحياة الدنيا « الغرور » والنفس الامارة
بالسوء « الغرور » فحذار حذار من ثلوث الغرور ، الحائر محور الحياة
الدنيا ، فانها هي دار الغرور وبجالة الغرور ! « وما الحياة الدنيا إلا حياة
الغرور » (٣ : ١٨٥) و « ... متاع الغرور » (٥٧ : ٢٠) و « ان
الكافرون إلا في غرور » (٨٧ : ٢٠) . وبإله من ثلوث منحوس يثلث
ذكره في الذكر الحكيم (٣١ : ٣٣ و ٥٧ : ١٤) وانها لمسة وجدانية
صادقة حين يستحضر الانسان صورة المعركة الصاخبة الدائبة بينه وبين
عدوه الشيطان :

﴿ ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً إنما يدعو حزبه ليكونوا من
اصحاب السعير ﴾^(٦).

فحين ذكره يتحفز بكل قواه للدفاع عن نفسه ونفيسه ، دفعاً عن كل
غواية وإغراء ، مستيقظاً مداخل الشيطان الى نفسه ، متوجساً من كل حادثة

وهاجسة ليعرضها على حجة الله ، فعلها خدعة مستسرة من عدوه القديم . استعداداً دائماً دائماً لخوض هذه المعركة المصيرية « والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم » !

أمن العقل ان يتخذ العدو صديقاً ، اغتراراً متواصلاً متأصلاً بغروره ، وقد غر من قبل ابويننا الأولين « ودلاهما بغرور » ! « ان الشيطان لكم عدو » كما اعلن منذ البداية ، ووعد مواصلة العداء حتى النهاية : « قال أنظرني الى يوم يبعثون » اذا « فاتخذوه عدواً » مبدئياً لا طارئاً قد يصادق بعد ما يعادي « إنما » ليس إلا « يدعو حزبه » وهم كل من ينغر بغروره « ليكونوا من أصحاب السعير » .

فهناك حزبان : حزب الله وحزب الشيطان ، وبينهما عنوان مذبذب هو ايضاً من حزب الشيطان ، حيث الذبذبة دعوته وكيانه ، ماهيته وبيانه ، اللهم الا من يعيش حياة الايمان فهو من حزب الرحمن مهما نال منه الشيطان اذ لا يخلو منه انس ولا جان ، إلا المخلصين من عباد الله فليس له عليهم من سلطان « قباي الأء ربكما تكذبان » :

﴿ الذين كفروا لهم عذاب شديد والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر كبير ﴾ (٧)

قاعدة مطردة عادلة صارمة للذين كفروا وماتوا كافرين ، والذين آمنوا وماتوا مؤمنين ، إلا أن العذاب الشديد لا يربو شد الكفر ، أو قد ينقص ، ومغفرة واجر كبير يربو ان شد الايمان ، قضية العدل هناك والفضل هنا « وما الله بظلام للعبيد » !

﴿ افمن زين له سوء عمله فرآه حسناً فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء ، فلا تذهب نفسك عليهم حسرات إن الله عليم بما يصنعون ﴾ (٨) .

اترى من ذا الذي يزين سوء العمل لئرى حسناً وهو إضلال ؟ ام لا يزين فهو هدى ؟ « فإن الله يضل ... ويهدي ... »! وذلك التزيين اضلال هو في الأصل من الشيطان حين يرى له ظرفاً قابلاً من « الذين كفروا » واضرابهم : « .. وزين لهم الشيطان اعمالهم فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين » (٢٩ : ٣٨) .

ثم الله لا يهديهم في هذه المعركة لانهم هم السبب فيها مستبصرين ، فيذرهم في غيهم يتيهون جزاء بما كانوا يعملون .

إذاً فللتزيين هنا نسبتان ، نسبة الى الشيطان تعامللاً مع الذين كفروا ، ونسبة الى الرحمن حيث لا يحول دونه وإياهم « ان الذين لا يؤمنون بالآخرة زيننا لهم اعمالهم » (٢٧ : ٤) .

فلكل من الخيرات والشرور نسبة الى الله عدلاً او فضلاً ، مهما تنسب الى فاعليها خيراً أو شراً « فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ان الله عليم بما يصنعون » .

ولعمر الله ان ذلك مفتاح الشر كله ان يزين للإنسان سوء عمله فيراه حسناً ، معجباً بنفسه وكل صادر منه ووارده ، فلانه واثق من عمله فلا يفتش عنه ولا عن مصدره ومورده ، فهو من الأخسرين أعمالاً « الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا » .

وانه باب فسيح للشر كله ، ونافذة السوء كله ، ومفتاح الضلالة كلها ، نموذج الضال الهالك ، البائر المائر ، السائر الصائر الى شر مصير « جهنم يصلونها ويشس المصير » .

ورغم ان من كمال الانسان التدرج الى كمال واكمل ، وليس ذلك إلا ان يعيش نقداً بكل يقظة في اموره ، فالذي يرى كل اعماله

حسنة ، ليس ليخلد الى خلده نقص وخطأ ، فهو مكبٌ على وجهه ، مغلد
الى نفسه ، واقف لحده السيء البئيس ، وهو يراه الحسن النفيس !
فيا ويله حيث يهبط الانسان الى ذلك الدرك المهين والضلال المبين ،
وذلك بما قدمت يداه وان الله ليس بظلام للعبيد ! .

وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَثِيرُ سَحَابًا فُسِقْنَهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ
فَأَحْيَيْنَاهُ بِالْأَرْضِ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ ﴿٩﴾
مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ
الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ
السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يُبَوِّرُ ﴿١٠﴾
وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نَظْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا
وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ
مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ
عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ
فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلِّ تَاكُلُونَ
لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حَبْلَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ

فِيهِ مَوَاقِرُ لَتُبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾
يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ
وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ
وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾
إِنْ تَدْعُهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا
لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ

خَيْرٍ ﴿١٤﴾

جولات متتابعة في مسارح من الكون هي مصارح تُعرض للبصائر
بالأبصار ، تدليلاً لتوحيد المبدء ، وتوطيد المعاد .

ففي مشهد الحياة النابضة بعد الموت ، الناهضة المتواترة المتقاطرة على
ذوات الميئات الارضية حجة . :

﴿ والله الذي ارسل الرياح فتثير سحاباً فسقناه الى بلد ميت فاحيينا به
الأرض بعد موتها كذلك النشور ﴾ (٩) .

« وهو الذي يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته حتى اذا اقلت سحاباً
ثقلاً سقناه لبلد ميت فانزلنا به الماء فاخرجنا به من كل الثمرات كذلك
نخرج الموتى لعلكم تذكرون » (٧ : ٥٧) - « الله الذي يرسل الرياح فتثير
سحاباً فيسططه في السماء كيف يشاء فتري الودق يخرج من خلاله فإذا

أصاب به من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون . « فانظر الى آثار ورحمة الله كيف يجي الأرض بعد موتها إن ذلك لمحيي الموتى وهو على كل شيء قدير » (٣٠ : ٥٠) .

هنا « ارسل » ماضياً ، ضاربة الى اعماق الماضي منذ خلقت الأرض والسماء وعمرتا ، وقبل خلق الإنسان فهو الآن احرى ، وفي الروم والاعراف « يرسل » تدليلاً لاستمرار ما مضى ما هما عامرتان ، فذلك إرسال في مثلث الزمان ! .

ثم الرياح منها مغيرة آية العذاب كريح صرصر في ايام نحسات سيياً لموتات نحسات ، ومنها مثيرة تثير السحاب « الى بلد ميت » و « لبلد ميت » لحياة وحياة !

فالرياح المغيرة ترسل الى بلد حي للإغارة والموت ، والمثيرة « الى بلد ميت » لإثارة الحياة ، فـ « الى » هنا تهدف صالح البلد كما تلمح له « البلد » في الاعراف . مركز تحقيق كالمبيوتر علوم إسلامي

والسحاب هو المسحوب من ابخرة المياه الأرضية ، تسحب الى جو السماء ، ثم الرياح الساخنة تثيرها ، ثم الباردة تقلها سحباً ثقالاً حيث تثقلها وتكثفها ، ثم بالتيارات الجوية في مختلف طبقاتها تساق لبلد ميت اليه « فاحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشور » ! دليل واقعي مكرور امام الأعين غير منكور ، فكيف ينكر هؤلاء حياة النشور ؟ !

فكما الله يعلم ميت البلاد فيحييها ، كذلك يعلم ميت العباد فيحييهم واحرى « كذلك النشور » فالعلم هو العلم والقدرة هي القدرة وإذا كان إحياء البلاد هنا فضلاً يجوز تركه ، فاحياء العباد عدل لا يجوز تركه « كذلك النشور » ! .

هذا ! والى نقلة من حياة الجسم الى حياة الروح وهي أنبل وأحرى^(١):

﴿ من كان يريد العزة فلله العزة جميعاً إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يبور ﴾^(١٠).

الحياة الدنيا بزهراتها وشهواتها هي حياة الغرور الممر الهزة ، والحياة العليا الزاهرة هي حياة المقر العزة ، فخذوا من مكرم لمقركم ، ومن هزتكُم لعزتكُم !

فالعزة بحق المعنى من الكلمة هي لله جميعاً ، إلا من يعتز بالله فعزيز بالله على قدره : « والله العزة ولرسوله وللمؤمنين » .

و « من كان يريد العزة » في اعماق الزمان والمكان ايأ كان وايمان ، فان « كان » تستأصل كل أصله وحاصله ومستقبله ، فارادة العزة أينما حصلت طول الزمان وعرض المكان « فلله العزة جميعاً » فلتطلب منه العزة لا سواه ، فالعقيدة الوثنية المتحللة عن التوحيد ، المهلهلة ، ليست لتحصل على أية عزة .

(١) الدر المنثور بسند عن أبي رزين العقيلي قال قلت يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كيف يحيى الله الموتى ؟ قال أما مررت ببارض مجذبة ثم مررت بها فخصبة تهتز خضراء ؟ قال : بلى قال : كذلك يحيى الله الموتى وكذلك النشور والقمي في ذلك النشور « حدثني أبي عن ابن أبي عمير عن جميل بن دراج عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : إذا أراد الله أن يعث الخلق امطر السماء على الأرض أربعين صباحاً فاجتمعت الاوصال ونبتت اللحوم .

وارادة العزة قد تعني ارادتها لنفس العزيز « فله العزة جميعاً » اذ يعز من اعتز به ! وأخرى تحرُّبها لمن يُعبد عزيزاً « فله العزة جميعاً » فله العبودية والطاعة جميعاً ! وأما إرادة العزة الإلهية ان تحصل للعبد كما هي لله فمستحيلة « فله العزة جميعاً » لا تعطى لسواه ! .

فان « إليه يصعد الكلم الطيب » لا سواه « والعمل الصالح يرفعه » لا سواه ، فالعزة جميعاً هي لله لا سواه ! والكلم اسم جنس جمعي يذكّر مرة ويؤنث أخرى ، وهكذا يكون كل جمع لا يختلف عن واحده إلا بالتاء . ولان الله تعالى ليس له مكان على فلا يعني صعود الكلم الطيب اليه أمّا هو ، صعوداً من سفال الى عل في المكان ، فانما هي المكانة العالية له على كل من سواه وفي ذاته المقدسة ، فكل شيء لديه سفلى وهو - فقط - العال . اذاً فصعود الكلم الطيب اليه هو صعود في المكانة سماع القبول ، انه يبلغ رضاه على مداه وينال زلفاه دون ضياع ولا اهمال ولا ذرة مثقال .

صعوداً إليه يوم الدنيا هكذا ، مهما يملك فيه سواه ما يملكه ، وصعوداً إليه في الأخرى إذ لا يملك الحكم فيه إلا الله ! فعبثاً يحاولون من يعبدون إلا الله في كلماتهم واعمالهم ونواياهم ، زعم انها واصلة الى معبوديهم لانهم لديهم فانهم : « ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير » (١٤) ! اذاً ف « إليه يصعد الكلم الطيب » دون سواه ، فعلينا ألا ندعو إلا اياه ولا نرجو إلا اياه :

هنا كلم ونية ومعرفة وتصديق وعمل وتعامل مع الواقع ، هي لزام بعض البعض في تبني الطيب ، فما هو - اذاً - الكلم الطيب ؟ الطيب هو ما يُستطاب في ميزان الحق ، فالكلم المستطاب لله ، وهو طبعاً مستطاب لقائليه وسامعيه الطيبين ، انه في مثلث من الطيب وهو كماله وتماه ، مهما

كان رأس الزاوية - وهو تمام الزوايا - هو الله . ولا يستطاب الكلم في الحق تماماً ، إلا بنية صادقة ، ومعرفة فائقة ، وتصديق لائق وعمل مصدق ، وتعامل مع الواقع ، وآخر المطاف في طيب الكلم هو العمل وفقه .

صحيح ان الكلم الطيب دون العمل تخطى منازلہ إلا العمل، ولكن الذي يرفعه هو العمل الصالح : « والعمل الصالح يرفعه » وفاعل الرفع للكلم الطيب هو العمل الصالح ، ومهما كان حق الفاعل هو الله ، فلا يرفعه الله الا بالعمل الصالح .

فالكلم ما لم يزود بزاده هو خبيث مهما اختلفت دركات خبثه حسب الدرجات ، فان العمل الصالح هو الذي يرفعه فالعمل الطالح يضعه^(١) والحالة العوان ، لا إليه ولا الى ضده عوان بين رفعه ووضعه . وكلما زاد صلاح العمل زاد الكلم ارتفاعاً ، كما كلما زاد طيب الكلم زاد صلوحاً للارتفاع : « يرفع الله الذين آمنوا والذين اوتوا العلم درجات ... » (٥٨ : ١١)

ومن طبع الكلمة الطيبة ان ترتفع ثابتة دون زوال ، حتى يتلوها العمل الصالح فارترفاً فوق ارتفاع : «الم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتى اكلها كل حين باذن ربها .» (١٤ : ٢٤) !

وكلما كان الكلم الطيب أسعد، فهو بطبيعة الحال اصعد ثم ارفع،

(١) في تفسير القمي عن ابي جعفر (عليه السلام) قال، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): ان لكل قول مصداقاً من عمل يصدقه او يكذبه فإذا قال ابن آدم وصدق قوله بعمله رفع قوله بعمله الى الله واذا قال وخالف عمله قوله رد قوله على عمله الخبيث وهوى به الى النار.

فالكلم الطيب الذي يطيب الجماهير المحتشدة، دون اختصاص بمكلمه، صعودها وارتفاعها هما بميزانية آثارها قضية الجزاء الوفاق وعند الله مزيد.

ورأس الزاوية في «الكلم الطيب» هو «لا اله الا الله»^(١) ثم يتلوها «محمد رسول الله» ومن ثم تنتمى الولاية التوحيدية وهي الزاوية الثالثة ولاية علي (عليه السلام) والأئمة من ولده الطاهرين (عليهم السلام)^(٢)

فالكلم الطيب هو «الولاية» بصورة مطلقة، الشاملة لهذه الثلاث، وكل كلم طيب يتبنى التوحيد كاصل، ومن ثم المعاد وهو لزوم التوحيد، كما النبوة، ثم الولاية الرسالية المتمثلة فيمن يحملونها كما هي. اذاً فالكلمة

(١) تفسير البرهان ٣ : ٣٥٨ - الطبرسي في الاحتجاج عن الاصبغ بن نباتة عن امير المؤمنين (عليه السلام) وقد سأل ابن الكوا قال : يا امير المؤمنين كم بين موضع قدمك الى عرش ربك ؟ قال : ثكلك امك يا ابن الكوا اسأل متعلماً ولا تسأل متعتاً، من موضع قدمي الى عرش ربي ان يقول قائل مخلصاً «لا اله الا الله» ! قال : يا امير المؤمنين (عليه السلام) فما ثواب من قال : لا اله الا الله ؟ قال : من قال : لا اله الا الله مخلصاً طمست ذنوبه كما يطمس الحرف الاسود من الرق الأبيض، فاذا قال ثانية : لا اله الا الله مخلصاً خرق ابواب السماوات وصفوف الملائكة حتى تقول الملائكة بعضها لبعض : اخشعوا لعظمة الله، فاذا قال ثالثة مخلصاً لم تنته دون العرش فيقول الجليل اسكني وعزني وجلالي لاغفرن لقائلك بما كان فيه ثم تلا هذه الآية «اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه» يعني اذا كان عمله خالصاً ارتفع قوله وكلامه.

(٢) المصدر عن الكافي بسند عن الامام الرضا (عليه السلام) في الآية قال : الكلم الطيب هو قول المؤمن لا اله الا الله محمد رسول الله علي ولي الله وخليفته حقاً وخلفاءه نخلفاء الله والعمل الصالح يرفعه فهو دليله وعمله واعتقاده الذي في قلبه بان الكلام صحيح كما قلته بلساني.

الطيبة «لا اله الا الله» هي الكلم ، حيث تجمع في حقها وحقها كل الكلم الطيب .

فـ «من كان يريد العزة» فهي في الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ، عزة الحظوة المعنوية ، وعزة الزلفى الى مبدء العزة ومنشئها .

والعرش بمكانه ومكانته هو مصعد الكلم الطيب كما هو مصعد الملائكة : «ولولا اقرارهن له بالربوبية واذعانهن له بالطوعية لما جعلهن موضعاً لعرشه ولا مسكناً لملائكته ولا مصعداً للكلم الطيب والعمل الصالح من خلقه» (١) .

فليست العزة عناداً جامعاً على الحق ، جانحاً غارقاً في انانية الشهوات ، ضارباً في كل عتو وتجبر واستكبار ، فانها تنازلات عن صراط الانسانية الى حماة الحيوانية النكراء !

انما العزة هي الاتصال بمعدن العزة غير المحدودة ، بالتقرب اليه والزلفى لديه ، في سلب مطلق «لا اله» سلباً لكل عبادة وخشوع وخنوع آفاقية وأنفسية ، ثم ايجاب مطلق «الا الله» فلا يعبد إلا اياه ، ولا يطيع الا اياه ، هنالك ترتفع الجباه صامدة في سجودها لله ، متعالية عن الخنوع لغير الله !

هذه هي العزة وهؤلاء هم الاعزة ! لكن :

﴿... والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يبور﴾ (١٠) .

(١) في نهج البلاغة عن الامام علي (عليه السلام) وضمير الجمع في اقرارهن راجع الى السماوات .

هنا «يمكرون السيئات» وهناك «يعملون السيئات» دون مكر، وهنالك حسنات هي - بطبيعة الحال - خالية عن كل مكر، حيث المرائي في حسنات ليست حسناته حسنات.

«يمكرون السيئات» ابتغاء العزة منها وهي - في الحق - من اسباب الذلة، و«يمكرون السيئات» ارائه للضعفاء والمستضعفين انها هي اسباب العزة، ذلك المكر الماكر يجعل من سيئاتهم عقبات متعديات ان يضل بها من لا يعقلون، ويفتر بها من لا يشعرون وهنالك الطامة الكبرى!

لفاعل السيئات غفران ام عذاب غير شديد، ولكن ماكر السيئات له عذاب شديد «ومكر اولئك هو يبور» باثر غير سائر إلا ردى من زمن الامتحان «ان الباطل كان زهوقاً»!

«والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم ازواجاً وما تحمل من انثى ولا تضع إلا بعلمه وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب إن ذلك على الله يسير» (١١).

«خلقكم من تراب» هل تعني خلق الانسان الاول وزوجه فاننا خلقنا بخلقهما «ثم من نطفة» تعني خلق سائر الانسان إلا أبونا الأولين؟ وقد يبعده «ثم جعلكم ازواجاً» حيث الزوجة ابتدأت منذ الاولين المخلوقين من تراب! او تعني «خلقكم» كل الخلق أولاً واخيراً «ثم من نطفة» إلا الاولين، ولكن «ثم جعلكم ازواجاً» توخر الزواج عن الخلق من نطفة، فتخرج الزواج الاول!

«ثم جعلكم ازواجاً» بعد «ثم من نطفة» تختص الزواج بغير الاولين كما النطفة، ولكنها لا تخصصان «خلقكم من تراب» بالاولين، حيث

النطفة ايضاً مخلوقة من تراب ، مهما اختلف تراب عن تراب ، وتؤيده آيات خلق الانسان - ككل - من تراب او طين^(١) :

«خلقكم من تراب» عنصر ميت في اصله ، حي في نسله منذ النطفة حتى الجنين حيث تتم الحياة الانسانية ، فمن اين انت هذه الحياة وكيف وأنى «تبارك الله احسن الخالقين» !

فالنقلة من حياة الى حياة ارقى هي قريية ، ولكنها من موت الى حياة بعيدة غريبة ، إلا أننا نعيشها على مر الزمن ، «افعيننا بالخلق الأول بل هم في لبس من خلق جديد» !

ثم هذه النطفة في صورتها الوحيدة ، وهيدة لانقسامها الى ذكر واثني «ثم جعلكم ازواجاً» - سبحانه الخلاق العظيم ! ومن ثم حمل الأزواج بكمه وكيفه ليس إلا بعلمه «وما تحمل من اثني ولا تضع إلا بعلمه» والنص في اطلاقه العام يتخطى اثني الناس الى كل اثني ، و«من» هنا تأكيد مستغرق للنفي وهو العام المستغرق لكل اثني :

من حيوان البر والبحر والجو ، ومن الزواحف والحشرات ما تلد وما تبيض ، فالبيضة حمل من نوع خاص اذ لا يتم نموه داخل الجسم ، بل ينزل بيضة ثم يتابع نموه خارج جسم الام بحضانتها ام حضانة صناعية اما هيه ؟ حتى يصبح جنيناً كاملاً ثم قفسا ومتابعة لسائر نموه الحيوي ! فكل حمل وكل وضع هو بعلمه كما هو بقدرته ثم :

(١) «اكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلاً» (١٨ : ٣٧) ؟ «ومن آياته ان خلقكم من تراب ثم اذا انتم بشر تنتشرون» (٣٠ : ٢٠) «هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقه ..» (٤٠ : ٦٧) «يا ايها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ..» (٢٢ : ٥)

«وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا في كتاب . . .» وهو اللوح المحفوظ ، دون كتاب المحر والاثبات ، حيث الآية تنحو منحى العلم الثابت ، ان يعمر معمر عمره حتى الاجل المحتوم ، او ينقص من عمره لاجل معلق ، و«عمره» هو المحتوم لا يزيد عليه وقد ينقص .

«ان ذلك» البعيد البعيد ، العسير العسير هو «على الله يسير» وانتم تعيشونه طول الحياة وعرضها ، فباحري «ان ذلك» الرجوع في الاخرى «على الله يسير» بل هو اهن عليه .

«وما يستوى البحر ان هذا هذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح اجاج ومن كل تأكلون لحماً طرياً وتستخرجون حلية تلبسونها وترى الفلك فيه مواخر لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون» (١٢) .

كما البحرين مختلفان في الصورة ، متفقان في سيرة الرحمة النافعة المترعة اليافعة ، فهما معنيان لوحدة الفائدة ، كذلك الموت والحياة ، ففي كل هائدة ، مهما كانت بعد الموت زائدة خلافاً ما يزعم من صورته .

فالبحر العذب: المستطاب، الفرات: الذي يرؤي العطشى بساهل انحداره في الخلق، وبارد طبعه وعذوبته، والبحر الملح: غير المستطاب للشراب، الاجاج الحارق الخلق للوحته المرة، هما على حالتهما المتضادة - مع بعض - من نعم الله حيث يلتقيان بتسخير المنان في خدمة الانسان: «وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحماً طرياً وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون» (١٦ : ١٤) .

والبحران قد يعنيان - ضمن ما يعنيان - مثل المؤمن والكافر، حيث العناية في بقاء الكافر رغم كفره قد تكون لما يخرج منه المؤمن «يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي» وكذلك النشور» اذ يخرج الله الاحياء من الاموات كما اخرج الاموات من الاحياء ١

ارادة التنويع في خلق الماء بواقعها ظاهرة ، ووراءها حكمة ظاهرة في العذب الفرات ، باطنة في الملح الاجاج ، فمهما كان العذب الفرات سائغاً شرابه ، ولكن الملح الاجاج سائغ فائق لحمه وحليه ، وان كان «من كل تأكلون لحماً طرياً وتستخرجون حلية تلبسونها» وابن حلية من حلية ولحم من لحم ؟

و«لحماً طرياً» هو الاسماك المحللة دون لحوم البحر كلها حتى الكلاب والخنزير ، فانها حرمت بالسنة القطعية ، و«حلية تلبسونها» هي اللؤلؤ والمرجان : «مرج البحرين يلتقيان . بينهما برزخ لا يبغيان . فبأي الاء ربكما تكذبان . يخرج منها اللؤلؤ والمرجان» (٥٥ : ٢٢) (١) .

«وترى الفلك فيه مواخر» - «وترى الفلك مواخر فيه» (١٦ : ١٧) والمواخر هي المشاق حيث الفلك تشق البحر وكأنها اصبحت «فيه مواخر فيه» حيث الامواج الهائجة تجعل الفلك في خضمها وهي غائبة غارقة فيها ، وكل ذلك «لتبغوا من فضله ولعلكم تشكرون» .

«يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير» (١٣) .

«يولج» ايلجاً واقعياً حيث يلج من افق الليل في افق النهار شتوياً ، وعكسه صيفياً ، وآخر في المنظر حيث يلتقيان فجراً ومغرباً ، ففي مشهد

(١) راجع تفسير «الرحمن» في الفرقان ٢٧ : ٢٨ ، تجد فيه تفصيل خروجها من البحرين باختلاف الكم والكيف ، وان البحرين يشتركان في وجود اللؤلؤ والمرجان فيها كما يصدق العلم الباحث عنه الكاشف له .

ولوح الليل في النهار وعكسه وكأنا هناك عراك بين عسكر الليل والنهار ،
والفتح والفتح لعسكر الليل احياناً ولعسكر النهار أخرى .

وفيولوجين منظراً وواقعاً آية لكروية الأرض ، وإلاً فليكن ليلاً كله او
نهاراً كله !

«وسخر الشمس والقمر» ادارة لهما وسيراً كما سخر لادارة الكون قَدَر
ما قَدَر .

«ذلكم الله ربكم له الملك» دون من تدعون «والذين تدعون من دونه
ما يملكون من قطمير» وهو اثر على رأس النواة ، مثلاً للصغر .

«ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم
ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير» (١٤) .

لا سماع لدعاء ممن لا سمع له كالأوثان ، والذي يسمع كالطواغيت
ليس ليسمع اجابة ، ولو سمع ليس بإمكانه اجابة ، ثم «يوم القيامة
يكفرون بشرككم» «وهنا» «لا ينبئك» بهذه الحقيقة المرة «مثل» القرآن
ونبيه «خبير» بواقع الامور وعواقبها .

* يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ

وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ

بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾ وَلَا تَزِرُ
 وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ جِهَةٍ لَا يُحْمَلُ
 مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ
 رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ ۚ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ
 لِنَفْسِهِ ۚ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ
 وَالْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا الظِّلُّ
 وَلَا الْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ ۚ
 إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن
 فِي الْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ
 بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّن أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾
 وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ
 رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾

ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٥﴾

﴿يا أيها الناس انتم الفقراء الى الله والله هو الغني الحميد﴾ (١٥)

تعريف الخبر «الفقراء» هنا يعني كونه معروفاً فلا يخبر به إلا للتنبيه ، ومن ثم القصر كانهم هم الفقراء لا سواهم كما «الله هو الغني» يحصر الغنى في الله . بيان ناصح ناصع لكيان الناس وهم في احسن تقويم - اذاً - فما هو كيان من دونه في سائر التقويم ؟ فهو حجة قارعة لفقر الكون كله ، وليس إلا الى الله الغني الحميد ، تقريراً لكلمة «لا اله الا الله» نفياً لاي غنى عن سائر الكون ، ثم اثباتاً لكل غنى لخالق الكون !

وترى لماذا الحصر «انتم الفقراء» كأن سواكم من الخلق اغنياء ، ام ليسوا بفقراء الى الله؟ عله لما كان المشركون يزعمونهم اغنياء في انفسهم بالهتهم، والله هو الفقير اليهم إذ يدعوهم الى عبادته : «لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء ..» (٣ : ١٨١) «وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء» (٥ : ٦٤) !

لذلك يرد عليهم بمعاكسة «انتم الفقراء الى الله» لا «ان الله فقير ونحن اغنياء» ! فانتم محصورون في الفقر لا ان الفقر محصور فيكم .

ثم ذلك الفقر الفاقر ضارب الى الأعماق لحد كأن ليس كيان الانسان إلا فقراً : «الفقراء الى الله» لا ان هناك انسان ام اياً كان له الفقر الى الله ، بل هو بذاته الفقر الى الله بذاته الغني ، دون امكانية التحول من

ذاتية الفقر الى ذاتية الغنى وبأحرى المعاكسة ، فأنما «انتم الفقراء الى الله والله هو الغني الحميد» !

والفقر والغنى وصفان للكائن ، فلا يقال للمعدوم المطلق فقير ، وآية الفقر تقرر اصل الفقر للإنسان ، وتعلقه في فقره بالله وإلى الله ، فالفقير الذات وفي الأفعال والصفات بحاجة ضرورية الى غنى في كافة الجهات والحيثيات ، فلولا ان هناك كائناً غني الذات ، لما كان للفقير كون ، ام لو لم يكن حميداً لم يكن للفقير ما يكفيه به ويغنيه ، ولولا انه حميد لم يقرر مصير الحساب يوم الحساب ، فهو غني حميد في غناه في النشأتين . اذاً ففي فقر الكائنات من حيث الذات دليل لا مرد له على وجود كائن غني الذات ، وإلا فابن وجودات الممكنات ، حيث الافتقار في اصل الذات وحقاها دليل الحدوث ، فمن ذا الذي أحدثها إلا ازلي الذات وغنيها ؟ .

وتجسد في آية الذاريات (٤٩) اعلمق البراهين للفقر الذاتي في الكائنات كلها ، حيث الزوجية هي كيان كل كائن سوى الله : «ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون» . ففروا الى الله اني لكم منه نذير مبين»^(١) .

ومهما كان في الكون غنى نسبية لكائن امام الآخر ، فهما في الفقر الى الله سواء ، كما وهما في اصل الفقر سواء ، فانت الغني في المال بحاجة الى فقير العمال كما الفقير المال بحاجة اليك في المال ، فلكل فقر من جهة وغنى نسبية من اخرى ، وهما في غناهما فقيران الى الله الذي اغناهما !

انت ساكن فقير صغير من سكان هذه الأرض ، وهي تابعة صغيرة من

(١) راجع الفرقان لتفسير الآية بقول فصل كاعلمق البراهين لاثبات وجود الله .

توابع الشمس ، وهي نجم صغير من مليارات الشمس والنجوم في مليارات المجرات وأجزاء السماوية ، أفأنت الغني والله فقير ؟

اتزعم ان في بعث الرسل اليك ، وتواترهم في دعوتك بكتابات السماء ، ان في تلك الدعاية الفخمة المتواصلة ، والدعاية الفخمة الدائبة ، حاجة من الله اليك ، فعين تستجيب الدعاية فلله فيها حظوة وعزة ، وحين تردها فعلى الله هزء وذلة ؟

لا يا ايها الحشرة الصغيرة الهزيلة ، بل «انتم الفقراء الى الله والله هو الغني الحميد» .

غني اذ يدرّ عليكم رحمة دون خيئة ، حميد اذ لا يحملكم على انفاقه ، ما يعود بنفعه اليه ، فالكل عائد اليك في تقواك ، وما يد عليك في طغواك .

انت الفقير ان يهديك الله اليه «والله هو الغني الحميد» اذ لا يدرك في ضلالتك ، ولا يهدرك في كلالك .

سبحانك يا رب ، فانا الفقير في غناي اليك فكيف لا اكون فقيراً في فقري اليك ! انا الفقر كله ، انا اللا شيء كله ، وانت الغني كلها ، وانت مشيء الاشياء كلها ، لا حاجة منك اليها فهي المحتاجة اليك :

«ان يشاء يذهبكم ويأت بخلق جديد»^(١٦) وما ذلك على الله بعزيز^(١٧) .

الم تر ان الله خلق السماوات والأرض بالحق ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد ، وما ذلك على الله بعزيز « (١٤ : ٢٠) » ان يشأ يذهبكم ايها الناس ويأت بآخرين « (٤ : ١٣٣) » ان يشأ يذهبكم ويستخلف من بعدكم ما يشاء « (٦ : ١٣٣) » وما ذلك على الله بعزيز !

افتزعمون انكم انتم - فقط - الخلق العزيز ، والله لا يسطع ان يخلق بعدكم عزيزاً ، فان ذهبتم او اذهبكم فلا بديل عنكم ؟ كلا ايها الاغفال ، وقد اذهب قبلكم قرونأ مضت ، قبل آدم الاول حيث انقرضوا ثم استخلفكم من بعدهم .

ولا تزر وازرة وزر اخرى^(١) وان تدع مثقلة الى حملها لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى إنما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب واقاموا الصلاة ومن تزكى فانما يتزكى لنفسه وإلى الله المصير^(١٨) .

«ولا تزر» نفس «وازرة وزر» نفس «اخرى» فان «كل نفس بما كسبت رهينة» ضابطة لا تستثنى لفردية التبعات «وكل انسان الزمناه طائره في عنقه ..» لا سواء .

«لا تزر ..» حتى إذا وعدت ، ولا يسمح لها بالوفاء حتى اذا ارادت «وان تدع» نفس «مثقلة» مثقلة اخرى ام اية نفس اخرى «الى حملها» لتحملها عنها «لا يحمل منه» من ثقله «شيء» .

فلا ان نفساً وازرة تزر وزر اخرى ، ولا انها اذا دعيت الى حملها يحمل منه شيء حتى «ولو كان ذا قربى» ضابطة صارمة في «لا تزر» فردية التبعة ، وعدت ام سئلت واصرت !

حيث القربابات هناك ليست لتنفع شيئاً ، فانه «يوم يفر المرء من اخيه ، وامه وابيه وصاحبه بنيه . لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه» وانه «يوم الفصل» فلا ينفعهم هناك اي وصل : «يوم لا ينفع مال ولا بنون . إلا من اتى الله بقلب سليم»

(١) محمد البحث الفصل حول آية الوازرة في النجم فراجع الفرقان ج ٢٦ - ٢٧ .

فالنفس المثقلة من اعباء الذنوب والأوزار تستغيث ولا تغاث ، طلباً في تلك الحالة البئيسة ممن يشاظرها في جملها ، فلا تهم كل نفس إلا نفسها ، ولا تعنيها إلا امرها بإمرها ولا تعين أحداً كما لا تعان مهما عنت ، وعانت من جملها ، ولو كانت أولى الناس بأمرها وأقربهم التياطاً به وارتباطاً برفاقه ، وانتياطاً بنسبه ! قافلة غافلة تمضي هناك حتى تقف اما الوزن والميزان ، اللهم إلا اهل التقوى فلهم هنالك الشفاعة الكبرى ، وليست هي حملاً لوزر ، بل سماحاً عنه بمؤهلاته المسرودة في الذكر الحكيم .

انت يا رسول الهدى لست منذراً لمن لا يخشون ربهم بالغيب وهم معاندون ، إذ لا يؤثر فيهم انذارك مهما كان انذارك واجباً فيه اعذارك وإنما تنذر ، مؤثراً فائقاً الذين يخشون ربهم بالغيب ، يخشونه بالغيب عن المشاهد ، ويخشونه وهو غيب عن المشاهد ، وخشية بغيب قلوبهم ، الظاهرة الزاهرة في المشاهد ! «واقاموا الصلاة ..» كأظهر المظاهر من «يخشون ربهم بالغيب» -

مركز تحقيق كتاب توير علوم إسلامي

«ومن تزكى فإنما يتزكى لنفسه» فـ : «من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى ..» (١٧ : ١٥) «والى الله المصير» لاهل التقوى والطغوى «وهو احكم الحاكمين» .

ثم الكفر والايمان لا يستويان في اي ميزان كما الأعمى والبصير، والظلمات والنور، والظل والحرور، والأحياء والأموات :

﴿وما يستوي الأعمى والبصير﴾^(١٩) ولا الظلمات ولا النور^(٢٠) ولا الظل ولا الحرور^(٢١) وما يستوي الأحياء ولا الأموات^(٢٢) .

وحين «ما يستوي الأعمى» عن بصره «والبصير» فباحرى لا يستوي الأعمى في قلبه عن البصير !

وحين لا يستوي ظلمات الجو والنور فباحرى ظلمات القلب ونوره ، وكذلك الظل والحرور والاحياء والاموات ومثلث «لا» بين الثلاث الاخرى هي تأكيدات النفي باولية قطعية ، فالظلمات لا تستوي في اقسامها ولا النور في اقسامه ، فهل تستوي الظلمات والنور ، والظل لا يستوي في اقسامه ولا الحرور فهل يستوي الظل والحرور ، والاحياء لا تستوي في اقسامها ولا الاموات ، فهل تستوي الاحياء والاموات .

ولماذا تركت «لا» بين الأعمى والبصير؟ لأن الأعمى على سواء انهم لا يبصرون مهما البصرون ليسوا على سواء !

فالبصير يبصر الحق المقبل اليه فيقبل ، ومن في الظلمات لا يبصر الحق فلا يقبل ، والميت لا يسمع صوت الحق فيقبل !

«ان الله يسمع من يشاء» حقه بحقه دوغما فوضى جزاف «وما انت بمسمع من في القبور» من قبور الشهوات والحيونات وسائر الإنيات !

لست انت مسمعاً وهادياً من اجيبت : «وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون» (٢٧ : ٨١)

ان الإيمان بصر وبصيرة وظل ونور وحياة ، والكفر عمى وظلمات وحرور وموت ، فهل يستويان ؟ بصر يرى الحقيقة ناصعة صادقة دون اية هزاة ولا خلخلة ، وظل عن حرور الشهوات ، ورياضة للنفس ورياحة للقلب ، وظل عن هاجرة الشك وحاضرة التيه في الظلام ، وحياة في المشاعر والقلوب دون خمود ولا ركود ولا جمود ، فهل يستويان مثلاً الحمد لله رب العالمين ؟ .

لست انت يا رسول الهدي مسمعاً وهادياً لمن في قبور الظلمات والعميات والميتات :

﴿إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾^(٢٣) إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ .

«إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ» وهذا قصر دون حصر بالنسبة لمن في القبور ، ثم هو للعالمين بشير ونذير ، حيث البشارة لا تأتي إِلَّا بعد النذارة لمن يتأثر بالانذار وبينهما عموم مطلق^(١) ، ثم ولست - فقط - أنت النذير : .
﴿وَأَنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾^(٢٤) .

وتراها في هذه النذارة العامة لكل أمة ، تتنافى وسلبها ككل عن كل قرية : «وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا» (٢٥ : ٥١) ؟ . .

كَلَّا فَإِنْ «كُلِّ قَرْيَةٍ» هي أعم من كل أمة ، فرب أمة تسكن في قرى عديدة ، والنذير مبعوث في أمها : «وَمَا كَانَ رَبُّكَ مَهْلِكُ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا» (٢٨ : ٥٩) وكلما كانت الرسالة أعم وأتم ، فالأم التي يبعث فيها رسولها أهم وأطم ! وكما أم القرى مكة المكرمة هي أهم عاصمة من عواصم الرسالات الإلهية .

فلا تخلو أمة من العالمين من الجنة والناس اجمعين وسائر المكلفين ، لا تخلو من نذير ، إما بشخصه العائش فيهم ، أم بدعوته الواصلة اليهم بمن حملوا رسالاتهم ، فان حملوها وبلغوها فحجة بالغة ، وان قصروا في حملها ام لم يبلغوها فتقصير من الحملة عن الرسل دون المرسلين ، وقصور للمستضعفين .

وهل ان «نذير» هو كل منذر عن الله ، برسالة او سواها ؟ وليس

(١) فكل من يبشر فقد انذر قبلها ، وليس كل من ينذر يبشر بعدها حيث البشارة تخص المؤمنين .

في نذارة دون رسالة حجة بالغة إلا تبيناً ومناصرة لحجة الرسالة كما «جاء رجل من اقصى المدينة يسعى قال يا قوم اتبعوا المرسلين . . » والظاهر من «ان انت إلا نذير» هو نذارة الرسالة بالوحي ، دون النذير الوسيط ! ولم يأت النذير في سائر القرآن إلا للرسول ، بل وقد يسلب عن سائر النذر: «لتنذر قوماً ما اتاهم من نذير من قبلك لعلهم يهتدون» (٣ : ٣٢) وقد كان في الفترة الرسالية بين المسيح (عليه السلام) ومحمد (صلى الله عليه وآله وسلم) نذرٌ من غير الرسل ! .

ثم و«ان من امة» دون كل شخص ، تنفي ضرورة النذارة الواصلة الى كل احد ، إلا حاصلة فيهم كاملة ، واصلة الى اشخاص وغير واصلة !

ومن جهة اخرى «ان من امة» توسيع لساحة الرسالات طول المكان وعرض الزمان ، فما انت بدعاً من الرسل ! ليطمئن خاطره الشريف وينبه مكذبيه انه نذير من النذر الاولى .

«وان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءهم رسلهم بالبينات وبالزبر وبالكتاب المنير»^(٢٥) ثم اخذت الذين كفروا فكيف كان نكير^(٢٦) .

تسلياً لخاطر النبي الأقدس ان التكذيب من قبل المكذبين سائد في تاريخ الرسالات ، وكذلك اخذ ربك للمكذبين ، «فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ولاتك في ضيق مما يمكرون» !

الر

تَرَأْنِ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْخَرَجْنَا بِهِ عِشْرِينَ نَهْرًا
مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيَضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ
أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٣٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ
وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ
مِنَ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٣٨﴾ إِنَّ
الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا
رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّنْ تَبُورَ ﴿٣٩﴾
لِيُوفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ
مَّكِينٌ ﴿٤٠﴾ وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ
الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ
بَصِيرٌ ﴿٤١﴾ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا
فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ

بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٦﴾
 جَنَّاتٌ عِدْنُ يَدْخُلُونَهَا يُجَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ
 وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٧﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
 أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٨﴾ الَّذِي
 أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا
 يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٩﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ
 لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا
 كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ ﴿٤٠﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا
 أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم
 مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا
 لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ﴿٤١﴾ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمُ غَيْبِ السَّمَوَاتِ
 وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمُ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٤٢﴾

تعدد لعديد من النعم البارزة لكل عين ناظرة وبصيرة حاضرة من سماوية وارضية ، قراءة يراعة في كتابي التكوين والتدوين ، ابتداءً بكتاب التكوين ، ثم ما يصدق من كتاب التدوين ، لتعم القراءة كل كتاب نازل من العزيز الحكيم :

﴿الم تر ان الله انزل من السماء ماءً فاخرجنا به ثمرات مختلفاً الوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف الوانها وغرايب سود﴾ (٢٧) .

« انزل » بمضيها تضرب الى اعماق الماضي حين كانت الأرض محترقة عطشانة فرواها ربها من ماء السماء ، وكما تشمل مستقبل الإنزال ، حيث الغني الحميد ليس ليقطع رحمة شاملة تحتاجها الاحياء في عالم الحياة .

ثم « انزل » مفرداً لفردية الذات والنعمة المنزلة ، واما « فاخرجنا » فهي لمحة الى جمعية الصفات في إخراج مختلف الثمرات ، فالإخراج قاصد دون فوضى ، فالماء الواحد والأرض الواحدة لا يخرجان - لولا مختلف التصميم - إلا ثمرة واحدة كما المكائن الخاصة !

ومن « ثمرات مختلفاً الوانها » ثمرة واحدة في الوان ، كما الكثرة في الوان ، الوان الطعوم والاشكال والوان الألوان : سبحان العزيز المنان !

وليست الثمرات - فقط - الوان ، بل « ومن الجبال » ايضاً مختلف الالوان : « جدد بيض وحمر مختلف الوانها » في بياضها واحمرارها « وغرايب سود » .

والجدد هي الطرائق والشعاب ، بيضاً وحمرأً وغرايب سود : حالكة شديدة السواد .

فما تراه من مختلف الألوان في الثمرة تراه في الصخرة ، مما يزيدك تدليلاً على ارادة قاصدة ، وانها لفئة راصدة تهز القلوب ، وتوقظ حاسة

سورة فاطر / آية ٢٧ - ٢٨ ٣٣١

الذوق وخاصته في نظرة ناضرة تجريدية الى جمال الكون ، فالى جمال المكون حيث يبرز كونه الوحيد من مصارح في مسارح صفاته .

ثم نتخطى الثمرات والجبال الى مختلف الناس والدواب والأنعام :

﴿ومن الناس والدواب والأنعام مختلف الوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء ان الله عزيز غفور﴾ (٢٨) .

اختلاف سائد في كم الكائنات وكيفها في مختلف الوانها . ولئن قلت : إن ذلك الاختلاف هو قضية اختلاف العناصر وخصوصيات التأليف، تجدد الاجابة في المادة الأم الساذجة المركبة - فقط - من زوجين اثنين ، فلا بد - اذاً - من تصميم قاصد في كل فصل ووصل، متفرع عن هذا الاصل : ﴿ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون، ففروا الى الله اني لكم منه نذير مبين﴾ .

﴿ومن ... كذلك﴾ الذي ذكرناه من مختلف الالوان، وفي ذلك المسرح الجميل، باختلاف الالوان، من الوان الذرات والجزيئات والعناصر وسائر المخلفات المخلفات هذه الاختلافات .

في ذلك المسرح «إنما يخشى الله من عباده العلماء» فالعلم بالله عبر آيات الله هو سبب الخشية، والجهل بالله نتيجة الغفلة والتجاهل عن آيات الله، هو سبب الغفوة الباغية .

ليس الجهل بالاسباب الكونية هو الموجب للاعتقاد بسبب غائب كما يهرفه الماديون، وإنما العلم بالاسباب هو الذي يدلنا الى سبب الاسباب (١) .

(١) راجع كتابنا «حوار بين الإلهيين والمادييين» ص ٢٠ : ٣٠ - العلم والعلماء في فكرة الإله .

لذلك نرى القرآن يحرض العالمين الى توسع العلم والتعقل في الكون، ولكي «يخشى الله من عباده العلماء».

فالقصد من «العلماء» هنا هم العلماء بالله، الذين يستخدمون فلسفاتهم العقلية وكشوفهم العلمية لمعرفة الله، فكلما زادوا معرفة بالله زادوا خشية من الله، انقلاباً في قلوبهم الى الله، وانقلاباً عما يصرفهم عن الله!

اترى «انما» حين تحصر خشية الله في «العلماء» فما ذنب الجهال اذ لم يؤثروا من العلم ما يخشون به الله؟ العلم هنا ليس Lieبي - فقط - علم الصلاحيات في بحوث فلسفية ام تجريبية امأيه، مهما تُساعد على المعرفة ان حفظت فيها امانة التدليل على وجود خالق المدلول والدليل.

بل هو علم الايمان مهما كان صاحبه أمياً لم يدرس اية صلاحيات، كما القرآن يربط الخشية احياناً بالايمان: «فالله احق ان تخشوه ان كنتم مؤمنين» (٩: ١٣) واخرى بعمل الايمان: «ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقنه فاولئك هم الفائزون» (٢٤: ٥٢).

لذلك ترى ان الآيات هنا وهناك هي الافاقية والانفسية لكل ذي بصر وبصيرة، لا تكلف دراسات عقلية او علمية، مهما كانت تساعد قضية المعرفة مع الحفاظ على الأمانة.

فرب عالم قتله جهله، علماً بالصلاحيات وتجاهلاً عن التبصر بها في المعارف والعلم هنا هو الحجاب الاكبر! ..

ورب جاهل أحياء علمه، حيث يستخدم كافة الوسائل بمختلف الاساليب لمزيد المعرفة الإلهية، والعلم هنا يزيل الحجاب الاكبر!

فيا ويلاه من جهل على جهل، ظلمات بعضها فوق بعض، ويا عليه من علم على علم نور على نور؟.

«... كذلك انما يخشى الله من عباده العلماء ان الله عزيز غفور»
«عزيز» يخشى «غفور» لمن لا يخشى مغبة ان يخشى ا.

والخشية - وهي خوف يشوبه تعظيم غن علم بما يخشى منه - لزامها العلم قدرها، وهي حالة في القلب تجعل الخاشي خاشعاً لربه خاضعاً، في رقابة دائبة على اقواله وافعاله واحواله قدر معرفته بربه. يخشاه لعدله تعالى على ظلمه هو وعظمه تعالى.

فمن لا يخشى الله ليس من العلماء مهما كان اعلمهم في الصلحات، حتى الإلهية عقلية وعلمية، ومن يخشى الله فهو من العلماء مهما كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب، فميزانية العلم هي حسب ميزانية الخشية في ميزان الله! وكما يروي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «العلم علمان علم في القلب فذاك العلم النافع وعلم على اللسان فتلك حجة الله على خلقه»^(١) حيث يحتاج به على عالمه وعلى من يسمعه من عالمه!

امسا علمتم ان الله عبداً استكثم خشيتهم من غير عي ولا بكم، انهم لهم الفصحاء النطقاء النبلاء العلماء بايام الله غير انهم اذا ذكروا عظمة الله طاشت عقولهم من ذلك، وانكسرت قلوبهم، وانقطعت الستهم، حتى اذا استقاموا من ذلك سارعوا الى الله بالاعمال الزاكية، فاي انتم منهم؟...^(٢).

(١) | الدر المنثور ٥ : ١٥٠ - اخرج ابن ابي شيبة والترمذي والحاكم عن الحسن قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : ..

(٢) | الدر المنثور ٥ : ١٥٠ - اخرج الخطيب في المتفق والمفتروق عن وهب بن منبه قال: اقبلت مع عكرمة اقود ابن عباس بعدما ذهب بصره حتى دخل المسجد الحرام فاذا قوم يمترون في حلقة لهم عند باب بني شيبة فقال: أمل بي الى حلقة المراء فانطلقت به حتى اتاهم فسلم عليهم فارادوه على الجلوس فأبى عليهم وقال اتسبوا الي اعرفكم =

وقد سئل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عن العالم والعابد فقال: فضل العالم على العابد كفضلي على ادناكم ثم تلا هذه الآية^(١) فليتزود المؤمن على ضوء فطرته وعقله وشرعته بسائر العلم، تذرعاً الى معرفة أكثر بالله.

اجل «وما العلم بالله والعمل الا إلفان مؤتلفان فمن عرف الله خافه وحته الخوف على العمل بطاعة الله. وان ارباب العلم واتباعهم الذين عرفوا الله فعملوا له ورغبوا اليه...»^(٢).

«ان الذين يتلون كتاب الله واقاموا الصلاة وانفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية يرجون تجارة لن تبور»^(٣) ليوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله انه غفور شكور»^(٤).

هؤلاء هم من العلماء بالله الذين يخشون الله، دون الجهال الاغفال الذين لا يتلون كتاب الله، مهما اقاموا الصلاة وانفقوا، ودون من لا

مركز تحقيق كتاب توير علوم إسلامي

= فانتسبوا اليه فقال: اما علمتم... اقول لعله رواية عن رسول الله لم يذكر انها عنه (صلى الله عليه وآله وسلم).

(١) المصدر اخرج عبد بن حميد عن مكحول قال سئل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ... ثم قال: ان الله وملائكته واهل السماء واهل الأرض والنون في البحر ليصلون على معلمي الخيز.

وفي المجمع في الآية روي عن الصادق (عليه السلام) انه قال: يعني بالعلماء من صدق قوله فعله ومن ثم يصدق فعله قوله فليس بعالم، وفي الحديث: اعلمكم بالله اخوفكم الله.

(٢) تفسير البرهان عن الكافي بسند عن ابي حمزة الثمالي عن زين العابدين (عليه السلام) قال: ... قال الله: انما يخشى الله من عباده العلماء.

سورة فاطر / آية ٢٩ - ٣٢ ٣٣٥

يصلون ولا ينفقون مهياً تلوا كتاب الله ، فانما هو الايمان وعمل الصالحات
عن علم الكتاب تفصيلاً باجتهاد ، ام اجمالاً بتقليد عن اجتهاد .

والتلاوة في حق المعني منها هي المتابعة : «والشمس وضحاها .
والقمر اذا تلاها» (٩١ : ٢) فهي اعم من متابعة القراءة
والاستماع ، فالتدبر ، فالتصديق والايمان ، فالتطبيق بعمل الايمان ، اذا
قد «اقاموا الصلاة وانفقوا . . » هي من خلفيات التلاوة حقها ، افردت
بالذكر لانها هي القاعدة الاصلية التي تتبناها التلاوة ، والا فرب تال القرآن
والقرآن يلعنه !

ثم الإنفاق هو الإفناء ألا يطالبوا به تجارة تبور ، فيطلبوا به جزاء
أو شكوراً ، فانما «تجارة لن تبور» افناء في ظاهر الحال وابقاء بزيادة في باطن
الحال : «ليوفيهم اجرهم ويزيدهم من فضله» .

و«ما رزقناهم» بعم كيفية الارزاق ولا سيما الروحية ، من علم
واخلاق اما هي : «سراً» عن الناس «وعلانية» فان لكل مجالاً يناسبه :
«إن تبدو الصدقات فنعماً هي وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم»
(٢ : ٢٧١) .

«فنعماً هي» في نفسه حيث يقتدى به فهو - اذاً - من شعائر الله
وإن تخفوها . . فهو خير لكم ، انفسكم ابتغاء عن رثاء وسمعة .

.. «ان تبدووا . . فنعماً هي» في نفسه حيث يقتدى به
فهو - اذاً - من شعائر الله «وإن تخفوها . . فهو خير لكم» انفسكم
إبتعاداً عن رثاء وسمعة .

«انه غفور شكور» لهؤلاء الاكارم ، أي لم طارئ في سبيل الله .

﴿والذي اوحينا اليك من الكتاب هو الحق مصدقاً لما بين يديه ان الله بعباده لخبير بصير﴾ (٣١).

«هو الحق» كله ، ثابتاً ما بقي الدهر دون نسخ ولا تحريف ، مهما كان ما بين يديه حقاً لردح من الزمن ، ولكنه بطل أولاً بتحريف ومن ثم بنسخ ، فهو الترجمة الصحيحة النهائية لحقيقة الكون ، والصحيفة المقروءة من كتاب الكون وهو الصفحة الصامته !

﴿والذي اوحينا . . مصدقاً لما بين يديه﴾ من وحي ، دون خليطه بغير وحي ، ف «ان الله بعباده خير بصير» انهم بحاجة الى حق لا ينسخ ولا يحرف ، وانهم حرفوا كتابات السماء من قبل ، لذلك اوحى اليك «الحق» كله هدى للناس .

﴿ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبير﴾ (٣٢).

«الكتاب» هنا هو القرآن لسابق ذكره «والذي اوحينا اليك من الكتاب هو الحق» فـ «ثم» بعد «ما اوحينا اليك من الكتاب» «اورثنا الكتاب . .» .

فمن هو الوارث للكتاب القرآن بعد من اوحى اليه ؟ اهم كل المسلمين وكما في بني اسرائيل «لقد اتينا موسى الهدى واورثنا بني اسرائيل الكتاب هدى وذكرى لاولى الالباب» (٤٠ : ٥٤) وقد تشمل الوارث الشاك ! : «وان الذين اورثوا الكتاب من بعدهم لفي شك منه مريب (٤٢ : ١٤) كما يشمل حملة وحي الكتاب الآخرين : «انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين اسلموا للذين هادوا والربانيون

والأخبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء » (٥ : ٤٤) .

وهنا «أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا » دون من هو في شك مريب ، ولا المتوسطين في الايمان ، بل المصطفين ، فميراث الكتاب هنا ميراث خاص لمن يحمله كما حمله من انزل عليه ، وهناك عام يعم كل من حمله ! . صحيح ان «عبادنا » هنا يعم كافة المسلمين من اهل الجنة كما تشهد التالية : «جنات عدن ... » (٢٣) مقابلة لهم باهل النار : «والذين كفروا ... » .

ولكن وارث الكتاب هنا ليس «عبادنا » ليعم المسلمين ، بل «الذين اصطفينا من عبادنا » اذا فهم المصطفون من المسلمين منذ ابرائه الى يوم الدين ، لا كلهم .

ولان الإصطفاء في مصطلح القرآن ليس إلا للمعصومين ، انبياء وصواهم من المخلصين^(١) ، الذين اصطفينا من عبادنا » لا تعني الا المعصومين بعد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) من امته ، اورثوا القرآن ليحملوه كما حمله من اوحى اليه كميراث خاص .

(١) قآيات الإصطفاء بين نبي مصطفى «ان الله اصطفى آدم ونوحاً وال ابراهيم وال عمران على العالمين (٣ : ٣٣) .

ام وملك مصطفى : الله يصطفى من الملائكة رسلاً ومن الناس » (٢٢ : ٧٥) .
ومعصوم غير نبي «يا مريم ان الله اصطفاك ... » (٣ : ٤٢) وملك عادل مصطفى : قال ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم » (٢ : ٢٤٧) ام دين مصطفى : «ان الله اصطفى لكم الدين » (٣ : ١٣٢) .
فاقل المصطفين في قرينة خاصة هم اعدل العدل !

ثم التقسيم الثلاثي لـ «عبادنا» الى ظالم ومقتصد وسابق بالخيرات ،
... دليل قاصد قاطع لا مرد له ان ليسوا داخلين في ذلك الايراث ، إلا ان
يسوى بين «ظالم لنفسه ومقتصد وسابق بالخيرات» في انهم من «الذين
اصطفينا من عبادنا»^(١) وتلك اذاً تسوية ضيزى !

فحتى ولو عمت «اصطفينا» غير المعصوم ، ليست لتعم المأثوم في تلك
المقابلة الثلاثية الواضحة .

ثم من هذا الذي اصطفى عليه «ظالم لنفسه» وليس للظالم صفاء حتى
يفضل في صفائه على سائر الاصفياء وسواهم ! .

هنا الله تعالى يقتسم عباده الى هولاء الثلاث ليوضح من هم «الذين
اصطفينا من عبادنا» وعلى من اصطفاهم ؟

فالمسلمون بين ظالم لنفسه ومقتصد وسابق بالخيرات والظالم لغيره هو
خارج من «عبادنا» والمصطفى بينهم - بطبيعة الحال - ليس إلا السابق
بالخيرات ، فهم مفضلون على اصحاب اليمين المقتصدين ، فضلاً عن
الظالمين : «وكنتم ازواجاً ثلاثة . فاصحاب الميمنة ما اصحاب الميمنة»^(٨)

(١) الدر المنثور ٥ : ٢٥١ - اخرج الطيالسي واحمد وعبد بن حميد والترمذي وحسنه
وابن جرير وابن المنذر وابن ابي حاتم وابن مردويه والبيهقي عن ابي سعيد الخدري عن
النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في هذه الآية قال : هولاء كلهم بمنزلة واحدة وكلهم
في الجنة وفيه اخرج الطبراني والبيهقي في البعث عن اسامة بن زيد في الآية قال قال
رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كلهم من هذه الامة وكلهم في الجنة .
أقول : صحيح ان كلهم من هذه الامة كما تلمحنه من الآيات ، وكلهم من اهل الجنة
على شروط الاهلية ، ولكن كيف يكون هولاء كلهم بمنزلة واحدة ؟ تنزيلاً للمصطفين الى
منزلة الظالمين وترفعاً للظالمين الى منزلة المصطفين ؟ .

واصحاب المشأمة ما اصحاب المشأمة^(٩) والسابقون السابقون^(١٠) اولئك المقربون^(١١) (٥٦) .

اذأ فورثة القرآن بعد نبي القرآن هم المصطفون السابقون المقربون ، دون اصحاب اليمين المقتصدين ، فضلاً عن الظالمين المسلمين وان لم يكونوا من اصحاب المشأمة والداخلين في الجحيم !

ذلك المثلث البارع الرائع من مواصفات ورثة القرآن لا نجده في سائر القرآن اللهم إلا لنبي القرآن ثم من اورثوا القرآن من بعده .

وهنا قيد «ظالم» بـ «لنفسه» لا خراج الظالمين من المسلمين لغيرهم ، فالمعتدون منهم الطغاة على الإسلام والمسلمين ليسوا من اهل الجنة والسلام .

و«منهم مقتصد» لا ظالم لنفسه» كاصل في حياته ، ولا سابق بالخيرات ، بل هم عوان بين ذلك ، فهم المعتدلون من امة الاسلام عدولاً وسواهم فـ «ظالم لنفسه» هم غير العدول الذين قد تنالهم الشفاعة وهم مصيرهم الى الجنة ، من اصحاب الكبائر الصالحة للشفاعة ، فاما امثال يزيد ومعاوية الطاغية واضرابهم من طغاة هذه الامة ، فخارجون عن هذا التقسيم ، داخلون مع الذين كفروا في الجحيم ، فـ «الظالم يحوم حوم نفسه ، والمقتصد يحوم حوم قلبه ، والسابق بالخيرات يحوم حوم ربه»^(١) .

(١) في معاني الاخبار مسنداً عن الصادق (عليه السلام) قال : .. وفي الدر المنثور ٥ : ٢٥١ - اخرج جماعة عن ابي الدرداء سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال الله تعالى : «ثم اورثنا الكتاب ..» فاما الذين سبقوا فأولئك يدخلون الجنة بغير حساب واما الذين اقتصدوا فأولئك يحاسبون حساباً يسيراً واما الذين ظلموا انفسهم =

فورثة القرآن العظيم علماً وعملاً وتطبيقاً هم المصطفون السابقون المقربون ، فوق المقتصددين العدول فضلاً عن الظالمين ! ومن ذا الذي يدعي ذلك الإصطفاء العاصم ، المعصوم اهله من كل رين وشين ! اهم الخلفاء الثلاث ، المعترف بكثير اخطاءهم وخلافاتهم وتخلفاتهم بين اتباعهم ؟

ام هم الائمة الاربعة ومن يحذو محذاهم ، المختلفين - في اقل تقدير - في تفهم الكتاب والسنة ، والمتخلفين احياناً عن نص الكتاب والسنة .

ام هم الائمة الاثني عشر الذين لم يختلفوا فيما بينهم ، ولم يتخلفوا قيد شعرة عن الكتاب والسنة ، وهم الثقل الاصغر بعد الكتاب - الاكبر !؟ وهنا نجد تجاوباً فيهم بين الكتاب والسنة القدسية المحمدية (صلى الله عليه وآله وسلم) ^(١) .

مركز تحقيق كتاب توير علوم إسلامي

= فاولئك يحبسون في طول المحشر ثم هم الذين تلقاهم الله برحمته فهم الذين يقولون : الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور ...
اقول وقد تظافر مثله في نفس المصدر عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو المستند من الآية كما بيناه .

وفيه عن ابن مردويه عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في «ومنهم ظالم لنفسه» قال : الكافر وهو خلاف ظاهر الآية كما بيناه .

(١) في تفسير البرهان ٣ : ٣٦٣ عن ابن بابويه القمي بسند عن الريان بن الصلت قال : حضر الرضا (عليه السلام) مجلس المأمون بمرور وقد اجتمع اليه في مجلسه جماعة من اهل العراق وخراسان فقال المأمون اخبرني عن معنى هذه الآية «ثم اورثنا الكتاب ...» ؟ فقال العلماء اراد الله عز وجل الامة ، فقال المأمون : ما تقول يا ابا =

وهنا «بأذن الله» يخص «سابق بالخيرات» اذاً تكوينياً وشرعياً لسبقهم سائر الخيرين في الخيرات وهو العصمة القمة المتعالية، دون «ظالم لنفسه» حيث الظلم غير مأذون في تشريع ولا تكوين، وكذلك «مقتصد» فان الله لا يقتصر من عباده بالاقتصاد في معرفته وطاعته !

فأذنه تعالى للسابق بالخيرات هو ارادة التطهير وكما في آية التطهير:
«انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيراً»
(٣٣ : ٣٣) .

هنا «بأذنه» وكما في الدعوة الرسالية : «وداعياً الى الله بأذنه وسراجاً منيراً» (٣٣ : ٤٦) «او يرسل رسولاً فيوحى بأذنه ما يشاء انه علي حكيم» (٤٢ : ٥١) كما و«ما من شفيع الا من بعد اذنه» (١٠ : ٣)
«وممسك السماء ان تقع على الارض الا بأذنه» (٢٢ : ٦٥) .

فهناك للمصطفين السابقين إذن يخصهم، تكويناً في عصمة وتشريعاً

= الحسن (عليه السلام) فقال الرضا (عليه السلام) لا اقول كما قالوا ولكن اقول : اراد العترة الطاهرة، فقال المأمون : وكيف اراد العترة الطاهرة ؟ فقال له الرضا (عليه السلام) لو اراد الأمة لكانت باجمعها في الجنة لقول الله تبارك وتعالى «فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد منهم سابق بالخيرات بأذن الله ذلك هو الفضل الكبير» ثم جمعهم كلهم في الجنة فقال «جنات عدن يدخلونها...» فصارت الورثة للعترة الطاهرة لا لغيرهم، فقال المأمون، من العترة الطاهرة ؟ فقال الرضا (عليه السلام) : الذين وصفهم في كتابه فقال عز وجل : «انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيراً» وهم الذين قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : اني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي اهل بيتي وانما لن يفترقا حتى يرثي علي الخوض انظروا كيف تخلفوني فيها، ايها الناس لا تعلموهم فانهم اعلم منكم .

في ولاية شرعية، لا يعم سواهم فكما «النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم» كذلك ورثة الكتاب طاعتهم مفروضة على من سواهم : «اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم» (٤ : ٥٩) الذين وُلّوا وراثه الكتاب بعد وحيه الى الرسول ، فولوا ازمه امور المسلمين كما وُلّوا !

ولان «سابق» مطلق غير محدد ، فسبقهم - اذاً - مطلق غير محدد ، فهم السابقون على كافة المصطفين على مر الزمن في الإصطفاءات، اللهم إلا من اوحى اليه القرآن ! .

ولان «الخيرات» جمعاً محلى باللام تعم كافة الخيرات عِدّة وعدّة ، فهي الخيرات المعرفية والعقائدية والعملية . أما هيّه ، المعنية من «ويظهركم تطهيراً» المسبوقه بـ «انما» الحاصره فيهم قمة العصمة الإلهية .

وليس سبق هنا زمنياً - اذ ليس له فضل على اللاحق الأفضل ، بل هو سبق في الرتبة ، كما الرسول في كونه «أول العابدين» مهما سبق في علم الله وتقديره سبقهم هذا ! .

فهؤلاء الأكارم الذين اورثوا الكتاب بعد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) سبقوا بعده كافة السابقين في ميادين الخيرات ومسارحها ، فلذلك يفضلون على سائر النبیین في سباق الخيرات طول الزمان وعرض المكان ! .

ترى ولماذا يتقدم في هذا العرض العريض ظالم لنفسه على مقتصد وهما على سابق بالخيرات ، والآخر متقدم في ناصية الآية «الذين اصطفينا .. ؟»

انه بيان لطرف الإصطفاء ، تقديماً للاكثرا افراداً «ظالم لنفسه» حيث تربو سيئاته لنفسه على حسناته ثم «مقتصد» قد تتعادل سيئاته وحسناته ، ثم «سابق بالخيرات» المصطفين من بينهم اذ ليست لهم سيئات !

و«ذلك» السوحي للرسول ، ثم «ذلك» الايراث لاهل بيت الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) «هو الفضل الكبير» اذ لا يساوى ولا يسامى في تاريخ الوحي والرسالات والوراثات.

فحصالة البحث عن آية الوراثة ان «عبادنا» هنا هم اصحاب الجنة من المسلمين في درجاتهم الثلاث ادناها «ظالم لنفسه» دون من يظلم دين الله ويظلم عباد الله ، فهم هنا غير موعودين بالجنة ، مهما دخلوها بعد حسابات وعقابات ام لم يدخلوها ، كماه الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن «يلمح بمدى ظلم الظالم لنفسه ، وخروج الظالم لغيره ، حيث العفو عنه ظلم بغيره . ا

فليس «عبادنا» هنا كافة المكلفين ، ولا كل المسلمين ، وانما المسلمون الذين مصيرهم الى الجنة .

والمقتصد هو المعتدل المتعادل في حياته ، لا ظالم لنفسه حيث يتبنى حياة العدل مهما ابتلى بلمم ، والسابق بالخيرات هم الرعيل الاعلى من المقربين المعصومين من امة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وهم الائمة الاثني عشر سلام الله عليهم اجمعين .

فهم ورثة الكتاب روحياً في ولاية مطلقة شرعية ، وآخرهم القائم منهم يرث الكتاب زمناً وروحياً : «ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون . ان في ذلك لبلاغاً لقوم عابدين وما ارسلناك الا رحمة للعالمين» (٢١ : ١٠٦) ا

«جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من اساور من ذهب ولؤلؤاً ولباسهم فيها حرير»^(٣٣) وقالو الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور^(٣٤) الذي احلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب^(٣٥) .

علّ حق الفاعل في «يدخلونها يحملون» هم الوارثون للكتساب المصطفون، فانهم سابق الكلام ومحوره وانهم «سابق بالخيرات» !

ثم المقتصد الحزين بما قصر او قصر: «وقالوا الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن» ثم «ظالم لنفسه: إن ربنا لغفور شكور» .

ف «قالوا: الى - شكور» لا تناسب ساحة السابقين بالخيرات فلا ذنب لهم حتى يغفر، ولا حزن حتى يذهب فانهم من افضل من «لا خوف عليهم ولا هم يحزنون» !

ثم «الذي احلنا . . .» يناسب الطوائف الثلاث اجمع، حيث الجنة - فقط - هي من فضل الله كما النار هي من عدل الله .

ويحملون من التحلية: التزيين، «من اساور» اعجمية من دستواره وهي زينة الايدي، واللؤلؤ معروف كما الحرير و«دار المقامة» هي دار الخلود التي لا حول عنها ولا خروج، والنصب: التعب في جوهها، واللغوب هي التعب في طلب الحاجة فيها، خلاف الحياة الدنيا التي هي تعب على تعب، ولغب على نصب .

ويا له من مشهد حنون، فالجو كله يسر وراحة، حتى الجو الموسيقي لجرس الالفاظ كله هاديء ناعم رتيب حتى الحزن بدل الحزن، فضلاً عن «دار المقامة» . . . والى صفحة اخرى من مسرح الحساب :

﴿والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضي عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها كذلك نجزي كل كفور﴾^(٣٦) وهم يصطرخون فيها ربنا اخرجنا نعمل صالحاً غير الذي كنا نعمل أو لم نعمل ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير^(٣٧) .

«والذين كفروا» هنا هم الخالدون المؤبدون في النار اذ «لا يخفف

عنهم ، والخروج عن النار من التخفيف فاين الظالمون لغيرهم مسلمين ام كفاراً غير مؤيدين ؟ لا نجد لهم هنا ذكراً ولا هناك قضية التفصيل في موارده وهنا موقع الاجمال !

«لهم نار جهنم» تحصر حظهم فيها ، فلا خروج لهم عنها ، اذا فهم اصول الكفر متبوعين واتباعاً كما يلحق له «كل كفور» : غليظ الكفر وحضيضه ، دون المزيج الكفر بايمان ، فان له نصيباً من الرحمة .

«لا يقضى عليهم فيموتوا» في النار ، دون اصل الموت ولو مع النار ، فان قضية العدل نهاية العذاب كنهاية الاستحقاق ، وأنهى النهاية للعذاب ان يموت المؤيدون مع النار ، فلا نار - اذا - ولا اهل نار ! : «ونادوا يا مالک ليقض علينا ربك قال انكم ماكثون» (٤٣ : ٧٧) في النار - وطبعاً - ما دامت النار .

«ولا يخفف عنهم من عذابها» تخفيفاً في زمن العذاب ان يموتوا قبل تمامة ام يخرجوا ، ام تخفيفاً في قدره وهم في النار ، ان يتعودوا العذاب ، فانه اشكال متلاحقة فلا تعود فيه يخفف به ، و«كذلك نجزي كل كفور» بالغ في الكفر نهايته ، فهو بالغ في العذاب نهايته جزاءً وفاقاً .

«وهم يصطرخون فيها» بصوت غليظ مختلط الأصداء ، متناوح من شقى الدركات «ربنا اخرجنا نعمل صالحاً غير الذي كنا نعمل» وترى ان «صالحاً» لا يصلح تصريحاً لـ «غير الذي كنا نعمل» ؟ اجل ! فلكي يزيحوا كل شبهة عن امرهم يفسرون «صالحاً» بـ «غير الذي كنا نعمل» لكي لا يفسر صالحهم هذا بما كانوا يرونه صالحاً «ويحسبون انهم يحسنون صنعا» !

لا ! وانما صالحاً في الحق ، يختلف عن كل صالح في زعمنا وكل طالح في واقعنا فنصبح من الصالحين حقاً !

« رب ارجعون لعلني اعمل صالحاً فيما تركت كلا انها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون » (٢٣ : ١٠٠) وهنا الجواب الحاسم يحمل تنديداً صارماً صارخاً بالمصطرخين في الجحيم «اولم نعمركم ... ؟»

وهنا الواو تقتضي معطوفاً عليه محذوفاً مثل «الم نذكركم بكل حجة صارخة وبينه صارخة» اولم نعمركم ... ؟ فقاطع العذر ليس إلا امران اثنيان : «نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر - وجاءكم النذير» فان جاء النذير ولم يفسح مجالاً للتفكير كمن عاش حين النذارة ساعات او إياماً لا تكفي للتذكر ، فقد اعذر .

ام عاش حياة الذكر ولم يأتته نذير فقد اعذر فضلاً عما فقد النذير وفسحة التذكر فهو اعذر واعذراً .

وعلى هذا الاساس فكلما كانت النذارة اقوى وفرصة التذكر اكثر واندى ، فالعذاب اوفر واشجى ، وكلما كان قاطع العذر اضعف فالعذاب اخف ام يعنى عنه كما في «المستضعفين الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً» .

فمن عاش جو الغفلة والتغافل ، بمظاهر الشهوات وجواذب النزوات يخفف عنه حسب خفة الحجة ، ومن عاش جو الذكرى بمديد العمر ولم يتذكر فلا يخفف عنه العذاب .

«اولم نعمركم ما يتذكر فيه» المكلف العاقل كـ «من تذكر» من المؤمنين «وجاءكم النذير» زيادة للتذكير «فذوقوا» عذاب السعير «فما للظالمين بحق الله وخلقه» من نصير^(١) .

(١) تفسير البرهان ٣ : ٣٦٦ - ابن بابويه عن ابيه عن سعد بن عبد الله عن احمد بن ابي عبد الله البرقي باسناده رفعه الى ابي عبد الله (عليه السلام) في قول الله عز وجل «اولم =

هناك «عبادنا» في اقسامهم الثلاثة ، وهنا «الذين كفروا» بنا وعبادتنا لحد «الكفور» وبينهما عوان لم يذكروا ، وانهما صورتان متقابلتان ، فهناك مسرح لكل عناية وتبجيل ، وهنا كل نكاية وتنجيل ، وكل ذلك بعلم الملك الجليل :

﴿ان الله عالم غيب السماوات والأرض إنه عليم بذات الصدور﴾ (٣٨) .

«يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور» علم شامل دقيق لطيف، يحيط بكتابي التكوين والتدوين وما في الصدور وتحتاجه الصدور ، وبذلك العلم الشامل يجري كل الامور .



مركز تحقيق كالمبيوتر علوم إسلامي

=نعمركم . . «توبخ لابن ثمانى عشر سنة أقول وعله أول توبخ قارع حيث مضت عليه سنون ثلاث ، وليس هذا القدر كضابطة ، فقد لا يوجد ظرف الذكرى في ثلاثين وقد يوجد في يوم واحد ، وهذا الحديث ناظر الى الحالة الاكثرية في جو الذكرى .
وفيد بسند له عن ابي بصير قال قال الصادق (عليه السلام) ان العبد لفي فسحة من امره ما بينه وبين اربعين سنة واذا بلغ اربعين سنة اوحى الله الى ملكية اني قد عمرت عبدي عمراً فغلظا وشددا وتحفظا عليه قليل عمله وكثيره وصغيره وكبيره .

هُوَ الَّذِي

جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ ۖ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ ۖ
وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا مَقْتًا ۖ وَلَا
يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٤٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ
شُرَكَاءَ كُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا
مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَمْ آتَيْنَهُمْ
كِتَابًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّنْهُ ۚ بَلْ إِنَّ يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ
بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٥٠﴾ * إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ
مِّنْ بَعْدِهِ ۚ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٥١﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ
أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى
الْأُمَمِ ۚ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٥٢﴾ أَسْتَغَارُوا

فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ۚ
 فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ ۚ فَلَنْ نَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ
 تَبْدِيلًا ۖ وَلَنْ نَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٣٩﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا
 فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ
 وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۚ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ
 فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ۚ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٠﴾
 وَلَوْ يَوَازِئُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهِمَا مِنْ
 دَآبَةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ
 فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا ﴿٤١﴾

هو الذي جعلكم خلائف في الأرض فمن كفر فعليه كفره ولا يزيد
 الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقتاً ولا يزيد الكافرين كفرهم إلا
 خساراً (٣٩) .

هذه اشمل آية في خلافة الأرض للإنسان ، نعم خلافة هذا النسل
 باجمعه عن سلفه وانقرض ، حيث تعني «كم» هذا النسل كله ، خطاباً
 على وجه القضية الحقيقية ، دون الخارجية الخاصة بالموجودين زمن

٣٥٠ الجزء الثاني والعشرون

الخطاب ، وكما تلمحناء من آية الخلافة الاولى : «واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة » (٢ : ٣٠) .

كما وتعني - فيما تعنيه - خلافة كل قرن من هذا النسل قروناً مضت ، وهنا تخص الخطاب ما سوى القرن الأول البادي لهذا النسل .. وهو داخل في الخطاب الاول .

وكما للخلافة الاولى دلالة من آية البقرة كنص ، واخرى من هذه كمطلق ظاهر وفي الانعام «وهو الذي جعلكم خلائف الارض » (١٦٥) كذلك للثانية آيات عدة^(١) .

ثم وهامة هذه الخلافات هي الاخيرة ، المحلقة على كافة بني الانسان طول الزمان وعرض المكان ، زمن القائم المهدي من آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) : «امن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الارض » (٢٧ : ٦٢) !

وانها خلافة عامة اسلامية سليمة تختلف عن كافة الخلافات ، حيث تطبق شرعة الله على ارض الله ، اللهم عجل فرجه وسهل مخرجه واجعلنا من انصاره واعوانه .

وان في تتابع الاجيال تلو بعض ، بانتهاء جيل وابتداء آخر ، وانتهاء دولة وقيام اخرى ، بانطفاء شعلة-واتقاد اخرى ، ان في ذلك لآية لمن

(١) «ثم جعلناكم خلائف في الارض من بعدهم لننظر كيف تعملون» (١٠ : ١٤) «وجعلناهم خلائف واغرقنا الذين كذبوا بآياتنا» (١٠ : ٧٣) «واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح» (٧ : ٦٩) «واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبواكم في الارض » (١٧ : ٧٤) .

القي السمع وهو شهيد ، ان لكل بداية نهاية ، فليستعد عاقل لكي يخلد نفسه بعد النهاية ، «والعاقبة للمتقين» !

ومن شأن السائح في هذه الرحلة المتعاقبة المتخالفة ان يحسن ثوابه القليل ويترك وراءه الذكر الجميل . وان عجلة القرون المتتابعة سارعة متصارعة ، دون ان يحمل أهلها إلا التبعة الفردية «فمن كفر فعليه كفره» في اولاه وعقباه «ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم إلا مقتاً» مهما يزيدهم عند انفسهم في الشهوات خبطاً .

«ولا يزيد الكافرين كفرهم إلا خساراً» عن ذلك المقت الناتج عن ذلك الكفر !

ان مقت ربهم في نفسه خسارة عليهم ، فلانهم ليسوا - هنا - ليشعروا مدى خساره ، فليثن بصراح الخسار.

«قل أرايتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله اروني ماذا خلقوا من الأرض ام لهم شرك في السماوات ام آتيناهم كتاباً فهم على بينة منه بل ان يعد الظالمون بعضهم بعضاً إلا غروراً» (٤٠) .

«... اروني ماذا خلقوا من الأرض» فضلاً عن شرك في السماء ، فكيف - اذاً - هم آلهة وليس لهم شرك في خلق لا في الأرض ولا في السماء ، فانهم «لن يخلقوا ذباباً ولولا اجتماعوا له وان يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب» !

الهم شرك ؟ فاروني «ام آتيناهم» اولاء المشركين «كتاباً» فيه سماح للاشراك «فهم على بينة منه» فاروني ؟ كلا ! فلا واقع للشرك لا ملموساً برؤية ، ولا وارداً برواية من كتاب وحي «بل ان يعد الظالمون

بعضهم بعضاً ، فيما يشركون «إلا غروراً» ، إذ لا يملكون حجة فيما يعدون «إلا غروراً» !

واذ ليس هنالك كتاب من الله يسمح بذلك الإشراك ، ولا كتاب من الشركاء لرسولهم ، فيه دعوة اليهم ، فهذه الوهة فاضحة فاضية ، وليست الا غروراً !

كلّا ! ليس هنا او هناك شرك ولا من قضمير في سماء ام في ارض ، بل :

«ان الله يمسك السماوات والأرض ان تزولا ولئن زالتا إن امسكهما من احد من بعده إنه كان حليماً غفوراً» (٤١) .

هذه ! ولا ثانية لها إلا في الحج : «... ويمسك السماء ان تقع على الأرض إلا بإذنه ان الله بالناس لرؤف رحيم» (٦٥) .
وامسك السماوات والأرض ان تزولا ، يعم زوال الفناء ، وزوال السماوات وقوعاً على الأرض ، وزوال الأرض سقوطاً الى عمق السماء ، وزوال كل وقوعاً لاكتنافها بعضاً الى بعض اماذا من زوال ؟

«ان الله» لا سواه «يمسك السماوات والأرض» عن كل زوال عن حالتها العامة «ولئن زالتا» ألا يمسكها الله وكفى «ان امسكها من احد من بعده» مسكة بعد الوقوع ام اشرافه ، فهو الممسك لها وهو المزيل ، كما هو الخالق لها دون اي بديل .

وصحيح ان ذلك الإمساك في كافة جنباته ليس إلا بقدرته الخلاقة ، ولكنه عالم الاسباب ، يتطلب منه سبباً في ذلك الإمساك ، وعله عمد لا ترونها : «رفع السماوات بغير عمد ترونها» (١٣: ٢)

إِذَا فُتِنَ عِمْدٌ وَلَكِنْ لَا تَرُونَهَا ، مِنْ عَمَدِ الْقُوَّةِ الْجَازِيَةِ أَمَاهِيه ؟

إنه ليست السماوات والأرض - وهما الكون كله - كبناء يبني فيبقى متماسكاً ما له مُسَكَّة في أجزاءه ، إذ لا مسكة ذاتياً في أجزاء الكون ، لا في كونه ولا كيانه ، إذ ليس إلّا فقراً إلى الله ، فبمجرد تركه تعالى إمساكاً لكائن في أية جهة ، فهو زائل من تلك الجهة دونما حاجة إلى إزالة .

فكما لا يملك أي كائن قبل تكونه شيئاً من كونه وكيانه ، فهو الآن - بعد خلقه - كما كان ، دون أية غنى واستقلالية عن خالقه ولا قيد شعرة في آن من الألوان ! سبحان الملك المنان !
فالإمساك عن الزوال هو عبارة أخرى عن الإيجاد بعد الإيجاد ، استمرارية للكائن بعد تكوينه الأول ، كوناً أو كياناً ، فما كان إمساكه للكون فالكون كائن ، فإذا زال زال ، زوالاً على قدر زوال !

فنظرة ناظرة إلى ناضرة السماوات والأرض ، أنها لا تقومان - في ظاهر الحال - بعمد ، ولا تشد ان بأمراس ، جديرة بأن تفتح البصيرة على اليد الخفية الخفية ، القاهرة القادرة ، التي تمسكها عن أي زوال !

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُوراً﴾ (٤٢) .

يُروى أنه يبلغ قريشاً قبل جيئة هذا الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) أن اهل الكتاب كذبوا رسلهم فقالوا : لعن الله اليهود والنصارى أنتهم رسلهم فكذبوهم فوالله لئن أتانا رسول لنكونن أهدي

من إحدى الأمم «فلما جاءهم ما زادهم إلا نفوراً» !

وهذا الوجه قد يقرب لسابق ذكر المشركين ، وقد يبعد لأن قريشاً كانوا قوماً ليست لهم سابقة الإنذار حتى يستقبلوا منذراً برحابة صدر ، وقسماً بالله وهم مشركون !

إذاً فهم أهل الكتاب : «ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين» (٢ : ٨٨) وبطبيعة الحال كفر الكتابي - ولا سيما في زيادة النفور - إنه أضل وأنكى .

«وجهد أيمانهم» هو مدى الطاقة والمشقة منها أن بالغوا وغلظوا في مختلف أيمانهم «لئن جاءهم نذير» من النذر وقد «كانوا يستفتحون» فهم له منتظرون «ليكونن» أهدى السابق الأنس بوحى الكتاب ، وسابغ البشارات بهذا النذير .. أهدى من إحدى الأمم «ولماذا إحداهم ؟ لا «كل الأمم» لأنهم أنفسهم الأمم الكتابية ، والمشركون هم إحدى الامم ، إذاً فهم المشركون ، دون اليهود والنصارى ، إذ ليسوا هم بإحدى الأمم .

«فلما جاءهم نذير ما زادهم» مجيئه «إلا نفوراً» وتباعداً وهروباً ، ولماذا ذلك النفور بعد جهد الأيمان وذلك الإستفتاح ؟ .

وقد تعني «وأقسموا» كليهما ، مهما كان أهل الكتاب أصلاء في ذلك المكر السيء والمشركون فروعهم ! .

﴿إِسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا

بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سَنَةَ الْأُولَئِينَ فَلَنْ يَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ يَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾

وإنه لقيح ما أقبحه ، ومكر سئ ما أمكره ، أنهم بعدما استفتحوا على المشركين وأقسموا بالله جهد أيمانهم : «ما زادهم إلا نفورا» فإنه مادة أصيلة لضلال المشركين ، أن لو كان خيراً لسبقونا إليه لسابق الوحي الكتابي لهم ، وسابق إيمانهم !

ولم يكن ذلك النفور الزائد إلا «استكباراً في الأرض» كيف يأتيهم نبي إسماعيلي ويهدم صرح النبوة الإسرائيلية ، «ومكر السيء» فالسيء قد يسيء دون مكر فيجتنبه المتحري عن الحق ، ولكنه إذا مكر فوايله للبعيد عن الحق ، حيث يتخذون ذلك المكر حجة على الحق ، فهو - إذا - المكر السيء من مكر سئ ، وهل يحيق المكر السيء بغير أهله ، من الله أو الرسول أو المؤمنين اليقظين ؟ كلا !

«ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله» : ماكرأ ومكورأ ، فمن لا يُمكر ولا يُمكر لا يحيق به المكر السيء ، فإن المؤمن هو الكيس الفطن ، لا يحار ولا يغار مهما كان المكر محيراً مغيراً !^(١)

«فهل ينظرون» إنتظاراً ، بعد ذلك المكر السيء «إلا سنة الأولين» من مكذبي البينين ، سنة الله في إهلاكهم واستئصالهم ؟ «فلن تجد لسنة الله تبديلاً» أن يجريها في الغابرين ، ويستثنى عنها الحاضرين ، فلا قرابة ولا نسبة لهم إلى ربهم يفقدها الأولون !

(١) الدر المنثور عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : اياكم والمكر السيء فإنه لا يحيق المكر السيء الا بأهله ولهم من الله طالب .

فالنواميس الإلهية والسنن الربانية مطردة ماضية ، مستقبلة وحاضرة وماضية ، دون تبديل بغيرها ، ولا تحويل لها إلى غير أهلها فـ « لا يحيق المكر السيء إلا بأهله » ! « سنة الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون » (٤٠ : ٨٥) .

لقد سن الله سنة تكوينية لكل من الحسن والسوء ، والحسن والسيء في النشاطين ، كضابطة سارية المفعول « فلن تجد لسنة الله تبديلاً » إلى غيرها ، ثواباً إلى عقاب أم عقاباً إلى ثواب « ولن تجد لسنة الله تحويلاً » من أهلها إلى غير أهلها « وأن ليس للانسان إلا ما سعى » ! .

إن القرآن يقرر هذه الحقيقة حقها جهاراً وتكراراً لكي لا ينظروا الأحداث فرادى ام هي فوضى ، عائشين الصدف والفوضويات ، وإنما هناك سنن ثابتة مطردة و « ذلك تقرير العزيز العليم » !

﴿ أَوْ لَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴾ (٤٤) .

وإذا لم يذكروا بما جاءهم من نذير فكذبوهم بكل نفير « أو لم يسيروا في الأرض » في تاريخها الجغرافي وجغرافيا التاريخي « فينظروا » بصرأ وبصيرة أحوال الماضين « كيف كان عاقبة الذين من قبلهم » في تكذيبهم رسلهم « و » قد « كانوا أشد منهم قوة » في أموال وأولاد ومادية الأحوال « وما كان الله ليُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ » حتى ولو كانوا - هم - أقوى من الذين من قبلهم وهم أضعف منهم « . . من شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا » كيف يعاملهم « قديرًا » بما ينتقم منهم .

فالأرض باكتافها الواقعية والتاريخية كتاب مفتوح... لكل سائر فيها ، وهي من الآيات الأفاقية القريبة إلينا فلماذا التغافل عنها ؟ ثم وأرض القرآن أصدق عرض لتأريخ الغابرين^(١) تجاوباً رائعاً بين أرضي التدوين والتكوين في ذلك العرض المتين !

﴿وَلَوْ يُوَ أَخِذِ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا﴾ (٤٥).

«ولو يواخذ الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون» (١٦ : ٦١).

«ولو» عرض لواقع إستحقاق عذاب الظالمين ومداه ، «يواخذ» الله الناس بما كسبوا - بظلمهم «يواخذ العقاب ، لا - فقط - العقاب ، فإنه ملئ الكتاب ، فلو جعل الله دار العمل هي دار الجزاء «ما ترك...» .

وترى هولاء الظالمون يواخذون فما بال غير الظالمين من الناس وما بال سائر الدواب على ظهر الأرض ؟!

إنه بالنسبة لغير الظالمين فتنة غير عذاب ، ولهم عذاب فوق

(١) تفسير البرهان ٣ : ٣٦٧ - القمي عن الكليني بسند عن أبي الربيع الشامي قال : سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن قول الله عز وجل «قل سيروا...» فقال : عني بذلك انظروا في القرآن فاعلموا كيف كان عاقبة الذين من قبلكم وما اخبركم .

عذاب : «واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة (٨) : (٢٥) .

ثم هو بالنسبة للدواب على ظهرها لا فتنة خا ولا عذاب ، وإنما عذاب للظالمين حيث يفقدون منافع لهم منها كما يفقدون أنفسهم ، حيث الأرض بما فيها مخلوق لهم : «هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً» (٢ : ٢٩)

ففي آيتي الفاطر والبقرة تجاوب لطيف حفيف ، عرضاً للأرض بما فيها لاستثمار إنسان الأرض كما يرضاه الله ويصلح حيوية إنسانية تضم سائر مصالح الإنسان دنيوية وأخروية .

ثم وآية الفاطر والنحل تتجاوبان في ضخامة الظلم والطغيان للإنسان ، أن لو يوآخذهم الله بظلمهم وما كسبوا لما ترك على ظهرها من دابة ، فإنه عذاب شديد يعم الأرض ويطمها ، ويقلبها ظهر بطن ، وذلك هو طبيعة العذاب والدار واحدة ، ولكن أرض الجنة والنار متباعدتان !

ولكنه «يؤخرهم إلى أجل مسمى» حيث الدنيا دار عمل ولا جزاء ، وأن في استئصال غير الظالمين وسائر الدواب ظلماً وما الله يريد ظلماً للعباد !

لذلك تراه يبدأ بـ «ولو» تأشيراً بشيراً بالإمتناع ، ثم نذيراً بمستقبل العذاب «ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى» وهو القيامة الكبرى «فإذا جاء أجلهم فإن الله كان بعباده بصيراً» الظالم منهم والمظلوم ، ثم يُجزون بما كانوا يعملون !

وهذا هو الإيقاع الأخير ، البشير النذير، في هذه السورة بنهاية

الحياة والحياة النهاية ، وكما بدء به « الحمد لله فاطر السماوات والأرض
جاعل الملائكة رسلاً . . » حيث يحملون رسالات السماء تذكيراً لسكنة
الأرض ، وبين المبدء والختام تلك المسارح المصارع من حوار
وحجاج ، وسير في الآفاق والأنفس ولكي يعرفوا المبدء والختام .



مركز تحقيق كتاب توير علوم إسلامي

سورة الاحزاب: احزاب صالحة وطالحة - تقوى النبي.

١٩-١٠ قلبين في جوفه؟ جاهلية الأدعياء!

٣١-١٩ الولاية الشرعية المطلقة للنبي، لا تكوينية ولا تشريعية - الولايات العشر؟

٤٢-٣١ نطاق الأولوية في أولي الأرحام وأبعادها - ميثاق النبيين؟

٥٤-٤٢ حرب الأحزاب بخذافيرها - هنالك ابتلي المؤمنون ..! موقف المنافقين والذين في قلوبهم

مرض - الرسول الأسوة؟ رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه

٩٠-٥٥ تخلفه عارمة في نساء النبي - نصايح وتهديدات لمن - مضاعفة العذاب والثواب ٩٠-١١٤

آية التطهير في قول فصل - المعنويون من اهل البيت خمسة في التنزيل واربعة عشر في

التأويل - قرابة ألف راو لنزولها فيهم في مائة كتاب.

١٣٨-١١٤ زواج الرسول بحليلة زيد في قول فصل - لقد كان واجباً رسالياً حيث فرض الله له -

خاتم النبيين؟

١٦٠-١٤١ من اختصاصات النبي في الزواج والأزواج.

١٨٨-١٢٦ الداخولون بيوت النبي؟ كيف نصلي عليه وما هو التسليم؟

٢٠٦-١٩١ ... يدنين عليهن من جلابيبهن ..؟ كأنها أولى آيات الحجاب! عرض الأمانة

وخيانتها من الإنسان الظلوم الجهول؟

٢٢٢-٢٠٩

سورة سبأ: من آيات كروية الأرض ونظرات حولها.

٢٣٩-٢٣٥ داود وسليمان جبرأت رسولية ورسالية.

٢٥٣-٢٤٠ سبأ في مسرح القرح والترح.

٢٥٩-٢٥٥ إنما أعظكم بواحدة؟ ليس اجر الرسالة إلا لهم!

٢٨٢-٢٧٧

سورة قاطرة: اجنحة الملائكة؟

٢٩٥-٢٩٠ كيف «إليه يصعد الكلم الطيب...»؟ «والعمل الصالح يرفعه»!

٣١٢-٣٠٩ ذاتية الفقر للناس وكل الكائنات.

٣٢٤-٣٢٠ من هم ورثة القرآن المعصومون؟

٣٤٣-٣٣٦ فسحة زمن التكليف للمسؤولين يوم الدين - موت الخالدين في النار - الناس هم

خلائف الارض؟

٣٥١-٣٤٤ كيف «لويواخذ الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة»؟

٣٥٩-٣٥٧

